وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أكلي محند أولحاج بالبويرة
كلية العلوم الانسانية والاجتماعية

التّجارة في الأندلس من العهد الأموي الى عهد الموحّدين

القرن 2 . 7 هـ/ 8 . 13م

رسالة مقدمة لنيل شهادة الماستر في تاريخ المغرب الاسلامي الوسيط.

إشراف:
السعيد جلاوي

إعداد الطالبتين:
فايزة العمري
ريمة عمران

لجنة المناقشة:

أ/ نوال طبيب: .....رئيسا.
أ/ السعيد جلاوي: .....مقررا.
أ/ نسيم حسبلاوي: .....مناقشا.

السنة الجامعية : 1436 - 1437هـ/ 2014 - 2015م.

الاهـــداء

الإهداء.....

الى روح من كان دائما يشاركني حلم الدراسة والتفوق ، ويدفعني لطلب العلم ويفرَحُ مِلْءَ قلبه بنجاحي....

ثم رحل دون وداع....***أبي***.... حبيب قلبي...(رحمه الله)

الى من أرى الدنيا من خلال عينيها ، وتصير الحياة رغم قسوتها بعيني جنة عدن لأنها معي ...***أمي*** .... مهجة روحي و سكن نفسي.....

الى إخوتي ، يوسف ، منصور وعباس.....

الى جميع صديقاتي المخلصات.....

أهدي هذا البحث ممزوجا بآلامي وآمالي في الدراسة.....

*** فايزة ***

الإهداء.....

الى من غمراني بحبهما وفرط رعايتهما ولم يبخلا عني بالعطاء دوما .....
أبي و أمي حفظهما الله

الى إخوتي وأخواتي.....

الى كل صديقاتي الوفيات.....

ريمة

شكر وعرفان

إن الشكر والحمد جميعا لله عزّ وجل الذي أعاننا ووفقنا لإنجاز هذا البحث الذي نبتغي من خلاله وجهه الكريم وبأن يجعله في ميزان حسناتنا .

ثم نتقدم بجزيل الشكر وأعطره للأستاذ المشرف " السعيد جلاّوي " على رحابة صدره وكذا صبره علينا وعلى كل ما أمدّنا به من ملاحظات وتنبيهات قيّمة.

كذلك نجزل الشكر وكلنا عرفان بفضل الأستاذ "نسيم حسبلاوي" والأستاذ "الطاهر سبع" على ما قدّماه لنا من مساعدة سواء بالتوجيهات أو بالكتب القيّمة التي أفادتنا في انجاز البحث ، وأيضا للأساتذة أعضاء لجنة المناقشة.

كما نُقِرّ بالفضل لمن كان سندا لنا منذ مرحلة الليسانس ، وهو يُمهِّد لنا دروب البحث ، فاتحا أمامنا أبواب المكتبة العامّة التي كان يسيّرها لنستفيد من كتبها وكل ما بها من وسائل " السيد: عيّاش شيخاوي".

وكذلك نتقدم بباقة شكر لمن غمرنا بعطفه الأبوي وارشاداته خاصة ما تعلق بعملية الإخراج النهائي للبحث السيد مفتش الادارة بقطاع التربية والتعليم "علي عكوش".

ولكل من قدم لنا يد العون من قريب أو من بعيد.

مقدمة

يشغل التاريخ الأندلسي حيزًا كبيرا وهامًا من التاريخ الاسلامي، فهو تأريخٌ لفترة زمنيّة طويلة قدرها ثمانمائة عام، عاشتها الأندلس في كنف الدين الاسلامي، لذا فإنّ الحديث عن الأندلس يقودنا دوما الى ما حقّقه المسلمون من انجازات عظيمة وآثار باقية خلّدت مآثرهم وتفوّقهم رغم فترات الفراغ والصراع والانكسارات التي مرت بها، وقد صارت الأندلس في نظر المسلمين وغير المسلمين مقياسا لتطوّر الأمم والشعوب، ومركزا حضاريا رائدا تفوّقت به على باقي البلاد في ذلك التاريخ.

وعليه فإنّها كانت ولاتزال مجالا خصبا للباحثين في حقل تاريخها الحضاري خاصة ما تعلّق منه بالجانب الاقتصادي نظرا لأهمية هذا الجانب في دراسة تاريخ أي دولة، ومن المجالات الاقتصادية التي تفوّق فيها الأندلسيون أيّما تفوق، مجال التجارة التي تمثّل أهمّ جزءٍ من الاقتصاد العام للأندلس، وهو الموضوع الذي نرمي الى معالجته من خلال هذه الدراسة التي تندرج تحت عنوان:

" التجارة في الأندلس من العهد الأموي إلى عهد الموحّدين (القرن 2 - 7هـ / 8 - 13م) ".

حيث ازدهرت تجارة الأندلس سواء الداخلية أو الخارجية في معظم الفترات التي نتناولها بدراستنا، فقد نمت المدن والأسواق، واكتظّت الموانئ بالسلع الصادرة والواردة، وكثرت الأموال، وقصد الأندلس التجّار الأجانب من كل الأجناس، فامتدّت خطوط التجارة برًّا وبحرا، باتجاه المناطق القريبة والبعيدة جدا.

ومن هنا نطرح الاشكاليــة التالية:

ما مدى مساهمة مسلمي الأندلس في التجارة العالمية خلال العصر الوسيط؟.

وللرّد على هذه الاشكالية لا مناص من تفكيكها الى مجموعة من التساؤلات:

ـ ماهي الأسس الدّاعمة للنشاط التجاري بالأندلس ؟.

ـ وماهي الآليّات التي ساعدت على ازدهار التجّارة بالأندلس؟ وماهي العوامل المؤثرة على النشاط التجاري؟.

وهي الأسئلة التي سنسعى للاجابة عنها من خلال بحثنا في هذا الموضوع الذي اخترناه تحديدا من بين جميع المواضيع التاريخية الأخرى لجملة من الأسباب، ولعل أهمها يرجع الى اهتمام جل الدّراسات القديمة بالجوانب السياسية والعسكرية على حساب الجوانب الأخرى، ونعني بها الجوانب الحضارية سواء الثقافية أو الاجتماعية أو الاقتصادية التي تعد في جملتها عناصرا فاعلة في حركة التاريخ، إذ من شأنها رفع الستار عن كثير من الغموض المخيم على بعض الجوانب التاريخية والتي قد لا تكشف عنها الأحداث السياسية لوحدها، وهو ما تفطن اليه الباحثون الأكاديميون خلال الفترات الأخيرة حيث تزايد الاهتمام بالجوانب الحضارية في الدراسات الحديثة إلا أنها لا تعد كافية حتى الآن، وعليه وإيمانا منا بضرورة البحث في مثل هذه المجالات وحرصا على إثراء رصيد البحث التاريخي من جانبه الاقتصادي على وجه خاص كان اختيارنا

لدراسة موضوع التجارة بالأندلس في الفترة الممتدة من عصر الدولة الأموية إلى عهد الموحدين مرورا بعصر ملوك الطوائف والمرابطين.

وهي فترة طويلة يرجع اختيارنا لها أيضا لاعتبار أنها أهم فترة عاشتها الأندلس كبلد إسلامي له مكانته بين الأمم ذلك الوقت نظرا لما شهده من ازدهار عمّ جميع النواحي السّياسية والحضارية، كما شهد أقوى التقلبات السياسية نتيجة سقوط دول وقيام دول جديدة على أنقاضها مما يجعل تعقّبنا لآثار حركة التجارة أمرا مثيرا يستحق المغامرة وكذا رفع التحدي في سبيل الوصول الى إعطاء صورة حقيقية أو مماثلة عن الوضع التجاري وما طرأ عليه من تغيرات على طول فترة البحث.

هذا فضلا على أنّ الأندلس كانت وما تزال من البلدان الاسلامية التي شُغِفْنَا بها وبِحبّ الاطلاع على كامل تاريخها وذلك منذ السنوات الأولى من دراستنا الجامعية، وعليه فإنّ اختيارنا لهذا الموضوع جاء من باب اغتنام الفرصة للبحث في موضوع أثار لدينا الكثير من الفضول والاهتمام ألا وهو " التّجارة بالأندلس ".

وقد اعتمدنا في انجاز هذا البحث على المنهج التاريخي وهذا من خلال ذكرنا لعدة عهود وفق تسلسلها الزمني، مع سرد بعض الأحداث التي كان لها تأثير مباشر في الاقتصاد، وعلى المنهج الوصفي الذي يظهر في وصفنا لمختلف الظواهر الاقتصادية، بالإضافة الى المنهج التحليلي القائم على مقارنة النصوص واستخلاص النتائج.

وللموضوع أهمية لا تخفى، فهو يتناول بالدراسة جانبا من الجوانب الحضارية التي لم يبدأ الاهتمام بها من طرف المؤرخين إلا في الفترة الحديثة، ونعني به الجانب

الاقتصادي المتمثل في النشاط التجاري بالأندلس وذلك على مدار ستمائة سنة عاشتها الأندلس في ظل التقلبات السياسية المختلفة والتي تعتبر أهم فترة من فترات حياتها، ففيها لمع نجم الأندلس بالمغرب كبلدٍ اسلامي له حضارة تضاهي الحضارة المشرقية وهذا نتيجةً لما بلغه من رقي وتطور مسّ جميع الجوانب الاجتماعية والثقافية والعلمية والاقتصادية بشكل خاص.

ولأجل الالمام بالموضوع أكثر، ومعرفة كيفية التعامل مع المصادر التي تخدمه كان لزاما علينا الاطلاع على الدراسات السابقة التي تناولت التاريخ الاقتصادي للأندلس في العصر الاسلامي الممتد من القرن 2 - 7 هـ / 8 - 13 ومن بين هذه الدراسات نذكر:

كتاب الأستاذ ابراهيم السيد الناقة وهو بعنوان **" دراسات في تاريخ الأندلس الاقتصادي"** وقد ركز فيه صاحبه على دراسة الأسواق التجارية والصناعية بالأندلس خلال الخلافتين الأموية و الموحدية ، وهو كتاب قَيِّم جدا بالنسبة لموضوع التجارة.

يشتمل على معلومات دقيقة لكونه استند الى دعامة من المصادر والمراجع القيمة، كما أن الفترة التي يدرسها تمثل نقطتا بداية ونهاية بالنسبة للفترة التي نقوم بدراستها، لذا فقد استفدنا كثيرا من هذا الكتاب.

وكتاب الدكتور أحمد الطاهري وهو بعنوان**:" الأندلس في عصر بني عباد" - دراسة في سوسيولوجيا الثقافة والاقتصاد -** فهو كتاب يزخر بالمعلومات من مصادر جد متنوعة ما زاد في أهميته غير أنه يتحدث عن فترة محددة ألا وهي فترة بنو عباد، وقد

استفدنا منه فيما تعلق من معلومات تخص عهد ملوك الطوائف التي تعد بمثابة المنعرج الخطير في تاريخ الأندلس، والذي يحتاج حقا الى مثل هذه الدراسات.

كتاب الأستاذ عز الدين عمر موسى **" النشاط الاقتصادي في بلاد المغرب الاسلامي في القرن السادس الهجري الثاني عشر ميلادي"** الذي أورد فيه ذكر النشاط الاقتصادي بالأندلس في جملة ما ذكره عن جميع بلدان المغرب الاسلامي كما أن دراسته كانت محصورة في فترة محددة وهي القرن السادس للهجرة.

وكتاب للأستاذة عصمت عبد اللطيف دندش **" الأندلس في نهاية المرابطين وبداية الموحدين عصر الطوائف الثاني"** الذي تطرقت فيه لموضوع التجارة كعنصر ثانوي أيضا لكنها أثرته بمعلومات قيمة استقتها من مصادر متنوعة وقد استفدنا من هذه الدراسة خاصة في شقها المتعلق بالاقتصاد.

بالإضافة الى هذا كانت هناك بعض رسائل الدكتوراه و الماجستير التي تناولت الموضوع مثل مذكرة الطالب عيسى بن الذيب المدرجة تحت عنوان :**"المغرب والأندلس في عصر المرابطين دراسة اجتماعية واقتصادية 480 - 540هـ/ 1056 - 1145م"**التي تقدم بها لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الوسيط من جامعة الجزائر للسنة الجامعية 2008 - 2009م بحيث تطرق لموضوع التجارة في خضم ما ذكره عن الاقتصاد الأندلسي خلال فترة المرابطين.

ورسالة أخرى تقدم بها الطالب عبد العزيز حاج كولة تحت عنوان **" الحياة الاجتماعية والاقتصادية بالأندلس من خلال النوازل الفقهية في القرنين 5 - 6 هـ "** وذلك لنيل درجة الماجستير من جامعة الجزائر 2 للسنة الجامعية 2010/2009م وقد تطرق الى ذكر موضوع التجارة بالأندلس في جملة ما ذكره عن اقتصادها بشكل عام.

وبعد جمع أشتات المادة العلمية التي يقتضيها موضوع البحث والتي استقيناها من مختلف المصادر والمراجع، قمنا بترتيبها وتوزيعها على ثلاث فصول رئيسية تأتي بعد المقدمة والفصل التمهيدي، الذي أوردنا فيه نبذة عن تاريخ الأندلس، مشيرين الى أهمية ذاك الانقلاب الحاصل في تاريخها بعد سقوط الخلافة الأموية بالمشرق وقيام الخلافة العباسية مكانها، الأمر الذي كان سببا مباشرا لبزوغ نجم الأمويين ثانية بالأندلس بعد أفوله في دمشق، حيث سيقيمون بها حضارة عالمية تستمر الى ما بعد العهد الأموي، أي حتى عهد بني الأحمر.

بعدها أفردنا الفصل الأول لذكر أهم المقومات الاقتصادية التي تمتلكها الأندلس، فتحدثنا بداية عن المقومات الطبيعية كأهمية الموقع الجغرافي والمناخ والتضاريس وكذا الثروات التي تزخر بها النباتية منها والحيوانية والمعدنية والحجرية، ولأن كل هذه الثروات لا تُسَيَّر ولا تُسْتَغل إلا بيد بشرية ذات خبرة وكفاءة فإن ذلك ألزم علينا التطرق لذكر عنصر خاص بالمقومات البشرية فتحدثنا فيه عن أهم العناصر السكانية في المجتمع الأندلسي التي كان لها اسهام في احدى الجوانب الاقتصادية، وعن وفرة اليد العاملة المتخصصة ذات الخبرة والكفاءة في شتى الميادين، وعن أهم مناطق تركز

السكان، باعتبار أن الكثافة السكانية المرتفعة تؤدي حتما الى قيام نشاط تجاري كبير نتيجة الزيادة في الطلب.

وفي العنصر الذي يليه تحدثنا عن أهم الصناعات التي كانت بالأندلس، بينما خصّصنا الفصل الثاني للحديث عن التجارة الداخلية في الأندلس وما يتعلق بها فذكرنا الطرق التجارية التي كان لها بالغ الأثر في قيام علاقات تجارية ما بين المدن بانتقال السلع والأشخاص وكذا رؤوس الأموال، وأيضا الأسواق والنظم التجارية فأوردنا ذكر أهم أنواع الأسواق ونظم التعامل التي كانت بها كأنواع البيوع والعملة المتداولة والأوزان والمكاييل المستعملة، والاشراف على هذه الأسواق فذكرنا الحسبة والتسعير و النشطاء الذين كانوا يشتغلون في التجارة، لننتقل بعدها الى الحديث عن أهم المراكز التجارية بالأندلس ونقصد بها تلك المدن الساحلية أو الداخلية التي كان لها باع في التجارة الداخلية والخارجية على حد سواء، بفضل ما تميزت به من خصائص اقتصادية كما سنذكر في هذا الفصل المبادلات التجارية الداخلية التي كانت تتم فيما بين المدن الأندلسية نفسها.

أما الفصل الثالث والأخير فقد أفردناه لتجارة الأندلس الخارجية، فذكرنا بداية أهم الطرق والخطوط التجارية التي كانت تربط الأندلس بباقي دول العالم الخارجي، ولكون الأندلس عبارة عن شبه جزيرة تحيطها مياه البحر من كل جانب فإن الطرق البحرية ستكون أهم طرقها التجارية على الاطلاق ومنه سيتأكد لنا دور الموانئ الأندلسية في تنشيط هذه التجارة والتي سنخصها بالذكر أيضا في هذا الفصل بحيث سنتطرق الى ذكر أهم الموانئ التجارية وكيف كانت نظم التعامل فيها، وفي ذات السياق أوردنا حديثا عن

دور البحرية الأندلسية في التجارة الخارجية، لننتقل الى ذكر عنصر آخر لا يقل أهمية وهو المبادلات التجارية الخارجية بحيث سنذكر فيه تأثير علاقات الأندلس الدبلوماسية مع البلدان الخارجية في مبادلاتها التجارية بمختلف العهود قيد الدراسة مع ذكر أهم السلع التجارية المتبادلة ـ أي الصادرات والواردات ـ وكأي بحث أكاديمي ذيَلنا بحثنا هذا في الأخير بخاتمة ضمّناها جملة النتائج المتوصّل اليها كما أعقبنا دراستنا بمجموعة ملاحق رأينا أنها تفيد البحث، وختمنا كل ذلك بفهارس البحث.

نقد المصادر:

لقد تعددت مصادر هذا البحث وتنوعت، ويرجع ذلك الى طول الفترة التي نقوم بدراستها من جهة ، والى تفرّق المادة العلمية الخاصة بالجانب الذي ندرسه وهو الجانب التجاري في عدة كتب، وهذا لعدم وجود مصادر تختّص بمثل هذه الدراسات، وتأتي على رأس قائمة المصادر التي خدمت هذا البحث، كتب الجغرافيا والرحلات، وكتب النوازل وكتب الحسبة.

1ـ كتب التاريخ العام:

ـ **ابن الخطيب :** أبو عبد الله محمد بن عبد الله الغرناطي (تـ 776هـ / 1376م)، له كتاب الاحاطة في أخبار غرناطة تحقيق محمد عبد الله عنان ـ المجلد الأول ـ وهو كتاب هام أورد فيه الكثير من الأخبار عن المدن الأندلسية،

وأيضا كتاب أعمال الأعلام الذي حققه ليفي بروفنسال الذي يذكر فيه تاريخ الأندلس من الفتح الى عصر المؤلف.

ـ ابن عذاري المراكشي: أبو العباس أحمد بن محمد، كان حيا بداية القرن 8 هـ / 14م، له كتاب البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب الذي يعتبر من أهم المصادر نظرا لما يزخر به من معلومات وروايات استقاها المؤلف من مصادر معاصرة لزمن البحث، ويتألف الكتاب من خمسة أجزاء وقد استفدنا من الجزء الأول والثاني أكثر في هذا البحث.

ـ المقرّي: أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد المقري التلمساني ولد 986هـ وتوفي سنة 1041هـ / 1632م له كتاب **نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب** الذي يعد من أعظم الموسوعات التاريخية رغم أنه ألفه وهو بعيد عن موطنه إذ كان بالمشرق، فهو من المصادر الأساسية للباحثين في تاريخ الأندلس، ويتكون من ثمانية أجزاء، اعتمدنا في هذا البحث على الجزر الأول والثاني والرابع.

ـ عبد الملك :بن محمد بن صاحب الصلاة (تـ 594هـ / 1198م) له كتاب **المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين** الذي يعتبر مصدرا هاما في

تـاريخ الدولـة الموحديـة، خاصـة وأن مؤلفـه مـن رجـال الـبلاط الموحـدي فهـو معاصـر للأحداث، كما اعتمد في جزء من كتابه على مشاهداته الشخصية.

2- كتب الجغرافيا والرحلات:

- ابن حوقل ،أبو القاسم النصيبي (تـ 380هـ / 990م) له كتاب **صورة الأرض** وهو من المصادر الهامّة فقد ألّفه صاحبه بدّقة، ووصف فيه مشاهداته عن البلدان التي زارها، والتي منها الأندلس، وقد دوّن كل ما رآه فيها، واصفا مدنها ومسالكها ومسافاتها، وأنهارها وثرواتها، وكتاب صورة الأرض طبع مرتين في ليدن، نشر في طبعته الأولى باسم " المسالك والممالك، والمفاوز والمهالك"، ثم حسّنت طبعته ونشرت ثانية بعنوان " صورة الأرض"، وهي الطبعة التي اعتمدناها في هذا البحث، وقد أفادنا فيما يخص ذكر الصادرات الأندلسية نحو المشرق، وذكر تجارة الرقيق، ووصف الأسواق والطرق وغيرها.

- الادريسي، الشريف محمد بن عبد الله الحمّودي (تـ حوالي 560هـ / 1166م)، له كتاب **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق،** ويوجد تشابه كبير بين المعلومات التي يذكرها الادريسي عن المدن والأماكن في كتابه هذا مع تلك التي يذكرها الحميري في الروض وذلك أن الحميري قد اقتبس معلوماته عن الادريسي، واعتمدنا في بحثنا على الجزء المتعلق بالأندلس اعتمادا كبيرا، فالإدريسي يبرز من خلال المعلومات التي يوردها الكثير من مظاهر الحياة الاقتصادية بالأندلس، مثل ذكره للمرافق التجارية كالأسواق والفنادق، والثروات الطبيعية التي بمدن الأندلس وكذلك الصناعات، لكن تقديره للمسافات

يفتقر للدّقة، ومع ذلك يتمتع الكتاب بأهمية كبيرة ذلك أن الادريسي يعد شاهد عيان لكونه قد زار معظم المناطق التي يذكرها.

ـ الحميري، محمد بن عبد المنعم (توفي أواخر القرن التاسع للهجرة) له كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار الذي هو عبارة عن معجم جغرافي رتّبه على حروف المعجم ليسهل على القارئ كشف اسم الموضع الذي يريده، أورد فيه أماكن ومدن العالم الاسلامي وغير الاسلامي المشهورة أو المرتبط ذكرها بواقعة تاريخية أو حدث هام، لذا نجده يذكر لنا من مدن الأندلس أكثرها أهمية وشهرة أو المرتبطة بحدث معروف ،وهو يصف لنا هذه المدن والأماكن ذاكرا موقعها وخصائصها الجغرافية والاقتصادية وهو الأمر الذي خدم بحثنا كثيرا، الا أنه قد أغفل ذكر المصادر التي اعتمد عليها، وان كان هذا ما يعاب عليه فانه تبقى لكتابه أهمية كبيرة لا يمكن للباحث في تاريخ العصر الوسيط الاستغناء عنه.

ـ المقدسي، شمس الدين (تـ 388هـ / 998م) له كتاب أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم الذي يعتبر ذو أهمية كبيرة لاعتماد صاحبه على الدّقة فيما يذكره من معلومات نظرا لاعتماده على ملاحظاته ومشاهداته التي هي بمثابة معرفة مباشرة ، واستفدنا منه هو الآخر في معرفة بعض خصائص المدن خاصة ما تعلق منه بمنتجاتها الزراعية.

3 ـ كتب النوازل والفقه:

ـ ابن سهل: أبو الأصبغ عيسى (تـ 486هـ / 1093م) لـه كتـاب الأحكـام الكبـرى، وهـو من أضخم الكتب الفقهية بحيث يتضمن مجموعة كبيرة جدا من الأحكام المتعلقة بحياة الناس اليومية، وقد استفدنا منه في التعرف على بعض المعاملات التي كانت تتم في الأسواق أو الموانئ، التي صورها لنا بمنتهى الموضوعية وهذا ما يزيد من أهميته.

ـ **ابن رشد:** للفقيه أبي الوليد بن أحمد بن رشد المالكي القرطبي (ت 520هـ/ 1126م)،

الكتاب عبارة عن مجموعة من النوازل والفتاوى التي طرحت على ابن رشد والتي قام تلميذه ابن الوزان* بجمعها وترتيبها في كتاب مستقل عرف باسم فتاوى ابن رشد أو نوازل ابن رشد.

ينقسم الكتاب الى ثلاثة أسفار، وهي عبارة عن فتاوى صادرة عن ابن رشد في بعض المسائل الفقهية، لذا فإن الكتاب يقدم معلومات قيّمة مستقاة من الواقع اليومي، بأسلوب مباشر عفوي بعيد عن التصنّع والذاتية، فهي تتناول عدة جوانب اجتماعية ودينية واقتصادية في الأندلس خلال النصف الثاني من القرن الخامس الهجري، الحادي عشر الميلادي، وحوالي الربع الأول من القرن السادس الهجري ، الثاني عشر الميلادي، وقد أفادت بحثنا تلك النوازل المتعلقة بأساليب التعامل التجاري ووسائله.

(*)ابن الوزان: هو الفقيه أبو الحسن محمد بن عبد الرحمن بن ابراهيم بن يحيى بن مسعود المعروف بابن الوزان المتوفي سنة 543هـ .

ـ **الونشريسي: أبو العباس أحمد بن يحيى** (تـ 914هـ / 1508م)، لـه كتـاب **المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء افريقية والأندلس والمغرب**، ويتكون الكتـاب من ثلاثة عشر جزءا، أفادنا منها الجزء الخامس والسادس نظرا لمـا يتضمّنه من نـوازل متعلقة بأمور البيع والمعاملات التجارية بين النـاس، وهو يقدم لنـا مـادة غزيـرة بأسلوب مباشر ولغة بسيطة تصور بوضوح واقع الناس في حياتهم اليومية.

4ـ كتب الحسبة:

ـ **آداب الحسبة:** لمؤلفه أبي عبد الله محمد بن أبي محمد السّقطي (تـ 631هـ / 1234م)، ويعرف أيضا بالمالقي نسبة الى مدينة مالقة الأندلسية، والكتـاب عبـارة عن مجموعـة من قضايا الحسبة قام المؤلف بترتيبها في أبواب، كل باب خاص بفئة معينة من فئـات التّجـار أو الصّنـاع الـذين تطّبـق علـيهم نظـم الحسـبة فـي الأسـواق، مثـل البـاب الخـاص بالكيـل والكيّالين والباب الخاص بعملة الدقيق والخبز وباعتهما، وباب في العطارين والصيادلة.

وآخر في باعة الرقيق من الجواري والعبيد، وآخر فـي الصنّاع والصنائع، وهو فـي كل باب من هذه الأبـواب يذكر لنـا طـرق الغش التـي كانـت تحدث فـي الأسواق، وكيف يتصـرف المحتسـب لقمعهـا، لـذا فكلهـا مواضـيع تصـب فـي صـميم البحـث، وقـد أعطتنـا صورة واضحة عن الأسواق والنظم السارية فيها وعن أنـواع التجـار والحـرفيين وغيـر ذلك، وما زاد من أهمية الكتاب هو أن صاحبه كان محتسبا يشرف عن الأسواق ولـه علـم بكل ما فيها من صغائر الأمور وكبائرها، كما أنه أندلسي الأصل من أهل مالقة.

وكما لا يخلو أي عمل من الصعوبات والمتاعب قد واجهتنا بعض العراقيل خلال انجاز هذا البحث نذكر منها :

ـ مشكلة تنوع مصادر البحث في موضوع التاريخ الاقتصادي نظرا لتناثر المادة العلمية في عدة مصادر مثل المصادر الجغرافية والتاريخية وكتب الفقه والنوازل وكتب الحسبة وغيرها.

ـ صعوبة التعامل مع بعض هذه المصادر خاصة منها كتب النوازل التي نجدها تذكر لنا معلومات هامة متعلقة بالجانب الاقتصادي ولكن على شكل أسئلة فقهية تحتاج الى تحليل واعادة صياغة لتوظيفها ضمن سياق البحث.

ـ صعوبة إعطاء أرقام دقيقة أو احصاءات ثابتة فيما يخص هذا النشاط في ظل شح المصادر عن تزويدنا بمعلومات وافية .

ـ صعوبة فهم بعض المصطلحات والتسميات نظرا لكوننا ندرس فترة بعيدة من الناحية الزمنية، فالكثير من الأشياء والأماكن قد تغيرت مع الوقت تسميتها مما يجعلنا في كل مرة نلجأ الى القواميس والمعاجم .

ـ اخفاقنا في الحصول على بعض المصادر والمراجع التي كانت ستخدم البحث الى حد كبير.

ـ ومن الصعوبات أيضا ضيق الوقت لأن البحث الجاد في موضوع كموضوع التجارة خلال مدة زمنية طويلة يحتاج الى مطالعة عدة كتب في مختلف المواضيع، فكما قلنا إن المادة التي نسعى الى جمعها تتفرق في مصادر متعددة، كما يجب على الباحث في التاريخ الاقتصادي أن يكون مطلعا على التاريخ السياسي نظرا للترابط الوثيق فيما بين الجانبين، وهذا ما يحتاج الى وقت أطول وجهد أكبر.

ثم اننا لا ندّعي في العلم فلسفة، ولا نقول أن هذا البحث المتواضع قد استوفى جميع الجوانب، فباب البحث دائما يبقى مفتوح أمام الباحثين، ولكل عمل اذا ما تمّ نقصان، لكن هذا ما وفقنا الله اليه، فله الحمد أولا وآخرا، كما نشكر جميع من أعاننا لانجازه سواء من بعيد أو من قريب.

فصل تمهيدي

لقد أطلق المسلمون اسم الأندلس على شبه الجزيرة الإيبيرية (اسبانيا) التي حكموها خلال القرون الوسطى، إلا أن هناك خلاف كبير حول أصل هذه التسمية، ولعل أرجح الأقوال التي وردت بهذا الخصوص هي تلك التي ترجع أصلها إلى الفاندالس الذين استوطنوها، ويسمّيهم ابن الأثير بـ : "الأندلش" حيث يقول أن: << أول من سكنها قوم يعرفون بالأندلش، بشين معجَمة، فسمّي البلد بهم، ثم عُرِّبَ بعد ذلك بِسين مهملة>>[1].

كذلك قال الحميري أن أصل لفظة الأندلس يعود إلى<< الأنديلش الذين سكنوها>>[2]، وكانت هذه البلاد قبل ذلك أي قبل أن تسمّى أندلسًا تدعى " أشبانية " وهو اسم مشتق << من اسم رجل ملكها في القديم كان اسمه اشبان، وقيل سميت بالأشبان الذين سكنوها في الأول من الزمان>>[3] ، بمعنى أنها لم تسمى بـ "الأندلس" الا بعد مجيء العرب اليها، يقول كولان: << يرتبط اسم الأندلس فرضا باسم الوندال (الأنديلش) الذين أطلقوا على بايتيكا اسم"ونداليشيا" عندما عبروا شبه جزيرة ايبيريا قبل غزوهم لشمالي افريقية>>[4].

ويقول الأمير شكيب أرسلان أن الأنديلش أو الفاندالس : << جيل من الناس كانوا يسكنون بين نهر "الأودر" oder ونهر "الفيستول" vistule في شرقي ألمانية، ويقال أنهم من أصل جرماني، ويقال إن بعضهم من أصل سلافي أو صقلي كما تقول العرب، وهؤلاء الفاندالس زحفوا من الشمال إلى الجنوب حتى بلغوا بوغاز جبل طارق، وذلك سنة 411 قبل المسيح، ومن هناك أجازوا إلى افريقية، فلما عرفهم أهل افريقية أطلقوا اسمهم على البلاد التي جاءوهم منها وسموا هذه البلاد بالأندلس>> [5].

(1) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، ج4 ، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، د.ط، 2010 ، ص35.

(2) الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت،ط1/ 1975، ط1984/2، ص32 .

(3) نفسه.

(4) ج.س كولان، الأندلس، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ودار الكتاب المصري، القاهرة، ط1، 1980، ص 58.

(5) شكيب أرسلان، الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية، ج1 ، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت، ص32 .

لكن اسم الأندلس هذا بدأ يفقد مدلوله تدريجيا ، فبعد أن كان يطلق على مساحة كبيرة من شبه جزيرة ايبيريا أو بالأحرى اسبانيا صار مقصورا على الأقاليم الجنوبية التي ظلت في حوزة المسلمين، ثم لم يعد يُعرف به بعد ذلك سوى اقليم صغير هو مملكة غرناطة [1].

وقد تعاقب على بلاد اسبانيا أقوام عدة قبل الفتح الاسلامي، كالايبيريين والكلتيين الذين قدموا اليها من الشمال ومن هذا المزيج تكوّن الشعب الاسباني القديم Celtiberos، ثم جاء الفينيقيون والقرطاجيون الذين توسعوا في السواحل الجنوبية لشبه الجزيرة، ثم حلّ الرومان محلّهم قرابة ستة قرون كانت مدة كافية لإعطاء اسبانيا الطابع الروماني [2].

وفي أوائل القرن الخامس الميلادي تعرضت الامبراطورية الرومانية لهجرات جرمانية واسعة النطاق أتت من شواطئ بحر البلطيق وأراضي الراين والدانوب، ومن أهم هذه الهجرات هجرة قبائل الوندال ، ثم توالت الهجرات حتى جاء القوط الغربيون الذين استطاعوا في ظل ضعف الامبراطورية الرومانية الاستيلاء على شبه الجزيرة الايبيرية[3].

لكن الأندلس وعلى طول هذه الفترات التي عاشتها قبل الفتح ظلت تعاني من سوء أوضاع المعيشة وتفشي الجهل والتخلف وفساد الأنظمة فنتج عن ذلك انتشار الظلم والطبقية، فالمسلمون لما افتتحوا الأندلس وجدوا << الشعب الإسباني المغلوب ما يزال يعيش في ظل بقايا النظم الرومانية التي اتخذها القوط أساسا لتشريعاتهم ونظمهم الادارية>>[4]، والتي قوامها الظلم والجور ومن أبشع صور الظلم في هذا المجتمع أن ينعم الحكام ورجال الدين بكل خيرات البلد فيما يغرق باقي الشعب في وحل الفقر والبؤس والشقاء .

(1) كولان، مرجع سابق، ص 19.

(2) أحمد مختار العبادي، تاريخ المغرب والأندلس، دار النهضة العربية، بيروت، د.ط، د.ت، ص 23.

(3) نفسه، ص 30.

(4) محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس (العصر الأول، القسم الثاني: الخلافة الأموية والدولة العامرية) ، مكتبة الخانجي، القاهرة ، ط4 ، 1997 ، ص698 .

إن هذه الظروف السيئة التي كانت تعيشها اسبانيا قد تزامنت مع انتهاء المسلمين من فتح كامل بلاد شمال إفريقيا صعودا من مصر فليبيا فإفريقية وصولا إلى غاية مياه المحيط الأطلسي بفتح كامل قطر المغرب الأوسط والأقصى، لذا لم يبق أمام المسلمين سوى الاتجاه شمالا وعبور مضيق جبل طارق نحو اسبانيا لاستكمال فتوحاتهم وتوسيع رقعة الإسلام بتبليغ كلمة التوحيد إلى أقصى أقطار الدنيا، وكان فتح اسبانيا التي سمَاها المسلمون بالأندلس سنة 92هـ، أي في عصر الخلافة الأموية وبالضبط في خلافة الوليد بن عبد الملك (86 هـ - 96 هـ/ 705م - 715 م) وهذا على يد طارق بن زياد << قال الواقدي: غزا طارق بن زياد عامل موسى بن نصير الأندلس وهو أول من غزاها، وذلك في سنة اثنتين وتسعين>>[1].

وبدخول الإسلام إلى هذه البلاد وسيطرة المسلمين عليها يكون قد بدأ فيها عهد جديد وهو العصر الإسلامي الأول الذي اصطلح المؤرخون على تسميته بعصر الولاة وذلك أن الأندلس كانت تابعة في حكمها إلى إفريقية التي تخضع وإياها لسلطة الخليفة الأموي بدمشق .

وقد دام عصر الولاة من سنة 95هـ/714م إلى غاية 138هـ/ 755م وفيه حاول المسلمون توطيد حكمهم بها وغرس عقيدتهم في نفوس الأندلسيين، وإصلاح ما فسد من الأمور بإحلال العدل وتنظيم الشؤون الاجتماعية وكذلك العناية بالمجالات الاخرى كالزراعة والصناعة والتجارة وبنفس الوقت مواصلة الجهاد لفتح مناطق جديدة، غير أن السنوات الخمس عشرة الأخيرة من هذه الفترة اتسمت بالضعف نتيجة المؤامرات والمكائد التي تزايدت والتي أذكتها روح العصبية القبلية آنذاك، كما أن سوء الأوضاع في هذا القطر التابع لدار الخلافة بدمشق كان انعكاسا لما عانته الخلافة نفسها من تصدع وانشقاق في هذه الفترة بالذات.

(1) البلاذري، فتوح البلدان، تعليق وتقديم شوقي أبو خليل، منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية، دمشق، د.ط، 1997 ، ص316 .

وبعد وفاة الخليفة هشام بن عبد الملك عام 125هـ بدأت عوامل الضعف تسري في جسد الخلافة الأموية، وكثرت الاضطرابات والفتن وتداعى على اثرها البيت الأموي فانتهز أصحاب الدعوة العباسية الذين كانوا بخراسان هذه الفرصة للجهر بدعوتهم، وحالفهم الحظ في ذلك وهكذا <<انتقل الأمر بالمشرق إلى بني العبَاس، فكانت دولتهم أعجمية سقطت فيها دواوين العرب وغلب عجم خراسان على الأمر، وعاد الأمر ملكا عضوضا كسرويا>>[1].

وهذا بعد أن دارت بين الجيش الأموي والجيش العباسي <<رحى معركة عنيفة عند نهر الزاب في شهر جمادى الآخرة عام 132 هـ>>[2].

انتهت بانتصار العباسيين والذين سيبدأ معهم عصر جديد في تاريخ الإسلام ألا وهو عصر الخلافة العباسية، إلا أن هؤلاء العباسيين لم يكتفوا بهذا القدر من التفوق والانتصار فعمدوا إلى قتل جميع أفراد الأسرة الأموية بدءا بالأمراء وصولا إلى الأحفاد فلم يسلم منهم أحد إلا من عصمه أجله، وكل هذا في سبيل أن يضمنوا لأنفسهم عرش الخلافة فلا ينازعهم فيه منازع من الأسرة الأموية المغلوبة، وبمشيئة من الله كان عبد الرحمن بن معاوية حفيد هشام بن عبد الملك أحد الأمويين الذين لم تصل إليهم سيوف بنو العبَاس، وقد كان عبد الرحمن مؤهلا لولاية الحكم، إذ قد نشأ في بيت الخلافة الأموية وتميز بصفات القيادة، ورغم مطاردة العباسيين له إلا أنه نجح في الفرار منهم متجها نحو بلاد المغرب الإسلامي فقد << خرج عبد الرحمن بن معاوية مختفيا من موضع إلى موضع، وهمّه الأندلس لِما كان في نفسه من أمرها ومن الأثر المروي عنه فيها>>[3].

(1) ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج2 ، تحقيق ج.س كولان، وليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط2 ، 1980 ، ص40 .

(2) راغب السرجاني، قصة الأندلس من الفتح الى السقوط، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2011م،ص130.

(3) ابن عذارى المراكشي، مصدر سابق، ج 2 ، ص40 - 41 .

فنزل بإفريقية ومنها سار إلى المغرب الأوسط قاصدا بلاد المغرب الأقصى ليجوز منها إلى الأندلس التي يفصل البحر بينها وبين أجزاء الدولة الإسلامية فهي أضمن مكان قد يحتمي فيه من بطش العباسيين، لكن اتجاهه نحو الأندلس لم يكن بدافع النجاة بنفسه فحسب وإنما لنيته المسبقة في استرجاع بعض أمجاد بني أمية، وهذا ما كان من أمره فقد نجح في الوصول إليها، كما نجح أيضا في تثبيت ملك بني أمية فيها يقول ابن عذارى: << وفي سنة 138هـ، دخل عبد الرحمن بن معاوية الأندلس في غرّة ربيع الأول، وهو أبو الملوك>>[1].

وقد سمّي عبد الرحمن بن معاوية منذ دخوله الأندلس بعبد الرحمن الداخل لأنه أول أمير أموي دخل الأندلس، وسماه ابن عذارى المراكشي بأبي الملوك لأنه نجح بعد دخوله إلى هذا القطر في أن يؤسس ملكا دام في عقبه حوالي ثلثمائة سنة من 138هـ إلى 422 هـ/ 1031م إذ أنه المؤسس الحقيقي لدولة الأمويين الأندلسية وبقدومه انتهى عصر الولاة من الأندلس وبدأ فيها عهد جديد وهو عهد الإمارة الأموية واتخذ مدينة قرطبة عاصمة هذه الإمارة التي عمل على توطيد أركانها وتقوية دعائمها حتى غدت مع الأيام من أكبر الحواضر العالمية التي ينحني لعظمتها التاريخ.

وقد اشتهر من أمراء هذه الدولة عبد الرحمن الناصر وهو أحد أحفاد عبد الرحمن الداخل، ومرد شهرته أنه غير نظام الحكم فحول الإمارة الأموية إلى خلافة[2] وهذا ابتداء من سنة 316هـ/ 929 م إلى سنة 422هـ/ 1031م، فكانت بذلك ثالث أكبر حواضر الدنيا وهي الخلافة العباسية بدمشق، والفاطمية بإفريقية والأموية بالأندلس.

(1) ابن عذاري المراكشي، نفسه، ص 44.

(2) وديع أبو زيدون، تاريخ الأندلس من الفتح الاسلامي حتى سقوط الخلافة في قرطبة، مراجعة هاني الجمل، الاهلية للنشر والتوزيع، بيروت، ط2، 2008، ص 228.

فلم تبلغ الأندلس من القوة مثل الذي بلغته في هذا العصر حيث ارتفعت مكانتها عالميا وتجلّت مظاهر عظمتها في جميع المجالات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والعسكرية وبعد أن بلغت هذه الخلافة الأموية الأندلسية أوج عظمتها وذروة قوتها بدأت تميل شيئا فشيئا إلى الضعف وتركن إلى العجز لاسيما بعد وفاة الحاجب المنصور بن أبي عامر الذي استحوذ على الحكم بعد أن كان حاجبا لهشام المؤيد بن الحكم المستنصر، فخلفه ابنه عبد الملك في الحجابة ثم ابنه عبد الرحمن الذي صار وليا للعهد لهشام المؤيد، غير أن الناس ثاروا فقتلوا عبد الرحمن وخلعوا هشاما ثم تولى خلفاء ضعاف إلى غاية وفاة المعتد بالله بن محمد آخر الخلفاء.

وبعد سقوط الخلافة الأموية تأتي فترة حرجة وعصيبة على الأندلس قام فيها أمراء صغار باقتسام أملاك الدولة الأموية، وقد أدى انقسام الأندلس لدويلات الطوائف << الى ظهور العنصرية الهدّامة بين المسلمين عربهم وبربرهم وصقالبتهم، واستعان بعضهم على بعض، بنصارى الشمال الذين وجدوا في ذلك سيفا مسلطا على الاسلام، وفرصة مواتية للقضاء عليهم>>[1] وإن كانت هذه الأسرات (ملوك الطوائف) في الحقيقة لم تضف <<أي شيء للمجد الحربي للإسلام، ومع ذلك تبدو هذه الفترة بصورة مشرفة في تاريخ الحضارة الإسلامية>>[2] وهذا حتى نكون منصفين في الحكم عليها من الجانب الحضاري.

(1) السيد عبد العزيز سالم، تاريخ المغرب في العصر الاسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، د.ط، 2011، ص 632.

(2) جورج مارسيه، بلاد المغرب وعلاقاتها بالمشرق الإسلامي في العصور الوسطى، ترجمة محمود عبد الصمد هيكل، منشأة المعارف، مطبعة الانتصار، الاسكندرية، د.ط، د.ت، ص280 .

وان ظلت من الجانب السياسي تحكمها الفرقة والتشتت نظرا لاستبداد << كل حاكم بجهته فالعائلات العريقة في الوسط، والبربر في المدن الجنوبية والصقالبة العامريين استبدوا بالمدن الشرقية>>[1]، وهذا ما زاد من مطامع النصارى في الاستيلاء على البلاد وانتزاعها من أيدي المسلمين، فازدادت معاناة الأندلس نتيجة الصراعات المريرة بين دويلات الطوائف بعضها البعض وبينها وبين الممالك المسيحية في الشمال التي توالت هجماتها على البلاد خاصة في عهد ألفونسو السادس ملك قشتالة الذي قاد أشرس الهجمات على المدن الأندلسية يقول ابن أبي زرع أنه في سنة 475 هـ<<تحرك ألفونسو السادس لعنه الله في جيوش لا تحصا من الروم ومن الإفرنج والبشكنس والجلالقة وغيرهم، فشق بلاد الأندلس شقا يقف على كل مدينة منها ثلاثة أيام فيفسد ويخرب ويقتل ويسبي ويرتحل إلى غيرها>>[2]

ما جعل ملوك الأندلس عندما احتدم بهم الأمر إلى الاستنجاد بالدولة المرابطية التي ظهرت في جنوب صحراء المغرب الأقصى وذاع صيتها عبر العالم الإسلامي، فراسلوا أمير المرابطين آنذاك وهو يوسف بن تاشفين لتخليصهم من الفونسو السادس وعمله، وبدافع الجهاد لبى يوسف بن تاشفين نداء الاستغاثة وجاز إلى الأندلس مع جيوشه التي انضمّت إليها جيوش ملوك الطوائف فكانت الموقعة الشهيرة التي حدثت بإحدى نواحي مدينة بطليوس بين المرابطين وجيوش الفونسو السادس والتي انتصر فيها المسلمون وكانت من أكبر أمجاد الدولة المرابطية ،<< وتعرف الرواية العربية هذه الموقعة المزدوجة التي استمر لظاها في يوم 23 أكتوبر 1086 م الموافق 12 رجب 479 هـ باسم واحد هو موقعة الزلاقة وهو اسم السهل الذي وقعت فيه>>[3].

(1) كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، نقله نبيه آمين فارس، ومنير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، 1968 ، ص306.

(2) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، د.ط، 1972 ، ص143 .

(3) يوسف أشباخ، تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ترجمة محمد عبد الله عنان، ج1 ، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1996 ، ص90 .

لكن الوضع لم يستقر في الأندلس بعد الزلاقة بسبب رجوع يوسف بن تاشفين الى المغرب وعودة ملوك الطوائف الى التناحر فافتقد السكان أمنهم واستقرارهم ثانية << وضج المسلمون بالشكوى واستصرخوا المرابطين للمرة الثانية>>(1) وكان ذلك سبب الجواز الثاني ليوسف بن تاشفين الى الأندلس، ولكن في هذه المرة ليس لمقاتلة النصارى فقط، انما لاستئصال شأفة ملوك الطوائف وتوحيد الأندلس، فقد << أفصح يوسف بن تاشفين أن غرضه من ملك الأندلس هو انقاذها من أيدي النصارى بعد أن غفل عنها أهلها بسبب تخاذل ملوك الفتنة>>(2) وهكذا تحول المرابطون من محاربة الفونسو إلى محاربة ملوك الطوائف وهي الحرب التي << انتهت بضم كل ممالك الأندلس إلى دولة المرابطين>>[3]، أي أن الأندلس صارت مجرد ولاية تابعة للدولة المرابطية المعتصمة بمراكش.

ولم يمنع ذلك من أن تحظى هذه البلاد بانتعاش مس جميع المجالات نتيجة ما وفره لها هؤلاء المرابطون من أمن وحماية ناهيك عما بذلوه من جهود في سبيل تحرير الأراضي الأندلسية التي استلبها النصارى، كما أن إلغاء المرابطين للضرائب والمكوس غير الشرعية كان له أثر كبير في انتعاش الحياة الاقتصادية بازدهار الزراعة والصناعة وأيضا التجارة التي توسعت أفاقها بعد تأمين الأسطول المرابطي للطرق الخارجية خاصة الرابطة بينها وبين المغرب الأقصى وبلاد السودان ونعني بذلك فتح أسواق جديدة للمنتجات الأندلسية وأيضا ضمان تجارة الذهب.

(1) السيد عبد العزيز سالم، تاريخ المغرب في العصر الاسلامي، ص 643.

(2) مجموعة مؤلفين، موسوعة الأندلس والمغرب العربي، ج1، دار المدار الثقافية للطباعة والنشر والتوزيع، البليدة، ط1، 2009، ص 546.

(3) راغب السرجاني ، ص 515.

إلا أن عهد الدولة المرابطية لم يطل حتى عصفت بها ريح الفناء التي عصفت بدولة الأمويين قبلها وهذه سنة الله في خلقه.

فقد بدأ الضعف يدب في أوصالها منذ سنة 512هـ / 1118م وهذا لجملة من الأسباب الداخلية والخارجية عجلت بانهيارها، ولعل أهمها فساد عمال المرابطين على الأندلس وانشغالهم باللهو والملذّات[1]، وثورات أهل الأندلس على المرابطين بالداخل وتوحد القوى النصرانية بالشمال ضدها، وظهور خطر المهدي بن تومرت من الجنوب الأمر الذي أنهك قواها وأدى بها إلى السقوط، ومن التداعيات الخطيرة التي نجمت عن انهيار الدولة المرابطية نذكر سقوط عدة مدن هامة منها المرية وطرطوشة ولاردة في أيدي النصارى ودخول البلاد في مرحلة من الاضطراب عم جميع المجالات وقد عدت هذه المرحلة بكونها مرحلة انتقالية من الحكم المرابطي إلى الحكم الموحدي، فبعد أن تغلب الموحدون بقيادة عبد المؤمن بن علي على المرابطين في المغرب الأقصى ودخولهم مراكش تجهزوا لدخول الأندلس التي كانت بنظرهم بمثابة الارث الهام وقد تيسّرت لهم الظروف خاصة بعد إعلان معظم الأندلسيين لاسيما اولئك الثائرين على الحكم المرابطي ولاءهم وطاعتهم للموحدين فقد شرعوا في إرسال بيعاتهم إلى عبد المؤمن وهو ما يزال بمراكش ويذكر لنا ابن عذاري أن أهل إشبيلية كانوا أول وفد دخل مراكش لمبايعة عبد المؤمن حيث يقول: << وكان وصول هذا الوفد بالبيعة إلى عبد المؤمن ودخولهم مراكش في شهر ذي الحجة من العام المؤرخ>> ويعني بذلك عام 541هـ [2].

(1) مجموعة مؤلفين، مرجع سابق، ص 553.

(2) ابن عذارى، مصدر سابق، ج ، ص33 .

كما أعلن العديد من الثوّار الذين كانوا بالأندلس الطاعة لعبد المؤمن وقد شجّعهم على ذلك ما حققه الموحدون من انتصارات على المرابطين في وهران خاصة وكذلك مصرع تاشفين، وهكذا تسنى لعبد المؤمن بعد اجهازه على المرابطين في المغرب من دخول الأندلس مطمئنا حيث كان موقف المرابطين هناك حرجا للغاية فما لبث الموحدون أن قضوا عليهم، وأقاموا على أنقاض دولتهم دولة جديدة ورثت كل ما كان للمرابطين بالأندلس بما في ذلك الصراع مع النصارى، فواصل الموحدون ما بدأته الدولة المرابطية من جهاد ضد النصارى لاسترداد ما وقع بأيديهم من مدن أندلسية كما عملوا على النهوض بمختلف المجالات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية فعاد الازدهار والرقي ليعم الأندلس في عهدهم الذي يبدأ من سنة 541هـ/ 1147 م وإلى غاية سنة 642 هـ / 1244 م وهو تاريخ نهاية هذه الدولة بالأندلس.

الفصل الأول

. المقومات الاقتصادية بالأندلس:

1 . المقومات الطبيعية:

أولا: الموقع الجغرافي.

ثانيا: المناخ.

ثالثا: التضاريس.

رابعا: الثروات الطبيعية.

2 . المقومات البشرية:

أولا: دور العناصر السكانية في الحياة الاقتصادية.

ثانيا: أهم مناطق تركز السكان.

ثالثا: اليد العاملة المتخصصة.

3 . المقومات الصناعية:

أولا: الصناعات الزراعية.

ثانيا: الصناعات المعدنية.

ثالثا: الصناعات الحجرية.

ـ المقومات الاقتصادية بالأندلس ـ

I . المقومات الطبيعية :

تعد المقومات الطبيعية لأي بلد من البلدان عاملا هاما وأساسيا في نشاطه الاقتصادي، ونعني بالمقومات الطبيعية كل من الموقع والمناخ والتضاريس والمياه، مع مجموع الثروات النباتية والحيوانية والمعدنية والحجرية، التي تشكل مع بعضها البعض قاعدة متينة لقيام نشاط اقتصادي متكامل، وباعتبار التجارة أحد أهم محاور الاقتصاد، فإنها لا شك تتأثر بكل هذه المقومات التي ذكرناها، إما تأثرا سلبيا يقلص من نشاطها وانتشارها، وإما تأثرا ايجابيا يوسّع آفاقها ويزيد من ازدهارها، لذلك لن تكتمل دراسة موضوع التجارة كمجال من مجالات الاقتصاد دون الوقوف على أهم هذه المقومات الطبيعية.

أولا : الموقع الجغرافي:

أطلق المسلمون اسم الأندلس على البلاد التي فتحوها من شبه جزيرة ايبيريا أو بالأحرى من بلاد اسبانيا، التي تقع << مقابل بر العدوة من بلاد المغرب وبينهما بحر الزقاق >>[1] وهي بذلك تحتل موقعا جغرافيا جد استراتيجي.

وقد وردت في كتب المؤرخين والجغرافيين والرحالة أوصاف كثيرة لبلاد الأندلس بخصوص موقعها، يقول ابن عذارى:<< أما صفة الأندلس فإنها جزيرة مركنّة ذات ثلاث أركان ، فالأندلس كلها محدقة بالبحر، البحر المحيط الغربي والبحر المتوسّط القبلي ويصعد منه قليل الى ناحية الشرق>>[2].

(1) القلقشندي، صبح الأعشى في كتابة الانشاء، ج5، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1915م، ص 211.

(2) ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج2، تحقيق ج. س كولان، وليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط2، 1980، ص 01.

وسميت الأندلس جزيرة لأنها محاطة بالمياه في معظم جهاتها وليس من كل الجهات، اذ تفصلها عن بلاد الغال ناحية الشمال سلسلة جبال البرت أو البرتات، وقد أشار الى هذه النقطة ياقوت الحموي حيث قال: << فان بعض من لا علم له يعتقد أن الأندلس يحيط بها البحر في جميع أقطارها لكونها تسمى جزيرة وليس الأمر كذلك، وانما سميت جزيرة بالغلبة>> [1] ويعني غلبة الماء عن اليابس فيما حاطها، فهي محاطة بالبحر من معظم الجهات، فشرقا يحدها البحر الرومي أو يقال له الشامي (المتوسط)، ومن جهة الغرب والجنوب الغربي يحدها المحيط الأطلسي، وفي جزء من الناحية الشمالية يحدها خليج الانقليشيين (بسكايه) والمتبقي من هذه الجهة تشغله سلسلة جبال البرت، وهي بهذا تشكل << وحدة جغرافية منفصلة عن بقية أجزاء المغرب بما حاطها من مياه البحر المتوسط والمحيط الأطلسي>>[2] إلا أنها تظل على مرمى حجر منه، فلا يفصلها عنه سوى مضيق جبل طارق[3] الذي يفصل الأندلس عن المغرب، وقد عبّر عن ذلك ياقوت الحموي بقوله **<<** وعرض فم الخليج الخارج من البحر المحيط قدر اثني عشر ميلا بحيث يرى أهل الجانبين بعضهم بعضا ويتبينون زروعهم وبيادرهم**>>**[4]. وجاء في نفح الطيب للمقري **<<** قال ابن سعيد :

(1) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج1، دار صادر، بيروت، د.ط، 1977، ص 263.

(2) عز الدين عمر موسى، النشاط الاقتصادي في المغرب الاسلامي خلال القرن السادس الهجري، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ط2، 2003، ص 47.

(3) جبل طارق: يقع في أقصى جنوب اسبانيا، أسماه الفينيقيون الجبل المجوف لوجود مغارة كبيرة فيه، وبعد الفتح العربي الاسلامي أطلق عليه اسم الصخرة وجبل الفتح لتغلب عليه تسمية جبل طارق نسبة الى فاتح الأندلس طارق بن زياد ـ الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت،ط1/ 1975، ط2/1984، ص 121.

(4) ياقوت الحموي، نفسه، ص 262.

وجاء في نفح الطيب للمقرّي **<<** قال ابن سعيد : ومخرج بحر الروم المتصاعد الى الشام هو بساحل الأندلس الغربي بمكان يقال له الخضراء ما بين طنجة من أرض المغرب وبين الأندلس فيكون مقدار عرضه هناك كما زعموا ثمانية عشر ميلا[1]، وهذا عرض جزيرة طريف الى قصر مصمودة بالقرب من سبتة، ويعرف هذا الموضع بالزقاق**>>**[2]، وعليه فان المسافة التي تفصل المغرب عن الأندلس هي مسافة ضيقة لا وزن لها من ناحية قيام نشاط اقتصادي بينهما، خاصة وأن الطابع الجزري الذي يميز البلاد الأندلسية مع وقوعها جنوب القارة الأوربية يجعلها دائما في عزلة عن مؤثرات هذه البلاد بسبب جبال البرت (البرانس)في الشمال التي تقف كحاجز طبيعي بين الأندلس وباقي بلدان أوربا، بينما تنفتح بلاد الأندلس من ناحية الشرق والجنوب على جميع المؤثرات الشرقية الآتية اليها عبر البحر الشامي الذي يعد أكبر منفذ من منافذ التبادل الحضاري عامة بين الأندلس و بلدان ايطاليا وصقلية وما والاها وصولا الى غاية الهند والصين ،وبلدان المغرب الاسلامي من أقصاه الى أدناه والذي سيشكل بدوره همزة وصل بينها وبين بلدان المشرق الاسلامي كذلك.

---

(1) الميل: يقدر المالكية الميل بـ : 3500 ذراع، على ما صحّحه ابن عبد البر فالميل : (3500 X53) = 1855.00 مترا، وهو نفسه عند الحنفية.

- علي جمعة محمد، المكاييل والموازين الشرعية، القدس للإعلان والنشر والتسويق، القاهرة، ط2، 2001، ص 53.

(1) أحمد بن محمد المقري التلمساني، نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، ج1، تحقيق احسان عباس، دار صادر، بيروت، 1968، ص 145 - 146.

ويمكن القول، أن أهمية الموقع الذي تحتله الأندلس اضافة الى اتساع رقعتها جعل منها بلدا متنوعا في مناخه وتضاريسه وغطائه النباتي غنيا بالخيرات، يقول ليفي بروفنسال (مستشرق)<< اذ ما من بلاد تؤلف كتلة كهذه في وضوح حدودها الطبيعية، وما من بلاد أيضا تفوق هذه البلاد فيما تبديه من متناقضات داخلية في شكلها الطبيعي وفي مناخها>>[1]، فان كان للموقع دور في تحديد الأهمية الاستراتيجية للبلاد فان لمناخها وتضاريسها دور لا يخفى في تأكيد ذلك، باعتبارهما من المقومات الاقتصادية الهامة التي نحن بصدد دراستها.

ثانيا : المناخ:

تتميز الأندلس باعتدال مناخها على العموم، تتعاقب عليها أربعة فصول على مدار السنة الشتاء و الربيع و الصيف و الخريف.

تتفق معظم المصادر التي اطلعنا عليها على ميزة الاعتدال بالنسبة لمناخ الأندلس هذا برغم التغيرات التي تطرأ على درجة الحرارة في بعض المناطق المرتفعة والمتوسطة الارتفاع، فيكون الشتاء فيها شديد البرد كما يشتد الحر بمناطق أخرى صيفا.

قال الرازي: <<بلد الأندلس هو اخر الاقليم الرابع الى المغرب، وهو عند الحكماء بلد كريم البقعة معتدل الهواء و الجو و النسيم، ربيعه و خريفه و مشتاه و مصيفه على قدر من الاعتدال>>[1].

(1) ليفي بروفنسال، حضارة العرب في الأندلس، ترجمة ذوقان قرقوط، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت، ص 14.

(2) المقري، مصدر سابق،ج1، ص 129 - 130.

وفي ذات السياق قال عنها ابن خرداذبة في كتاب المسالك والممالك <<الأندلس شامية معتدلة الهواء و الجو والنسيم فصولها الأربعة على صدر أعدل الاعتدال>>[1]، كما تشير مصادر أخرى الى وجود اماكن بالأندلس يسودها المناخ البارد و قد قال ابن الخطيب في ذلك : << وقد اختلفت طباع هذه الأرض لسعة خطتها، وأخذها من الأقاليم بحظوظ، فمن اماكنها المعتدل وغير المعتدل مائلا الى البرد>>[2].

وهو ما نستنتجه أيضا من كلام ابن خرداذبة حين قال: << وفواكهها ملاحقة ببواكر السواحل ومتأخرة الجبال والأماكن و الأماكن الباردة>>[3]، ولا شك ان المقصود بالأماكن الباردة هنا هي تلك الواقعة في الجهة الشمالية، لأنها و حتى يومنا هذا تعتبر مناطقا ممطرة و شديدة البرد خاصة في الشتاء، وكذلك المناطق المرتفعة مثل جبل شلير، ولقد أورد المراكشي تفصيل ذلك كله حيث قسم الأندلس الى قسمين، فمنها ما يقع في الإقليم الخامس بجهة الشمال و يسوده المناخ البارد، يقول : << إن معظم الأندلس في الاقليم الخامس أميل الى الشمال، فلذلك اشتدّ بردها وطالت مدّة الشّتاء فيها >>[4].

(1) مؤلف مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ج1، تحقيق وترجمة لويس مولينا، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، المعهد ميغيل أسين، مدريد، 1983، ص 09.

(2) ابن الخطيب، أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام، تحقيق ليفي بروفنسال، دار المكشوف، بيروت، لبنان، ط2، 1956، ص 04.

(3) مؤلف مجهول، نفسه، ص 09.

(4) عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، *تحقيق محمد سعيد العريان*، المجلس الأعلى للشؤون الاسلامية بالجمهورية العربية المتحدة، د.ط، د.ت، ص 30.

بينما يقع القسم الثاني منها في الاقليم الرابع أي بالجهة الجنوبية ويسوده المناخ المعتدل، << وطائفة من الأندلس في الاقليم الرابع كاشبيلية ومالقة وقرطبة وغرناطة والمرية ومرسية، فهذه البلاد التي ذكرنا في الاقليم الرابع أعدل هواء، وأطيب أرضا وأعذب مياها من البلاد التي في الاقليم الخامس >>[1] .

وبالإضافة الى المناخ المعتدل و البارد نجد ايضا المناخ الجاف بالأندلس الذي يسود بعض المناطق من القسم الجنوبي، فنجدها تميل من الاعتدال الى الحر قليلا، فنظرا لانخفاض الجبال الأندلسية واتجاهها من الشرق الى الغرب تقريبا، << جعلا الرياح الغربية تضرب جميع جهاتها هذا بالإضافة الى ان الرياح القبلية الشرقية تقلل نسبة جفافها بمرورها على مياه البحر المتوسط وقد تصيب بعض شرق الأندلس بمطر صيفي>>[2]، وهو ما يفسر تلك الاضطرابات الجوية التي قد تحدث من حين لآخر والمتمثلة في أمطار فجائية قد تهطل عليها في أي وقت من السنة .

ومنه نلاحظ أن معظم المصادر التي تحدثت عن الأندلس قد اتفقت على أن مناخها يتسم في أغلب الأوقات بالاعتدال، فحتى الجفاف أو الحر الذي تعرفه بعض مناطقها لا يصل الى حد الضرر طبقا لما ذكره الرازي : <<إن الأندلس تقع في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة التي هي ربع معمور الدنيا، فهي متوسطة البلدان، كريمة البقعة ، معتدلة الهواء أكثر الأزمان، لا تزيد قيظها زيادة منكرة تضر بالأبدان، وكذا سائر فصولها في أعم سنيّها تأتي على قدر من الاعتدال، وتوسط الحال >>[3] وهو ما عبر عنه الحميري أيضا حين وصفها قائلا :<< والأندلس شامية في طيبها يمانية في اعتدالها >>[4]، ونستنتج من كل ما سبق أن مناخ الأندلس معتدل الى جاف في معظمه باستثناء المناطق الشمالية التي يسودها المناخ البارد.

(1) عبد الواحد المراكشي، مصدر سابق، ص 30.

(2) عز الدين عمر موسى، مرجع سابق، ص 54.

(3) المقري، مصدر سابق،ج1، ص 70.

(4) الحميري، مصدر سابق، ص 33.

ثالثا: التضاريس:

الأندلس بلد ذو طابع جزري لكون المياه تحيطه من معظم الجهات عدا الجهة الشرقية الشمالية المتمثلة في جبال البرتات Puertos التي تفصل الأندلس عن بلاد فرنسا وما يليها، يقول أبو الفداء :<< وجبل البرت هو حد الأندلس عند الركن الشرقي ويفصل بين الأندلس وبين الأرض الكبيرة>>[1]، وعليه قد حظيت بلاد الأندلس بامتلاك سواحل طويلة من ناحية الشرق وناحية الغرب، أما جنوبا فإنها تشرف على مضيق هام جدا ما يجعل موقعها موقعا استراتيجيا[2] وهو مضيق جبل طارق الذي يربط بين مياه البحر المظلم (المحيط الأطلسي) ومياه البحر الشامي (المتوسط)، وهذا الموقع بالذات جعل الأندلس تنفتح على البلاد الشرقية وتسنّى لها التّحكم في خطوط التجارة بحوض البحر الشامي، كما سمحت سواحلها الطويلة بإقامة الموانئ التي كان لها أثر كبير في قيام نشاط تجاري كثيف مع البلدان المجاورة.

أما التوغّل داخل البلاد الأندلسية يكشف لنا بأنها << من أشدّ أراضي أوربا تخديدًا>>[3] فحوالي النصف من مساحتها الاجمالية تشغله هضبة كبرى تسمى "مسيتا" أو "الميزيتا"، وهي هضبة مرتفعة نسبيا تطوقها مجموعة من السلاسل الجبلية، وبالإضافة الى هذه الهضبة تتشكل التضاريس من مجموعة كبيرة من المرتفعات التي تتباين من حيث الارتفاع، وقد ذكر المقري أن بالأندلس << سبعة وثمانون جبلا>>[4].

---

(1) أبو الفداء، تقويم البلدان، دار صادر، بيروت، د.ط، د.ت، ، ص 169.

(2) الموقع الاستراتيجي هو الموقع الذي يضيف للمنطقة التي تمتلكه ميزة عسكرية واقتصادية عن منافسيها وأعلى درجات الأهمية الاستراتيجية تتمثل في المضائق المحيطية الواقعة على طرق التجارة الهامة مثل مضيق جبل طارق.

(3) ج.س كولان،مرجع سابق، ص 62.

(4) المقري، مصدر سابق، ج1، ص 226.

وأشهر هذه المرتفعات حسب ما ورد في المصادر ، جبال الشارة Sierra أو الشارات[1] الذي يتوسط الأندلس ويمتد من الشرق الى الغرب بحيث يقسمها الى نصفين ، نصف جنوبي ونصف شمالي[2]، وجبل قرطبة المعروف عند المؤرخين العرب باسم جبل العروس، وجبل شلير أو يسمى بجبل الثلج (يعرف هذا الجبل حاليا باسم Sierra Nevada)وهو يمثل أعلى قمّة جبلية في الأندلس، يصل ارتفاع أعلى قمة به الى ثلاثة آلاف وأربعمائة وثمانين مترا، وجبل شقورة Segura الذي لا يقل شهرة عن سابقيه يقع بمدينة شقورة احدى ضواحي مدينة جيانJaen ، الى غير ذلك من الجبال .

وتتخلل هذه الجبال و المرتفعات عدة سهول، مثل السهل الجنوبي الكبير والسهل الغربي الكبير، والسهل الشرقي الذي ينبسط حتى ساحل البحر المتوسط[3]، كما توجد ناحية الشمال بعض السهول الضيقة مقارنة بسهول المنطقة الجنوبية.

فما يمكن قوله عن تضاريس البلاد الأندلسية أنها كتلة معقدة ذات تكوين جبلي ملتوي في معظم المناطق، فالمرتفعات أكثر من المنخفضات مما يكشف لنا أن جزء كبير من المساحة هو عبارة عن أراضي ومرتفعات قاحلة بسبب قلة التساقط خاصة منها الواقعة في الأقاليم الجافة، مما يجعل عملية استغلالها في الزراعة عملية صعبة ، هذا اذا ما قوبل شح الأمطار بضعف الموارد المائية من الأنهار في القسم الأكبر من البلاد ، فمعظم أنهار الأندلس تعتبر أنهارا غير دائمة.

(1) الادريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، المجلد1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2002، ، ص552.

(2) القلقشندي، مصدر سابق، ص 213.

(3) حسين يوسف دويدار، المجتمع الأندلسي في العصر الأموي 138-422هـ/ 755- 1030م، مطبعة الحسين الاسلامية، الاسكندرية، ط1، 1994،، ص 377.

إن طبيعة التضاريس الأندلسية تشبه والى حد بعيد الطبيعة التضاريسية لبلاد المغرب كما لو كانت امتدادا لها، لذا فان الأنهار التي تشق أرض الأندلس لها نفس الخصائص التي لوديان بلاد المغرب، فهي في معظمها تعتبر أنهارا غير دائمة، تمتلئ أيام الشتاء وتجف في الصيف.

ومن هذه الأنهار ما يتجه غربا ويصب في المحيط الأطلسي، ومنها ما يتجه ناحية الشرق وتصب في البحر المتوسط، كما أن الملاحة تصلح في أنهار المنطقة الغربية أكثر من أنهار المنطقة الشرقية، الأمر الذي من شأنه توفير شبكة هامة من المواصلات التي تخدم التجارة بشكل مباشر سواء الداخلية أو مع المناطق المجاورة.

وحسب ما ذكرته المصادر فان عدد أنهـــار الأندلس بلغ الأربعين نهرا<< وبالأندلس أربعون نهرا أكبرها وأعظمها ستة>>[1] وهي أنهار شهيرة نذكر منها:

- **نهر قرطبة (Guadalquivir)**: وهو منبعث من جبال مدينة شقورة ويصب غربا في المحيط الأطلسي بعد مروره بقرطبة ومدن أخرى مثل بيّاسة واشبيلية ويسميه ابن الدلائي بالنهر الأعظم[2] ويعتبر النهر الوحيد الذي يصلح مجراه الأدنى للملاحة.

- **نهر آنه(Guadiana)**: يقول القزويني أن <<طوله ثلاثمائة وعشرون ميلا>>[3]، وهذا النهر يظهر في أماكن ثم يغيض، ويصب في البحر المحيط .

(1) مؤلف مجهول، مصدر سابق، ص 11.

(2) ابن الدلائي، نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار، والبستان في غرائب البلدان والمسالك الى جميع الممالك، تحقيق عبد العزيز الأهواني، منشورات معهد الدراسات الاسلامية، مدريد، د.ط، د. ت ، ، ص 96.

(3) زكريا بن محمد بن محمود القزويني، كتاب آثار البلاد وأخبار العباد، مكتبة برلين، د.ط، 1848، ص 340.

ـ **نهر تاجه**[1](Tajo):هو نهر عظيم يمر بطليطلة[2] وطلبيرة[3] وشنترين[4] وغيرها ويصب في البحر الغربي المحيط عند مدينة الأشبونة[5]، وطوله ستمائة وعشرون ميلا، ويعد هذا النهر من أبرز الحدود الطبيعية في الأندلس، فقد شكل حدا سياسيا بين ولاياتها وكذلك بين ممالك الطوائف.

ـ **نهر ابره(Ebro)**: ينبعث هذا النهر من بلاد جليقية[6] فيمر على سرقسطة[7] ثم الى طرطوشة ويصب في البحر وعدد أميالـه مائة وأربعة أميال، وذكر الادريسي بأنه نهر كبير تقع عليه مدينة سرقسطة وقال << يأتي بعضه من بلاد الروم وبعضه من جبال قلعة أيوب وبعضه من نواحي قلهرة[8] فتجتمع مواد هذه الأنهار كلها فوق مدينة تطيلة[9] ثم تنصب الى مدينة سرقسطة>>[10] ويصب هذا النهر في البحر المتوسط.

(1) مؤلف مجهول، مصدر سابق، ص 11.

(2) طليطلة: مدينة تتوسط الأندلس حتى أنها تعتبر مركزا لجميع بلاد الأندلس، وهي على ضفة النهر الكبير، وكانت دار الملك بالأندلس قبل دخول المسلمين؛ الحميري، مصدر سابق، ص 393؛ أنظر الملحق رقم: 01.

(3) طلبيرة: هي مدينة كبيرة بالأندلس على ضفة نهر تاجه ، واسعة المساحة ولها على النهر أرحاء كثيرة؛ الادريسي، مصدر سابق، ص 551.

(4) شنترين: مدينة واقعة على بحر برطيانة وهو بحر برذيل الخارج من البحر المحيط ، وهي على نهر يصب في البحر؛ القلقشندي، مصدر سابق، ص 223.

(5) أشبونة مدينة بالأندلس يقال لها لشبونة أيضا وهي متصلة بشنترين قريبة من البحر المحيط ـ الحموي، ج1، ص 195.

(6) بلاد جليقية: ناحية قرب ساحل البحر المحيط، تقع بشمالي الأندلس في أقصاه من جهة الغرب؛ ياقوت الحموي، مصدر سابق، ج2، ص 157.

(7) سرقسطة بلدة مشهورة بالأندلس تتصل أعمالها بأعمال تطيلة، مبنية على نهر كبير ـ ياقوت الحموي، نفسه،ج3، ص 213.

(8) قلهرة هي احدى المدن الواقعة شرقي الأندلس من أعمال تطيلة- الحموي، ج4، ص 393.

(9) تطيلة : مدينة بالأندلس في شرقي قرطبة، وهي مدينة محدثة بنيت في مدة سلاطين بني مروان - الحموي، ج2، ص 33؛ وابن سعيد المغربي، ج2، ص 449.

(10) الادريسي، نفسه، ص 554.

ـ نهر دويره(Duero): يخرج هذا النهر من جبال الفريرة من جليقية يمر على جزيرة شقر[1] ويصب في البحر الغربي المحيط، عدد أمياله خمسمائة وثمانون ميلا.

واضافة الى هذه الأنهار الكبيرة المشهورة توجد أنهار أخرى ذكرتها المصادر مثل نهر العسل[2] الذي يشق الجزيرة الخضراء[3]، ووادي برباط[4]، ونهر باجة[5] ونهر شطوبر[6] وهو نهر كبير تقع على ضفته مدينة القصر، ونهر شقر[7] والنهر الأبيض[8] الذي هو نهر مدينتي أريولة[9] ومرسية[10]، ونهر شنيل[11] الذي يشق غرناطة[12] .

والى جانب الأنهار والوديان يوجد بالأندلس الكثير من المصادر المائية الأخرى مثل العيون والآبار.

---

(1) جزيرة شقر : هي جزيرة بالأندلس قريبة من شاطبة ، و<<هي في وسط نهر عظيم قد حفّ بها من جميع جهاتها فلا طريق اليها الا على قنطرة >>ـ عبد الواحد المراكشي، المعجب، ص 298.

(2) الادريسي، مصدر سابق، ص 539.

(3) الجزيرة الخضراء هي مدينة تقع جنوب الأندلس بينها وبين سبتة التي بالمغرب مجاز البحر ؛ الادريسي، ص 540.

(4) ياقوت الحموي، مصدر سابق، ج1، ص 368.

(5) القزويني، مصدر سابق، ص 364.

(6) الادريسي، نفسه، ص 544.

(7) نفسه، ص 556.

(8) نفسه، ص 557.

(9) أوريولة: حصن بالأندلس وهو من كور تدمير ، بينها وبين مرسية اثنا عشر ميلا ـ الحميري، مصدر سابق، ص 67.

(10) مرسية مدينة بشرق الأندلس وهي قاعدة تدمير ، بناها الأمير عبد الرحمن بن الحكم ـ الحميري، نفسه، ص 539؛ لتحديد موقعها من الأندلس أنظر ملحق رقم : 01.

(11) أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الزهري، كتاب الجغرافيا، تحقيق محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، د.ط ، د.ت، ص 96.

(12) غرناطة: ويقال أغرناطة، وهي مدينة في جنوب الأندلس ، بينها وبين قرطبة نحو خمسة أيام ـ القلقشندي، مصدر سابق، ص 214.

رابعا: الثروات الطبيعية:

ـ أ ـ الثروة النباتية والزراعية:

إن التنوع في جغرافية الأندلس ومناخها كان سببا لتنوع غطائها النباتي أيضا، كما أن توفر الأنهار وخصوبة التربة ببعض المناطق ساعد على نمو ثروة نباتية كبيرة ومتنوعة من غابات مختلفة الأشجار والنبات، ومن مساحات تمتد بالخضرة سواء كانت مساحات زراعية أو رعوية .

1- الغابات:

يغلب على الأندلس الطابع الجبلي، وبما أن مناخها يتقلّب ما بين الحرّ والاعتدال وشدة البرد فقد تباينت مظاهر غطائها النباتي عموما، فالأقاليم المعتدلة أو المائلة الى البرد تكسوها غابات كثيرة الأشجار مختلفة النباتات سواء بالجبال أو السهول، بينما تختفي هذه الغابات في المناطق الحارة فتبدو مجدبة قاحلة سوى من بعض ما ينمو فيها من نباتات المناخ الجاف.

وأكثر ما اشتهرت به الأندلس هو غابات الصنوبر[1] التي كانت بمثابة مورد هام لمادة الخشب، والتي استعملت في عديد الصناعات خاصة منها صناعة السفن[2]، كما استعملت في أعمال البناء والتعمير وأعمال النجارة والنحت كصنع الأثاث والأواني المنزلية والتحف الجميلة[3]، هذا فضلا عن استعمال هذه الأخشاب كسلعة تجارية.

(1) الحميري، مصدر سابق، ص 391.

(2) القلقشندي، مصدر سابق، ص 219.

(3) حسين يوسف دويدار، مرجع سابق، ص 352.

وأهم مناطق تواجد غابات الصنوبر نذكر طرطوشة التي << بجبالها يكون خشب الصنوبر الذي لا يوجد له نظير في الطول والغلظ>>[1] وأيض بحصن قلصة الذي يبعد عن قونكة بثلاث مراحل شرقا حيث << تتصل به أجبل كثيرة بها شجر الصنوبر الكثير>>[2]، وبمدينة شلطيش التي يقول الحميري أن <<فيها أطيب الصنوبر>>[3].

وكانت هناك الى جانب الصنوبر أشجار أخرى مثل شجر البقس الذي باحدى جبال طرطوشة وهو << الجبل المعروف المشهور فيه شجر البقس>>[4] وشجر آخر <<يشبه خشبه خشب الساج تتخذ منه الآلات والظروف>>[5]، أما فرّيش فالغالب على أشجارها هو القسطل[6] وكذلك طليطلة[7] وبوشقة <<يوجد شجر الزعرور>>[8]، كما يكثر شجر التوت في مدينة بسطة[9] وفي حصن قيشاطة نوع من الأشجار تستعمل أخشابها في صناعة القصاع والأطباق[10].

(1) الادريسي، مصدر سابق، ص 555؛ الحميري، مصدر سابق، ص 391.

(2) الادريسي، نفسه، ص 560.

(3) الحميري، نفسه، ص 344.

(4) أبو محمد الرشاطي، وابن الخراط الاشبيلي، *الأندلس في اقتباس الأنوار وفي اختصار اقتباس الأنوار*، تحقيق إيميليو مولينا، وخاثينتو بوسك بيلا، مدريد، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، 1990، 149.

(5) القزويني، مصدر سابق، ص 366.

(6) الرشاطي، وابن الخراط الاشبيلي، نفسه، ص 175.

(7) مؤلف مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ص 50.

(8) الحميري، نفسه، ص 612.

(9) نفسه، ص 113.

(10) نفسه، ص 488.

وفي نواحي لورقة موضع تنبت فيه أصناف من الأشجار المثمرة دون غراسة مثلها مثل باقي الأشجار الغابية، وهو الموضع المعروف باسم أشكوني[1]، كما كست أشجار الزيتون مساحات شاسعة سواء في السهول أو الجبال، وأشهر غابات الزيتون في الأندلس هي التي باشبيلية في جبلها المعروف بالشرف[2]، كما يوجد في مناطق غيرها مثل شريش[3] وقبرة[4] وشوذر[5].

كما ينتشر شجر البلوط ببلاد الأندلس على نطاق واسع، فرغم أنه من الأشجار الغابية التي تنمو دون غراسة نجد أن الأندلسيين قد أولوه عناية خاصة، وهذا بغراستهم له وجمع وادخار ثمراته، والسبب هو أن الأندلس كثيرا ما كانت تتعرض لسنوات عجاف ينعدم فيها القوت كسنوات القحط والمجاعة أو الفتن والحروب فيصبح البلوط غذاء للناس يقتاتون منه خلال هذه المراحل الصعبة، وقد أشار الادريسي الى ذلك حين تحدث عن حصن بطروش بقوله أن<< أهل هذا الحصن لهم اهتمام بحفظه وخدمته لأنه لهم غلة وغياث في سني الشدة والمجاعة>>[6]، وقد سمي حصن البلوط [7]هكذا لكثرة أشجار البلوط فيه.

(1) الحميري، مصدر سابق، ص 512.

(2) الادريسي، مصدر سابق، ص 541؛ المقري، مصدر سابق، ج1، ص 158.

(3) الادريسي، نفسه، ص 573.

(4) الحميري، نفسه، ص 453.

(5) المقدسي، *أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم*، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط3، 1991، ص 233.

(6) الادريسي، نفسه، ص 580.

(7) ياقوت الحموي، مصدر سابق، ج1، ص 492.

إنه من غير شك ولا ريب، أن الذي يقرأ عن هذه الثروة الغابية الكبيرة والمتنوعة يُخيَل إليه أنّ بلد الأندلس جنّة على الأرض، وأنه ليس بها منطقة جرداء أو مقحلة، لذا ارتأينا أن نورد هذا التعليق الموجز، ومفاده أن بالأندلس مناطق كثيفة النبات والأشجار وبالفعل تكاد أن تكون جنة فوق الأرض، لن بالمقابل هناك مناطق أخرى جدباء وقاحلة، أو كما قال الأستاذ حسين يوسف دويدار <<فيها المناطق الخصبة، والمناطق الجبلية القاحلة>>[1]، لكن يظل ما وصفه لنا الجغرافيون والرحالة والمؤرخين وحتى الشعراء [2] والأدباء الذين أشادوا بحسن البلاد الأندلسية ـ يظل ـ واقعا حقيقيا لا غبار عليه، لأنهم ذكروا ما رأوه من البقاع التي زاروها أو أقاموا فيها، فالمعروف من كتب التاريخ أن المسلمين عندما دخلوا الأندلس اختاروا العيش بالمناطق الخصبة وابتعدوا عن المناطق الوعرة، حتى أن هناك مناطقا لم يدخلوها قط، << ومناطق أخرى دخلوها لكنهم لم يستطيعوا العيش فيها طويلا، بل ان جنود موسى ابن نصير عندما اقتحم بهم مفاوز جليقية واشتريس (استوحشوها) وطلبوا منه ألا يغامر بهم في هذه الأرض القاحلة>>[3] ومنه نستنتج أن معظم أوصاف الأندلس قد اقتصرت على المناطق التي استوطنها المسلمون، وعمروها ، بل وأقاموا عليها حضارة من أرقى الحضارات.

---

(1) حسين يوسف دويدار، مرجع سابق، ص 239.

(2) قال أبو عمارة البصري في وصف الأندلس:

لله أندلس وما جمعت بها من كل ما ضمت لها الأهواء

فكأنما تلك الديار كواكب وكأنما تلك البقاع سماء

وبكل قطر جدول في جنة ولعت به الأفياء والأنداء

(3) رجب محمد عبد الحليم، العلاقات بين الأندلس الاسلامية واسبانيا النصرانية في عصر بني أمية وملوك الطوائف، دار الكتب الاسلامية، ودار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، د.ط، د.ت، ص 99.

2- المساحات الرعوية:

إنّ المتصفح لكتب الجغرافيين والرحالة الذين كتبوا عن أخبار البلاد الأندلسية يجد أنها قد أشادت في أكثر من موضع بكثرة مراعي الأندلس، حتى إننا لا نكاد نقرأ عن بلد إلا وقد قيل عنه أنه بلد زرع وضرع، ومن أهم هذه المناطق التي تميزت بكثرة المراعي والمساحات الخضراء نذكر اشبيلية التي يقول ابن الدلائي أنه << فيها المراين وهي مواضع ندية ومروجه لا تتهشّم صيفا، وتتمادى غضارتها>>[1] بل يقول عن كثرة مراعيها وشساعة مساحاتها المعشوشبة << ولو اقتصرت مسارح الأندلس عليها لوسعتهم>>[2]، ويصف ابن سعيد المغربي مدينة غرناطة بقوله << وبسيطها يمتد فيه البصر مسيرة يومين بين أنهار وأشجار وميادين مخضرّة>>[3] وكيف لا تخضر أراضي غرناطة وقد شقّها نهر شنّيل الذي يعد من أكبر أنهار الأندلس، وأيضا مدينة بلنسية التي << حيث خرجت من جهاتها لا تلقى إلاّ منازه ومسارح>>[4].

وبكثرة المراعي كثرت معها الماشية من أغنام وأبقار وغيرهما، فابن فضل الله العمري وصف الجزيرة الخضراء بكثرة الزرع والماشية[5] ومثلها مدينة رندة[6].

(1) ابن الدلائي، مصدر سابق، ص 96.
(2) نفسه.
(3) ابن سعيد المغربي، المغرب في حلى المغرب،ج2، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة،ط4، ص 102.
(4) نفسه، ص 298.
(5) ابن فضل الله العمري، *مسالك الأبصار في ممالك الأمصار*، السفر الرابع، تحقيق حمزة أحمد عباس، المجمع الثقافي، أبو ظبي، الامارات العربية المتحدة، د.ط، 2002، ص236 .
(6) نفسه، ص 237.

كما اختصت قلعة رباح أيضا بالمسارح المعشوشبة ما جعل ماشيتها من أحسن المواشي[1] وكذلك جزيرة ميورقة التي يصفها ابن حوقل بأنها<< واسعة الخير كثيرة الثمار رخيصة الماشية لكثرة المراعي>>[2] ومدينة شلب التي << لها بسائط فسيحة وبطائح عريضة ولها جبل منيف كثير المسارح والمياه>>[3]، أما مدينة البيرة[4] فقد كانت تشبه بغوطة دمشق لكثرة مساحاتها الخضراء.

وبالإضافة الى الماشية التي قد تكثر بفضل هذه المسارح فان هناك ثروة أخرى سيتضاعف مردودها ويحسن انتاجها في المناطق المعشوشبة والمزهرة وهي النحل المنتج للعسل، وعسل الأندلس أنواع عديدة، وكمثال عن هذه المدن التي تكثر بها تربية النحل لكثرة مسارحها، مدينة باجة فأرضها << أرض زرع وضرع وعسلها نهاية في الحسن>>[5]، فقد ساهمت المراعي في تكوين ثروة حيوانية المتمثلة في المواشي، وثروة انتاج حيواني المتمثلة في عسل النحل وهو ما سنتعرف عليه في العنصر الخاص بالثروة الحيوانية.

(1) الرشاطي، وابن الخراط الاشبيلي، مصدر سابق، ص 141.

(2) أبو القاسم بن حوقل النصيبي، *صورة الأرض*، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، د.ط، 1996، ص 110.

(3) الحميري، مصدر سابق، ص 342ز

(4) القزويني، مصدر سابق، ص 337.

(5) أبو الفداء، مصدر سابق، ص 168.

3- المحاصيل الزراعية:

- نبذة عن أحوال الزراعة بالأندلس:

لا يمكن الحديث عن الثروة الزراعية بالأندلس في فترة دراستنا التي تشمل عصر بني أمية و ما يليه إلى غاية الموحدين، و هي فترة طويلة جدا جمعت ما بين التقلبات السياسية والتغيرات الاقتصادية التي كانت تتأثر بسابقتها، وبما أن الزراعة تمثل جزءا من الاقتصاد فإن الحرّي بنا أن نشير ولو باقتضاب إلى أهم ما ميّز كل عصر بالنسبة للمجال الزراعي، والمعلوم أن المناطق الزراعية غالبا ما تتّسع ويزداد انتاجها في فترات السلم والأمن[1]، والعكس بالنسبة لفترات الاضطراب كالفتن والحروب أو حتى الكوارث الطبيعية التي لا دخل للإنسان فيها والتي تضاف إلى جملة الظروف المؤثرة في اقتصاد أي بلد فالأندلس عرفت الكثير من الكوارث الطبيعية كالجفاف والجراد[2] وعليه فإن ما يمكن قوله عن الزراعة بالأندلس أيام الأمويين هو أنها عرفت انتعاشا كبيرا نظرا لاهتمامهم بالقطاع الزراعي، فقد حسّنوا طرق الري وأنشئوا الترع والجسور وشقّوا القنوات وأقاموا القناطر << كما وضعوا تقويما للزراعة عرف(بالتقويم القرطبي) أصبح دليلا تحدّد على أساسه مواعيد زراعة المحاصيل المختلفة >>[1]، كما أوجدوا نظام الإقطاع العسكري ويعني إعطاء الجند أراضي ليزرعوها بأنفسهم أو عن طريق غيرهم، مما زاد في انتعاش الزراعة و ظل هذا النظام معمولا به إلى أن جاء المنصور بن أبي عامر فاستبدله بنظام الأرزاق والرواتب في الجيش، أما من ناحية المحاصيل الزراعية فالمعروف أن بني أمية كان لهم الفضل في إدخال عدة محاصيل مشرقية للأندلس لم تكن بها قبلا مثل: النخيل والقطن و التفاح وقصب السكر والأرز وغيرها.

---

(1) عز الدين عمر موسى، النشاط الاقتصادي، ص 131.

(2) ابن القطان، نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، تحقيق محمود علي مكي، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ط1، 1990، ص 226 - 228.

(3) حسين يوسف دويدار: مرجع سابق، ص345.

فقد عرف عن عبد الرحمن الداخل<< أنه كان يرسل عملاءه إلى المشرق لجلب أشجار الفاكهة من الشام>> [1].

ويقول كارل بروكلمان بخصوص ما بلغته الزراعة من تطور في العهد الأموي بفضل الاستقرار الداخلي: <<شهدت الأندلس تفتّح حضارة زاهية أثارت إعجاب أوربا في العصر الوسيط ذلك أن الزراعة والبستنة والتجارة والصناعة انتهت كلّها إلى درجة من الازدهار بعيدة، فقد زرع العرب الحبوب وأدخلوا إلى أوروبا زراعة النخيل، ولا تزال بقايا حدائقهم ماثلة إلى اليوم في حقول النخيل في ألش جنوبي مقاطعة بلنسية>>[2]، ولكن رغم كل هذا الازدهار في الزراعة فلا ننكر تعرّضها لبعض المشاكل بفعل حدوث الكوارث الطبيعية حيث يروي ابن حيّان عن سنة 232هـ أنّه كان فيها <<القحط الذي عمّ الأندلس، فهلكت المواشي واحترقت الكروم، فكثر الجراد، فزاد في المجاعة وضيق المعيشة>>[3]، ثم يروي ابن عذارى المراكشي أن سنة 235هـ كان <<فيها سيل عظيم بجزيرة الأندلس>>[4] وفي آخر أيام الناصر لدين الله أمير المؤمنين أصاب الأندلس قحط شديد يقول ابن خاقان <<وقحط الناس في بعض السنين آخر مدّة الناصر لدين الله>>[5] وعليه يمكن القول أن هذه العوامل أثّرت فعلا في الإنتاج الزراعي إلا أن تأثيرها ظل نسبيا وبصورة مؤقتة والرّاجح هو أن الزراعة عرفت قفزة نوعية زمن بنو أمية.

---

(1) علي حسين الشطاط، تاريخ الإسلام في الأندلس من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، د.ط، 2001 ، ص100 .

(2) كارل بروكلمان، مرجع سابق ، ص296 .

(3) ابن حيان القرطبي، المقتبس من أنباء أهل الأندلس، تحقيق محمود علي مكي، القاهرة،ص143 .

(4) ابن عذارى المراكشي، *مصدر سابق*، ص89 .

(5) الفتح ابن خاقان، مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس، تحقيق محمد علي شوابكة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1983، ص249 .

وبعد سقوط الدولة الأموية دخلت البلاد في مرحلة من الاضطراب وعدم الاستقرار، وذلك في عصر ملوك الطوائف، فقد كانت الأندلس بين المطرقة والسندان، غارات النصارى(القشتالين) من الخارج وتناحر ملوك الطوائف في الداخل، وعبء ذلك كله كان يقع على عاتق الرعية، إذ كانت تُفرض عليهم الضرائب الباهظة من طرف ملوك الطوائف، وتزداد هذه الضرائب كلما زاد ألفونسو السادس التضييق عليهم، ولأجل احتفاظهم بعروشهم كانوا يؤدّون إليه الجزية، يقول السلاوي<< وكلهم يداري الطاغية ويتّقيه بالجزية>>[1] ويقول عن غارات الفرنجة<< وكانت الفرنج قد اشتدت وطأتها عليهم فَتُغير وتنهب وربما يقع بينهم صلح على شيء معلوم كل سنة يأخذونه من المسلمين>>[2]، ولأن المجابي كانت تقع بالدرجة الأولى على أصحاب المزارع والغلاّت فقد اضطر أكثرهم إلى ترك الفلاحة لا سيما وأن هؤلاء الملوك أخذوا معظم الأراضي وضموها الى ملكهم الخاص وتصرفوا فيها << اقطاعا وتوريثا وبيعا فاختلطت أراضي الدولة بحقوقهم الخاصة>>[3]، وبمجيء المرابطين الذين اعملوا على استتباب الأمن بقضائهم على الخطر القشتالي وكذا ملوك الطوائف أيضا[4]، ثم أسقطوا جميع المجابي والمغارم غير الشرعية مكتفين بالشرعية منها(الزكاة والعشر) الأمر الذي ساعد على عودة النشاط الزراعي وبقوة في عهدهم، كما أن المرابطين أعادوا نظام الإقطاع العسكري الذي كان معمولا به أيام بني أمية .

(1) السلاوي، الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى(مخطوط)، ج1،ص111 .

(2) نفسه، ص 112.

(3) عز الدين عمر موسى، مرجع سابق، ص 131.

(4) يوسف أشباخ، مرجع سابق ، ص 99.

وظلت الأندلس محافظة على نفس وتيرة نشاطها باستثناء بعض الفترات التي عرفت فيها الأندلس موجة من الفتن والكوارث الطبيعية فقد تعرضت لغارات الجراد في عدة سنوات، يذكر ابن القطان[1] أنه في عهد أمير المسلمين علي بن يوسف هاجم الجراد بلاد الأندلس لمدة ستة أعوام متصلة من سنة 526هـ إلى 531هـ أتى فيها على الأخضر واليابس، وأعقبت هذه السنوات سنوات أخرى من الجفاف والقحط ، وممّا زاد الطين بلّة هو أنه في الوقت الذي تزايدت فيه ضربات النصارى، ظهر على الساحة السياسية خصم جديد للدولة المرابطية وهو ابن تومرت، الأمر الذي أرهق كاهل الدولة، ولكي تتصدى لكل هذه الصدمات اضطّرت إلى فرض الضرائب التي تعسّف الجُبَاة في جمعها ما جعل كثير من الفلاحين يهملون زراعاتهم ويهجرون ضياعهم[2] لذا فوضعية الزراعة بنهاية فترة المرابطين تختلف عنها في بداية عهدهم، واستمرت حالة التدهور في فترة الانتقال ودخول الموحدين نتيجة تخريب هؤلاء للكثير من الأراضي والضياع، هذا فضلا عما سببته غارات النصارى من تدمير للمحاصيل والمزارع حتى أقفرت الأرض[3]، ثم إن ما ذكرناه عن الزراعة في عهد المرابطين في عهد قوتهم يكاد ينطبق على الموحدين فبعد تمكنهم من بسط نفوذهم، هدأت الأوضاع، و نشطت الزراعة و باقي النشاطات الأخرى كالصناعة والتجارة وغيرها.

(1) ابن القطان، مصدر سابق، ص ص 226 - 228 - 230 - 235 - 242 - 252.

(2) عصمت عبد اللطيف دندش، الأندلس في نهاية المرابطين و مستهل الموحدين (عصر الطوائف الثاني)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1988، ص168 - 169.

(3) نفسه، ص 172.

<< فقد بلغت الدولة الموحّدية أوجّها في أيام أبي يوسف يعقوب المنصور و انتظمت ادارتها و رخيت أحوالها على نحو لم يتكرر في أيام غيره من بني عبد المؤمن فساد الأمن والسلام ربوع الدولة الواسعة>>[1]، وبفضل انتشار الأمن انتعشت الزراعة أو كما يقول الأستاذ عز الدين عمر موسى<< و نتيجة للأمن والاستقرار اتّسعت الزراعة وراجت التجارة >>[2]، وتكشف لنا المصادر عن كثرة المحاصيل الزراعية وتنوعها أثناء حكم الموحدين، فحتى الخلفاء عرف عنهم أنهم غرسوا الكثير من البساتين كما حثوا الناس على التوسع في الزراعة.

وذكر لنا المراكشي أيضا أنه في عهد أحد الوزراء و اسمه أبو عبد الله محمد بن علي بن أبي عمران الضرير جد يوسف بن عبد المؤمن لأمه << رأى الناس في أيام وزارته من الخصب وسعة الأرزاق وكثرة العطاء مثل الذي رأوا في أيام أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن أو قريبا منه >>[3].

ومجمل القول هنا أن الزراعة كانت تزدهر وتتّسع دائرتها خلال فترات الأمن والاستقرار وتتعثّر و تتقلّص دائرتها كلما أصاب البلاد اضطراب ينعدم فيه الأمن.

(1) عبد الواحد المراكشي، وثائق المرابطين والموحدين، تحقيق حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، ط1، 1997، ص 137.

(2) عز الدين موسى، الموحدون في الغرب الإسلامي تنظيماتهم و نظمهم، دار الغرب الاسلامي، د.ط، د.ت،ص52.

(3) عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق محمد زينهم محمد غرب، دار الفرجاني للنشر والتوزيع، القاهرة، د.ط، د.ت، ص256.

ـ أهم المحاصيل الزراعية:

إن المحاصيل الزراعية التي كانت تنتجها البلاد الأندلسية كثيرة ومتنوعة لا يمكن حصرها، لذا سنحاول قدر الإمكان أن نذكر أهم هذه المحاصيل ومناطق زراعتها:

ـ الحبوب:

- **القمح والشعير(الحنطة):** يعد القمح والشعير من أهم المحاصيل الزراعية ببلاد الأندلس، وتتركز زراعتهما في كل من أبدة[1] وفحص بلاطة[2] وجيان[3] وبمعظم أقاليم قرطبة [4]، إضافة إلى غرناطة[5] الموصوفة بكثرة مزارعها، وشنترة التي يقول المقري أنّ<< من خواصها أنّ القمح والشعير يزرعان فيها ويحصدان عند مضي أربعين يوما من زراعته >>[6] وطليطلة[7] التي يقال في خواصها أن حنطتها لا تتغير ولا تتسوس على طول السنين، وبألمرية ، وكانت تزرع على مياه المطر <<وأما الحنطة فبحسب السنين الممطرة لأن أكثر زرعها بالمطر>>[8].

(1) الإدريسي، مصدر سبق ، ص569 .

(2) نفسه، ص 549.

(3) نفسه، ص 569.

(4) ابن الدلائي، مصدر سابق، ص ص 124، 125، 126، 127.

(5) المقدسي، مصدر سابق، ص 235.

(6) المقري، مصدر سابق، ج1، ص 164.

(7) نفسه،ج1، ص 143.

(8) ابن فضل الله العمري، مصدر سابق، ص 233.

كما كانت تزرع بالأندلس حبوب أخرى مثل الفول والحمص في كل من سرقسطة[1] التي كان يخزن فيها الفول والحمص مدة عشرين سنة على حد قول المقري، ويذكر الزهري كذلك أن مدينة أشبونة[2] كانت كثيرة الأرزاق من الزرع والحبوب وأيضا كانت قرطبة[3] بلدا للحبوب، وعرفت الجزيرة الخضراء[4] كذلك بكثرة مزارعها.

- **الأرز:** يعد الأرز من الحبوب التي جادت بها أرض الأندلس حيث كان يزرع على ضفاف الأنهار، وتعد بلنسية من أهم مناطق زراعته يقول ابن الدلائي: << ويزرع فيها الأرز، وينجب فيها ومنها يحمل إلى جميع بلاد الأندلس>>[5] .

وهناك الكثير من مناطق زراعة أنواع الحبوب التي يضيق المقام بذكرها لهذا نجد أن معظم الجغرافيين قد أشاروا إلى ذلك بأن يصفوا بلد ما أنه بلد زرع وضرع أو ما يحمل هذا المعنى كقول ابن سعيد عن جيّان أنها << معروفة بالمحارث >> [6] ويصفها أيضا بأن << أكثرها خصبا ورخصا للحوم والحبوب>>[7].

(1) المقري، مصدر سابق، ج1 ، ص197 .

(2) الزهري، مصدر سابق، ص85 .

(3) المقدسي، مصدر سابق ، ص233 .

(4) ابن فضل الله العمري، مصدر سابق، ص236 .

(5) ابن الدلائي، مصدر سابق ، ص17 .

(6) ابن سعيد المغربي، مصدر سابق،ج2 ، ص49

(7) نفسه، ص 51.

ـ محاصيل مختلفة:

- **الزيتون:** يعد الزيتون من المحاصيل الزراعية ذات القيمة الغذائية الكبيرة سواء تعلق الأمر باستهلاك ثمرته أو الزيت المستخلص منها، وقد اهتمت معظم الدول التي حكمت الأندلس بزراعته، ومن أهم مناطقه نذكر: إشبيلية التي تحتل المرتبة الأولى بين باقي المدن في محصولها من الزيتون الذي يكثر بجبلها الشرف وعنه يقول الإدريسي<< وهذا الشرف هو مسافة أربعين ميلا وهذه الأربعون ميلا كلها تمشي في ظل شجر الزيتون والتين أوله بإشبيلية وآخره بمدينة لبلة وكله شجر الزيتون وسعته اثنا عشر ميلا وأكثر>>[1] وكذلك يوجد شجر الزيتون في شوذر[2] حتى أنها ولكثرة زيتونها كانت تعرف بغدير الزيت وهو كلام الحميري، كما نجده في كل من مدينة شريش[3] وغرناطة[4].
- **قصب السكر:** هو من المحاصيل الزراعية التي أدخلها المسلمون إلى الأندلس وارتفع إنتاجه بها خلال القرن الرابع الهجري، ومن أهم مناطقه إلبيرة[5] وإشبيلية[6] التي يقول عنها الحميري أن بها ناحية تعرف بجنات المصلى يكثر فيها قصب السكر، كما ذكر المقري أن قصب السكر يكثر في سواحل الأندلس في قوله << ويوجد في سواحلها قصب السكر>>[7] منها مدينة المنكب[8]، وشلوبين[9] أحد حصون غرناطة البحرية .

(1) الزهري، مصدر سابق، ص89 .

(2) المقدسي، مصدر سابق ، ص233؛ الحميري، مصدر سابق، ص351 .

(3) الحميري، نفسه، ص340 .

(4) لسان الدين بن الخطيب، *الإحاطة* ، مصدر سابق، ص120 .

(5) نفسه، ص97-98 ؛ القزويني، مصدر سابق، ص 337 .

(6) الحميري، نفسه، ص59 ؛ ابن الدلائي، مصدر سابق ، ص96 .

(7) المقري، مصدر سابق، ج1 ، ص200 .

(8) ابن فضل الله العمري، مصدر سابق، ص234 .

(9) القلقشندي، مصدر سابق، ج5 ، ص218 .

- **القطن:** يعتبر القطن من المحاصيل الجد مهمة، نظرا لاستخدامه كمادة أساسية في الصناعة النسيجية أو كسلعة تجارية مربحة، ومن خلال المصادر التي اطلعنا عليها نفهم أن زراعته كانت تكثر في المناطق المنخفضة(الدافئة) مثل: إشبيلية التي كان << يحسن ويزكو في بقعتها ويعمّ أكثر بلاد الأندلس>> [1]، ويكثر أيضا بمدينة وادي آش[2].
- **الكتّان:** يعدّ الكتّان من ضمن أهم المواد الخام الفلاحية التي تدخل إلى جانب القطن في الصنائع النسيجية، وتوجد بالأندلس أنواع رفيعة من الكتان وأشهر مناطقه إلبيرة[3]، ويوجد أيضا ببعض قرى جبل شلير، يقول الحميري عنه<< وفي قراه المتصلة به يكون أفضل الحرير والكتان الذي يفضل كتان الفيوم>>[4]، أما لاردة[5] فهي مخصوصة بكثرة الكتان وطيبه، وقونجه[6] التي ينسب إليها الكتان الفائق الرفيع وهي موضع بالأندلس من أعمال كورة إلبيرة التي ذكرناها، وكذلك ببلدة أرون إحدى كور مدينة باجة[7] التي يقول عنها ياقوت الحموي أن << لكتّانها فضل على سائر كتان الأندلس>>، وكان الكتّان الرفيع ينسب إلى مناطقه فيعرف نوعه بذلك فيقال الكتان اللبيري نسبة إلى البيرة، والقونجي نسبة إلى لقونجة والأروني نسبة لأرون، حسب ما ذكره الدكتور أحمد الطاهري[8] .

(1) ابن الدلائي، مصدر سابق، ص 96؛ الحميري، مصدر سابق، ص 59.

(2) الحميري، مصدر سابق، ص604 .

(3) ابن سعيد المغربي، مصدر سابق، ص91 .

(4) الحميري، نفسه، ص343 .

(5) نفسه، ص507 .

(6) ياقوت الحموي، مصدر سابق، ج4 ، ص415 .

(7) نفسه، ج1 ، ص164 .

(8) أحمد الطاهري، *الأندلس في عصر بني عباد(دراسة في سوسيولوجيا الثقافة والإقتصاد)*، تقديم فاضل سباعي، اشبيلية للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق، سورية، ط1 ، ص319 .

ـ الفواكه:

تشتهر بلاد الأندلس بكثرة فواكهها وتنوعها، يقول المقري<< وأما الثمار وأصناف الفواكه فالأندلس أسعد بلاد الله بكثرتها>>[1]، ولو أنه لا سبيل لإحصائها جميعا فسنحاول ذكر أهمها مع أشهر مناطقها:

- **التفاح:** يوجد التفاح في مناطق عديدة مثل: وشقة[2] وسرقسطة[3] وجبل شلير[4] حصن جليانة[5] الذي خصه الله بالتفاح، وأشبونة[6] وكل من شنترة وقلمرية ولورقة وطليطلة أيضا [8].
- **التّين والعنب:** تذكر المصادر تواجد كل من فاكهة التين والعنب بكثرة في مناطق عدة من الأندلس أهمها: إشبيلية[9] وسرقسطة[10]، وجيان[11] ولقنت[12]، وشنت مارية[13] و<< دانية وقلمرية، ولورقة ووادي آش>>[14] وكذلك ببلش[15] وشلب[16]، أما أكثر المناطق شهرة بالتين في الأندلس كلها هي مالقة[17] .

(1) المقري، مصدر سابق، ج1، ص200.
(2) ابن الدلائي، مصدر سابق ، ص55.
(3) المقري، نفسه، ص197.
(4) القزويني، مصدر سابق ، ص339.
(5) ابن سعيد المغربي، مصدر سابق، ص148.
(6) أبو الفداء، مصدر سابق ، ص173.
(7) الحميري، مصدر سابق ، ص ص342-471-512 .
(8) الزهري، مصدر سابق ، ص85.
(9) ابن الدلائي، نفسه، ص96.
(10) المقري، نفسه، ج1، ص197.
(11) المقدسي، مصدر سابق ، ص235.
(12) ابن سعيد المغربي، نفسه، ج2، ص274.
(13) الادريسي، مصدر سابق، ص 543.
(14) الحميري، نفسه ، ص ص 231- 347- 471 - 512 - 604.
(15) ابن فضل الله العمري، مصدر سابق ، ص234.
(16) مؤلف مجهول، ذكر بلاد الاندلس ، ص54.
(17) الادريسي، نفسه ، ص565.

- **الكمثرى**[1]: نجد هذه الفاكهة في كل من بلنسية[2]، لورقة[3]، وشقة[4]، وغرناطة[5].
- **اللوز:** يوجد اللوز في كل من شلب[6] وغرناطة[7]، ومالقة[8]، والبيرة[9].
- **التوت:** من مناطقه << بسطة ووادي آش>>[10]، وجبل شلير[11] وجيّان[12] وحصن شنش[13] الذي فيه شجر توت كثير بسبب الحرير.

(1) الكمثرى : ضرب من الفواكه معروف تسميه العامة بالإجاص ـ أنظر : معجم المعتمد، مرجع سابق، ص621.

(2) المقري، مصدر سابق، ج1، ص179.

(3) الحميري، مصدر سابق ، ص512.

(4) ابن الدلائي، مصدر سابق ، ص55؛ الحميري، مصدر سابق، ص612.

(5) لسان الدين ابن الخطيب، الاحاطة،ص120.

(6) مؤلف مجهول، مصدر سابق ، ص54.

(7) لسان الدين ابن الخطيب، نفسه، ص120.

(8) المقري، نفسه، ج1، ص151 ؛ أبو الفداء، مصدر سابق، ص176.

(9) الحميري، نفسه ، ص 45- 46.

(10) نفسه، ص113- 604.

(11) القزويني، مصدر سابق ، ص339.

(12) المقدسي، مصدر سابق ، ص235.

(13) ابن سعيد المغربي، مصدر سابق ، ص225.

- **القراسيا:** نجدها في كل من غرناطة وهي من أجود الأنواع يقول القلقشندي أنه بها<< القراصيا البعلبكية التي لا تكاد توجد في الدنيا منظرا وحلاوة حتى إنها ليعصر منها العسل>>[1]، وسرقسطة[2] وتكثر في بلنسية[3] كما نجدها بطليطلة[4] أيضا وجبل شلير.

ولا سبيل إلى حصر جميع أنواع الفاكهة لكثرتها حيث نجد أنواعا متعددة بمكان واحد كما نجد النوع الواحد في أماكن متعددة، فبسرقسطة[5] التين و الخوخ و حب الملوك و التفاح و الإجاص، وفي جبل شلير[6] التفاح والقراسيا والجوز، والقسطل، و التين والأعناب، والخوخ، والبلوط، والتوت والفستق، وبالبيرة[7]شجر الموز و بأشبونة [8] فواكه كثيرة.

(1) القلقشندي، مصدر سابق، ص 216.

(2) المقري، مصدر سابق، ج1، ص197.

(3) ياقوت الحموي، مصدر سابق ، ج2، ص490.

(4) مؤلف مجهول، ذكر بلاد الأندلس ، ص50.

(5) المقري، نفسه، ج1، ص197.

(6) ابن فضل الله العمري، مصدر سابق، ص228.

(7) القزويني، مصدر سابق ، ص337.

(8) ابن فضل الله العمري، مصدر سابق، ص235.

ـ الأعشاب الطبيّة والعقاقير:

توجد بالأندلس أصناف أخرى من النباتات، منها ما يستعمل في الطب وصناعة الأدوية، ومنها ما يضاف إلى الأطعمة كتابل أو كأصباغ ومنها العقاقير المتنوعة التي نجدها عند العطارين، فقد كانت العطارة مهنة ولها سوق خاص بها، ومنها ما يسوّق إلى مختلف الأصقاع، لذا لا يمكن الحديث عن المقومات النباتية دون ذكر هذه المحاصيل التي تعتبر مورداً تجارياً هاماً وأهم هذه الحاصلات النباتية:

ـ **الزعفران** [1] : وهو من النباتات المستعملة في الطب كما استعمل كتابل في الطعام، ويعد نبات نفيس لذا كان الأندلسيون يتاجرون به كما سنراه لاحقاً في الفصل المخصص بالصادرات ونكتفي هنا بذكر أهم مناطق تواجده التي منها: مدينة بيّاسة[2] ووادي الحجارة[3] وطليطلة[4] وباغة[5] وهي من أعمال غرناطة، وأبدة[6] وبلنسية[7] وبسطة[8].

(1) الزعفران (Safran): موطنه الأصلي حوض البحر المتوسط الشرقي، في فصل الخريف يعلو الأزهار البنفسجية للزعفران الجميل حامل السمة الذي ينقسم في أعلى الزهرة إلى ثلاث فروع سمكية ذات لون برتقالي، تشكل سمات الزهرة، التي تشكل الزعفران الطبي المستعمل في التوابل معاً، وهو مادة نادرة ونفيسة الثمن تاريخيا ... ويعود السبب في لون السمات الفاتح إلى وجود مادة الكاروتينوييد في حقل الطب أكثر من استعماله في الطعام كأحد التوابل، انظر: حسان قبيسي، معجم الأعشاب والنباتات الطبية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 7، 2007، ص 352.

(2) الإدريسي، مصدر سابق، ص 569.

(3) الحميري، مصدر سابق ، ص 606؛ الإدريسي، ص 553.

(4) المقري، مصدر سابق، ج 1، ص 143.

(5) نفسه، ص 149.

(6) ابن سعيد المغربي، مصدر سابق ، ص 75.

(7) القزويني، مصدر سابق ، ص 344.

(8) ابن فضل الله العمري، مصدر سابق ، ص 238.

وإلى جانب الزعفران توجد عقاقير أخرى مثل العصفر[1] بكل من اشبيلية [2] ولبلة[3] التي يذكر القزويني أن بها إضافة إلى العصفر نبات آخر وهو العنّاب[4]، والعنّاب شجر حبّه يشبه الزيتون في شكله وهو أحمر حلو، ومن لبلة يصدّران إلى مناطق عديدة، كما يوجد بأحد جبال الأندلس وهو جبل المنتلون المحلب[5] وعنه يقول الرازي: << وهو المقدم في الأفاويه المفضّل في أنواع الأشنان>>[6] وفي دالية [7] عود الألنجوج، والجنطيانا في كل من لبلة[8] وجبل شلير [9] الذي به << عقاقير كعقاقير الهند، وعشب يستعمل في الأدوية يعرفها الشجّارون لا توجد لا في الهند ولا في غيره>>[10].

(1) العصفر: نبات صيفي من الفصيلة المركبة، أنبوبية الزهر، يستعمل زهره تابلاً ويستخرج منه صبغ أحمر يصبغ به الحرير ونحوه، أنظر معجم المعتمد، مرجع سبق ذكره، ص 446.

(2) الحميري، مصدر سابق ، ص 59.

(3) نفسه، ص 508.

(4) القزويني، مصدر سابق ، ص 372.

(5) المحلب: نوع من العقاقير التي تنمو في المناطق الباردة، وهو طيب الرائحة مرّ المذاق ؛ داوود بن عمر الأنطاكي، تذكرة أولي الألباب والجامع للعجب العجاب، تحقيق أحمد شمس الدين، ج1،دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 2006، ص 282.

(6) المقري، مصدر سابق ، ج 1، ص 141 .

(7) نفسه ، ج 1، ص 141.

(8) ياقوت الحموي، مصدر سابق ، ج 5، ص 10.

(9) لسان الدين بن الخطيب، الإحاطة ، ص 98.

(10) ابن فضل الله العمري، مصدر سابق، ص 228.

ولا يسمح المقام بذكر جميع هذه النباتات والعقاقير فقد ذكرها المقري في عدّه المواضع مثل قوله عن المسعودي: << في الأندلس من أنواع الأفاوية خمسة وعشرون صنفاً: منها السنبل والقرنفل والصندل والقرفة وقصب الذريرة وغير ذلك>> [1]، وقال أيضاً: << ويوجد بالأندلس القسط الطيب والسنبل الطيب، والجنطيانة تحمل من الأندلس إلى جميع الآفاق وهو عقّار رفيع >>[2] وكذلك عروق الزنجبيل وهو نبات طبي وتابل أيضاً، وبجبل شقّورة يذكر الحميري أنه ينبت الورد الذكي العطر والسنبل الرومي الطيب[3]، والحنّاء بأكشونبة التي بها جبل يعرف بجبل حنّاء.

<< و البربريس العجيب بنواحي المنتلون>> [4]، والقرمز << وأكثر ما يكون بنواحي اشبيلية ولبلة وشذونة وبلنسية>>[5]، وبجبل شنترة ينبت البنفسج.

(1) المقري، مصدر سبق ذكره، ص 199.

(2) نفس المصدر، ص 141.

(3) الحميري، مصدر سبق ذكره، ص 349.

(4) مؤلف مجهول، مصدر سابق، ص 13.

(5) الحميري، نفسه، ص 347؛ والقرمز صبغ أحمر استخدمه الأندلسيون في الصباغة.

ـ بـ ـ الثروة الحيوانية:

لقد ذكرنا في المطالب السابقة من هذا الفصل أن الأندلس بلاد غنية بالثروة النباتية من غابات ومراعي، والثروة المائية من أنهار ووديان وطول ساحل، وكلها تعتبر مؤشرات عن وجود ثروة حيوانية كبيرة ومتنوعة، وهو الأمر الذي أكدته جل المصادر التي بحوزتنا، بحيث ذكرت لنا مجموعة من الحيوانات التي تعيش بالأندلس سواء منها المستأنسة أو ما دون ذلك من حيوانات غير مستأنسة تعيش في البر، مثل التي بالغابات والبراري، أو الماء وهي الأسماك التي نجدها بالبحار والأنهار أيضا، وسنحاول فيما يلي التطرق لأهم هذه الحيوانات والمناطق التي توجد فيها:

ـ الأغنام والأبقار: تكثر ببلاد الأندلس تربية الأبقار والأغنام وهذا في مناطق عديدة نظراً لشساعة المساحات الرعوية ومن هذه المناطق التي اشتهرت بكثرة المراعي والماشية جبل الشارات شمال طليطلة << وفي هذا الجبل من الغنم والبقر الشيء الكثير الذي يتجهز به الجلابون إلى سائر البلاد، ولا يوجد شيء من أغنامه وأبقار مهزولا بل هي في نهاية من السمن >>[1]، وبلنسية [2] التي يقول القزويني أنها جمعت خيرات البر والبحر والزرع والضرع، وبقلمرية[3] أغنام وأبقار أيضا، وكذا بإشبيلية [4] التي اشتهرت باتساع مراعيها واعشوشابها، وشاطبة [5] وطرطوشة [6]، كما تعرف جيّان[7] بكثرة اللحوم[8] الأمر الذي يدل على كثرة المواشي فيها، وباجة [8] أيضا.

---

(1) الإدريسي، مصدر سابق ، ص 552؛ الحميري، مصدر سابق ، ص 393.

(2) القزويني، مصدر سابق ، ص 344 ؛ ابن سعيد المغربي، مصدر سابق ،ج2، ص 98.

(3) الإدريسي، نفسه، ص 547.

(4) ابن الدلائي، مصدر سابق ، ص 96.

(5) نفسه ، ص 19.

(6) القزويني، نفسه ، ص 366.

(7) جيّان: تقع بموسطة الأندلس، وهي بين غرناطة وطليطلة ومرسية ـ ابن سعيد المغربي، ص 49 ـ 51.

(8) الإدريسي، نفسه ، ص 568؛ ابن سعيد المغربي، نفسه ، ص 51.

(9) مؤلف مجهول، ذكر بلاد الاندلس، ص 56.

-ـ **الخيل والبغال والحمير:** توجد بالأندلس الخيل والبغال والحمير، أما الخيل فنجدها بمدينة بنبلونة وقد ذكر الحميري بأنها << أصلب الدواب حافراً لخشونة بلادهم>>[1] وبمدينة تدمير التي<< كان يخرج منا ألف فرس من كل لون من ألوان الخيل>>[2] وبإشبيلية [3] وطلياطة[4].

أما بغال الأندلس فكانت تتميز بالقوة والشكل الحسن وأجودها وأغلاها ثمنا تلك التي بقرطبة يقول القزويني: << وتجلب من قرطبة بغال قيّمة واحد منها يبلغ خمسمائة دينار لحسن شكلها ،الوانها وعلوّها وصحة قوائمها>>[5]، ويصف ابن حوقل بغالها أيضا بقوله<< وتختصّ بالبغال الفره وبها يتفاخرون ويتكاثرون >>[6]، ويقول ياقوت الحموي عن أهل قرطبة أن<< أكثر ركوبهم البغلات من خَوَرِهم وجُبنهم أجنادهم وعامتهم >>[7]، وبخصوص أسعارها يضيف<< ويبلغ ثمن البغلة عندهم خمسمائة دينار، وأما المائة والمائتين فكثير لحسن شكلها وألوانها وقدودها وعلوّها وصحة قوائمها>>[8].

(1) الحميري، مصدر سابق، ص 104.

(2) ابن الدلائي، مصدر سابق ، ص 02.

(3) الحميري، نفسه، ص 60.

(4) نفسه، ص 395.

(5) القزويني، مصدر سابق ، ص 371.

(6) ابن حوقل، مصدر سابق، ص 109.

(7) ياقوت الحموي، مصدر سابق،ج3، ص 324.

(8) نفسه.

وإلى جانب الخيل والبغال نجد بالأندلس الحمير أيضا والتي كانت تستعمل في الركوب ونقل الأمتعة وأعمال الفلاحة ومن المناطق الشهيرة بتربيتها مدينة ماردة.

- تربية النحل: لقد اهتم الأندلسيون بتربية النحل لإنتاج العسل، وقد ساعدهم في ذلك طبيعة البلاد المعتدلة المناخ والفسيحة الرياض وكثيرة النبات والزهر والشجر مما يحتاج إليه النحل لصنع العسل، حتى اشتهرت عدة مناطق بإنتاج العسل وهو دليل على تربية النحل بها ومن هذه المناطق نذكر:

إشبيلية [1] ولشبونة [2] التي قيل أن لعسلها فضل على كل عسل، ويسمّى اللاّذرني وهو يشبه السكر حتى أنه يلف في خرقة فلا يلوثها، وكذلك مدينة شلب [3] المعروفة بعسلها الكثير كما عرفت مدينة باجة [4] بحسن عسلها، ويذكر لنا الإدريسي أيضا كثرة إنتاج العسل في كل من مدينة القصر [5] وجيان [6].

(1) ابن الدلائي، مصدر سابق ، ص 96.

(2) القزويني، مصدر سابق، ص 372-373؛ ياقوت الحموي، مصدر سابق،ج 5، ص 6.

(3) مؤلف مجهول، مصدر سابق ، ص 54.

(4) أبو الفداء، مصدر سابق ص 168.

(5) الإدريسي، مصدر سابق ، ص 544.

(6) نفسه، ص 568.

ـ الثروة السمكية: إن الحديث عن الثروة الحيوانية بالأندلس يحتم علينا ذكر ما تزخر به من ثروة سمكية متنوعة وهذا بحكم موقعها الذي يتوسط مياه البحار، فمن معظم جهاتها تحيط بها المياه، كما تشقها الأنهار والوديان في الداخل ما جعلها تمتلك ثروة سمكية هائلة، بحيث << تعددت بها أنواع الأسماك والحيتان، ومهر الأندلسيون في معالجتها وتمليحها وتجفينها>>[1]، ومن أهم مناطق صيد السمك مدينة المنكب[2] الشهيرة بكثرة مصايدها.

وقرية بزليانة [3] التي يصطاد بها الحوت الكثير ويحمل منهم إلى تلك الجهات المجاورة لها، وشلطيش [4] ولبلة [5]، كما يكثر السمك بنهر ابره [6] فيذكر القزويني أن فيه نوع من السمك يسمى "الترختـه" وهو سمك أبيض ليس له إلا شوكة واحدة، بينما يوجد في الوادي الذي بطرطوشة [7] حوت طيب ومن أنواعه، نوع يسمى "البورى"، ونوع آخر يقال له "الشورى" كما يصطاد من النهر الأعظم [8] بإشبيلية السمك والحيتان الغليظة وهي أيضا أنواع "البوريات" و"الشوابلات".

(1) عصمت عبد اللطيف دندش، مرجع سابق،ص 180.

(2) الإدريسي، مصدر سابق ، ص 564.

(3) نفسه، ص 656.

(4) المقري، مصدر سابق ، ج 1، ص 168.

(5) القزويني، مصدر سابق ص 372.

(6) نفسه، ص 339.

(7) نفسه، ص 366.

(8) الزهري، مصدر سابق ، ص 88.

ويضاف إلى هذه الثروة السمكية نوع آخر من الحيوانات التي تعتبر مكسباً نفيسا مثل السمّور[1] الذي يخرج من الوادي الذي بطرطوشة [2] وكذلك تطيلة [3].

أما القزويني فيسرد لنا خبر دابّة بساحل شنترين [4] تخرج من البحر وتحتك بحجارة على الساحل فيسقط منها وبرة على لون الذهب ولين الخزّ وهي قليلة عزيزة فيجمعها الناس وينسج منها الثياب فيحجر عليها ملوكهم ولا تنتقل من بلادهم إلا بالخفية وتزيد قيمة الثوب منها على ألف دينار لحسنه وعزّته.

ـ **الحيوانات غير المستأنسة:** أما عن الحيوانات الغير مستأنسة التي تعيش بالأندلس فيقول المقري: << ويكون بالأندلس من الغزال والأيل وحمار الوحش وبقره وغير ذلك>>[5]، وفيها حيوان مفترس يدعى "اللّب" هو أكبر بقليل من الذئب، يستطيع افتراس رجل حين يجوع، وبها أيضا من أصناف الطير كالتي نجدها في مدينة شلب [6] ومدينة البحيرة [7]، وهناك موضع بساحل الجزيرة معروف على البحر لصيد الطير، بحيث يأتيه في كل أوان من العام جنس من الطير لا يأتي في غيره .

ومن المناطق التي اشتهرت بالصيد أيضا مدينة لورقة التي يقول عنها الرشاطي: << وبها الصيد الكثير>>[8].

(1) السمّور: حيوان ثديي ليلي من الفصيلة السمّورية، من آكلات اللحوم، يتخذ من جلده فرو ثمين، - أنظر معجم المعتمد، مرجع سابق، ص 307.

(2) القزويني، مصدر سابق ، ص 366.

(3) ياقوت الحموي، مصدر سابق ، ج 1، ص 239.

(4) القزويني، نفسه، ص 364.

(5) المقري، مصدر سابق ، ص 198.

(6) مؤلف مجهول، ذكر بلاد الاندلس، ص 54.

(7) ابن الدلائي، مصدر سابق ، ص 120.

(8) أبو محمد الرشاطي، وابن الخرّاط الاشبيلي، مصدر سابق، ص 52.

- ج - الثروة المعدنية والحجرية:

لقد أثبتت جل المصادر التي اطلعنا عليها بأن أرض الأندلس غنية بمختلف المعادن والجواهر والأملاح المعدنية والأحجار الكريمة التي عمل الأندلسيون على استغلالها منذ أقدم العصور أي قبل عهدهم بالإسلام ، ليستمر هذا العمل في العهود الإسلامية المختلفة وبأكثر مهارة وإتقان ، وتعتبر المعادن أحد أهم مقومات الاقتصاد فهي المادة الأولية للصناعة وكذلك للتجارة سواء من خلال تسويقها كخامات أو كمواد مصنعة أو نصف مصنعة وفيما يلي سنتعرف على أهم وأشهر المعادن والأحجار التي كانت بالأندلس وهي

1- المعادن: توجد بالأندلس معادن كثيرة منها :

- **الذهب والفضة :** يعتبر الذهب والفضة من أنفس المعادن التي توجد ببعض المناطق الأندلسية مثل : الذهب بالبيرة[1] ونهر لاردة [2] ، كما يوجد في نهر شنيل [3] الذي بغرناطة ذهب أحمر ، ويلفظ نهر القلّوم [4] الذي بها برادة الذهب الخالص ، أما بقرطبة [5] فنجد معدن الصفر الذي يكاد يشبه الذهب ، فيما يمكن إعتبار أشبونة [6] أهم منطقة للذهب لأن فيها موضع يسمى حصن المعدن ، وقد سمي كذلك لأنه عند هيجان البحر يقذف هنالك بالذهب والتبر.

(1) ياقوت الحموي، مصدر سابق ، ج1 ، ص 244 ؛ القزويني ، مصدر سابق ، ص 337.

(2) أبو محمد الرشاطي، وابن الخراط الإشبيلي ، مصدر سابق، ص 50 .

(3) الزهري ، مصدر سابق ، ص 96 .

(4) القزويني، نفسه، ص 367 .

(5) المقري، مصدر سابق، ج1 ، ص 200 .

(6) الزهري، نفسه، ص 85 .

أما معدن الفضة فيوجد بكل من مرسية[1]، البيـــرة[2]، شنترة[3]، باجة [4]،قرطبـــة[5]، وبساحل تدمير[6]، ولوشة [7] من أعمال غرناطة وبالمرية [8] أيضا إضافة إلى معدني الذهب و الفضة كانت هناك جواهر أخرى مثل المرجان[9] الذي يكثر بسواحل البيرة من عمل المرية [10] .

- **الحديد :** و لمعدن الحديد أهمية كبيرة نظرا لإستعماله في مختلف الصناعات ومن مناطق تواجده نذكر : البيرة [11]، طليطلة [12] وبحصن قسطنطينية [13] في فرنجولش وبالمرية [14] وبجبل أندة [15] إحدى ضواحي بلنسية، وفي موضع يسمى فرّيش [16] بين الجوف والغرب من قرطبة .

(1) الحميري، مصدر سابق، ص 539 .

(2) لسان الدين بن الخطيب، الاحاطة، ص 97-98 .

(3) عبد الواحد المراكشي، *مصدر سابق*، ص 293 .

(4) مؤلف مجهول، ذكر بلاد الأندلس ، ص 56 .

(5) نفسه ، ص20 ؛ القزويني، مصدر سابق، ص 372 .

(6) ابن الدلائي، مصدر سابق، ص 02.

(7) المقري، مصدر سابق، ج1، ص 148.

(8) مؤلف مجهول، نفسه، ص 15.

(9) المقدسي، مصدر سابق، ص 239.

(10) المقري، نفسه، ص 142.

(11) ياقوت الحموي، مصدر سابق، ج1، ص 244.

(12) الادريسي، مصدر سابق، ص 552.

(13) نفسه، ص 581.

(14) المقري، نفسه، ج1، ص 162.

(15) نفسه، ص 182.

(16) أبو محمد الرشاطي، وابن الخراط الاشبيلي، مصدر سابق، ص 175.

- **النحاس :** ومعدن النحاس نجده أيضا في كل من طليطلة [1] وقرطبة [2] أي أنه يتركز أكثر ناحية الشمال، وبالبيرة [3] والمرية [4] كذلك .
- **الرصاص :** ومن مناطقه إلبيرة [5] و دلاية [6] وبرجة [7] إحدى ضواحي المرية وبساحل تدمير [8] .
- **الزئبق :** أما الزئبق[9] فنجده في كل من قرطبة وبالضبط ناحية شلون [10] وبجبال البرانس خصوصا في منطقة فحص البلوط [11] وبحصن أبال [12] الذي منه يتجهز به على حد قول الإدريسي ـ الى جميع أقطار الأرض، وفي بلاد بسطاسة[13] وطليطلة[14].

(1) الادريسي، مصدر سابق، ص 552.

(2) المقري، مصدر سابق، ج1، ص 200.

(3) ياقوت الحموي، مصدر سابق، ج1، ص 244.

(4) مؤلف مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ص 15.

(5) لسان الدين بن الخطيب، الاحاطة، مصدر سابق، ص 97 - 98.

(6) عبد الواحد المراكشي، مصدر سابق، ص 293.

(7) ابن سعيد المغربي، مصدر سابق، ج2، ص 228.

(8) ابن الدلائي، مصدر سابق، ص 02.

(9) الزئبق: هو معدن مائع ثقيل فضي اللون يجمد في درجة 40° تحت الصفر ؛ جرجي شاهين عطيه، *معجم المعتمد* (عربي ـ عربي)، تحقيق سعدي ضناوي وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2007، ص 261 .

(10) الزهري، مصدر سابق، ص 87.

(11) ياقوت الحموي، نفسه، ج1، ص 492.

(12) الادريسي، نفسه، ص 581.

(13) المقري، نفسه، ج1، ص 455.

(14) مؤلف مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ص 50.

- **القصدير :** بالنسبة لهذا المعدن نجد بعض الناس ينطقونه بالصاد وبعضهم بحرف الزاي، وبخصوص ذلك يقول الدكتور أحمد طاهري : <<عوام الأندلس ينطقون اسم هذا المعدن بالزاي بدل الصاد، مما حمل اللغوي ابن هشام اللخمي على التنبيه بأن القزدير فيه لغتان : قزدير بالزاي و قصدير بالصاد، ويقال له الأنك والأسرف، فأما قول العامّة قزدير بفتح القاف فلحن >>[1]، ونجد هذا المعدن بأكشونبة [2] وهو جيد يشبه الفضة، كما يوجد بالمرية [3] .
- **الزنجفر**[4]: يوجد هذا المعدن بحصن أبال[5] شمال قرطبة وبفحص البلوط [6] وفي بلاد بسطاسة[7]، وجبال البرانس[8] و طليطلة [9] .

(1) أحمد الطاهري، مرجع سابق، 2009

(2) المقري، مصدر سابق، ج1، ص 143.

(3) مؤلف مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ص 15.

(4) الزنجفر : معدن بصّاص، حاصل من ازدواج الزئبق بالكبريت، ومسحوقه أحمر ناصع يستعمله الكتاب و المصورون ؛ قاموس المعتمد، مرجع سابق، ص 272 .

(5) الحميري، مصدر سابق، ص 06.

(6) ياقوت الحموي، مصدر سابق، ج1، ص 492.

(7) المقري، نفسه، ج1، ص 455.

(8) ياقوت الحموي، نفسه، ج1، ص 492.

(9) مؤلف مجهول، نفسه، ص 50.

- **التوتيا :** ومعدن التوتيا[1] نجده بالبيرة [2] و جبال قرطبة) [3] .
- **الكحل :** أما معدن الكحل فيوجد في الجبل المنسوب إليه قرب بسطة وهو جبل الكحل [4]، وفي طرطوشة [5]، وبأحواز قرطبة [6] .
- **التبر:** ذكر المقري في نفح الطيب أن التبر يوجد بأشبونة [7] بينما ذكر القزويني و الحموي اسم هذه المدينة باللام أي لشبونة [8] وهي بغربي قرطبة .
- **العنبر :** توجد بالأندلس أجود أنواع العنبر في كل من أكشونية [9]، وبساحل لشبونة [10] وبشنترة[11] وهي من مدائن أشبونة وبساحل شنترين و شذونة[12] .

(1) التوتيا : معدن أبيض ضارب إلى الزرقة يعرف عند الفرنجة بالزنك ـ قاموس المعتمد، ص 67 .

(2) الحميري، مصدر سابق، ص 46.

(3) القزويني، مصدر سابق، ص 372.

(4) نفسه، ص 344.

(5) نفسه، ص 366.

(6) مؤلف مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ص 15.

(7) المقري، مصدر سابق، ج1، ص 152.

(8) ياقوت الحموي، مصدر سابق، ج5، ص16.

(9) نفسه، ج1، ص 240.

(10) نفسه، ج5، ص 16.

(11) الحميري، نفسه، ص 347.

(12) المقري، مصدر سابق، ج1، ص 143 - 144.

2- الأملاح المعدنية:

الى جانب المعادن توجد بالأندلس الأملاح المعدنية الكثيرة ومن هذه الأملاح نذكر :

- الشب: الذي هو عبارة عن ملح مبلور اسمه الكيماوي << كبريتات الألمنيوم والبوتاسيوم>> [1] ويوجد في كل من لبلة [2] وقرطبة [3] .
- الزاج: ملح معدني اخر، وهو <<عبارة عن بلورات خضراء الى الزرقة، ويسمى في عرف الصيادلة كبريتات الحديد>>[4] ونجده إلى جانب الشب في لبلة [5].
- الملح الذرّاني: ملح معدني اخر، يوجد بسرقسطة [6] .

3- الثروة الحجرية:

تتصدّر قائمة الأحجار الموجودة بالأندلس مجموعة من الجواهر واللآلئ يطلق عليها اسم الأحجار الكريمة أو النفيسة، و تتّخذ لصناعة الحلّي الذي تتزيّن به النساء غالبا أو لتزيين التحف والأشكال داخل قصور الملوك فتضفي عليها سمة الفخامة، وقد ذكرت لنا المصادر اهتمام ملـــوك الأندلس باقتناء الجواهر والمجوهرات يقول ابن الأكفـــاني: << وجاء ملوك الأندلس ينافسون كل من تقدم باقتناء الجواهر و المجوهرات، فقد كان مصحف عثمان في مسجد قرطبة مرصعا بالجوهر >> [7].

---

(1) قاموس المعتمد، مرجع سابق، ص 321 - 322.

(2) الرشاطي، وابن الخراط الاشبيلي، مصدر سابق، ص 51.

(3) القزويني، مصدر سابق، ص 371.

(4) قاموس المعتمد، نفسه، ص 273 - 274.

(5) الرشاطي، وابن الخراط، نفسه، ص 51.

(6) نفسه، ص 80.

(7) ابن الأكفاني، نخب الذخائر في أحوال الجواهر(معجم الأحجار النفيسة)، تحقيق الأب أنستاس الكرملي، مكتبة لبنان، بيروت، د.ط، 1991، ص 129.

وهو اهتمام لم يقتصر على مدة معينة من تاريخ الأندلس سواء الإسلامي أو غير الإسلامي بل قد عرف لدى معظم ملوك الأندلس، وحتى في عصر الطوائف تذكر المصادر أن المعتمد بن عباد الأندلسي كان << يضع في مجلسه تماثيل العنبر في عدادها جمل مرصع بالذهب و اللؤلؤ، وجمل من البلور له عينان من ياقوت محلى بنفائس الدّر>> [1].

أما الأنواع الأخرى من الأحجار التي كانت بالأندلس فهي وإن لم تشبه الجواهر فإنها لا تقل أهمية عنها، وتختلف طرق وأوجه استعمالها حسب خاصية كل حجر فمنها ما يدخل في صناعة الأدوية والعقاقير، ومنها ما يتخذ لصناعة الأصباغ ومنها ما يدخل في أعمال البناء وغير ذلك من الصنائع، وسنتعرف على كل نوع من الأحجار على حدا .

ـ الأحجار الكريمة: من الجواهر الموجودة بالأندلس الأحجار الكريمة أو النفيسة، وهذا ما جعل المقري يقول عند وصفه الأندلس بأنها <<صينية في جواهر معادنها>>[2]، وقد ذكرت لنا المصادر خبر ذلك الحجر العجيب الذي كان بكنيسة مدينة ماردة يقول القلقشندي: << ويحكى أنه كان بكنيستها حجر يضيء الموضع من نوره فأخذته العرب أول دخولها>>[3]، ونذكر منها:

- **الياقوت الأحمر:** << وهو أصلب الجواهر، ولا يخدشه منها إلا الماس(...)وهو أشدّ الجوهر صقالا، وأكثرها ماءًا >>[4]

(1) ابن الأكفاني، مصدر سابق، ص 129.
(2) المقري، مصدر سابق، ج1، ص 126.
(3) القلقشندي، مصدر سابق، ج5، ص223.
(4) ابن الأكفاني، نفسه، ص 07.

والياقوت بصفة عامة أربعة أصناف الأحمر والأصفر والأزرق والأبيض، ولكن الأحمر منه يعد <<أعلاها رتبة، وأغلاها قيمة>>[1]، ويوجد بالأندلس هذا النوع بحصن منتميور[2] من كورة مالقة، أما ناحية بجّانة [3] فيوجد حجر يشبه الياقوت الأحمر وهو حسن اللون صبور على النار.

- **اللاّزورد:** << كلمة فارسية يراد بها حجر كريم مشهور بحسن لونه الأزرق السمائي، سماه الإفرنج lapis lazuli أي الحجر الأزرق>>[4]، و<< اهتمّ الناس منذ القديم بزرقة اللازورد وصنعوا منه المزهريات والتماثيل الصغيرة والعقود والمشابك والتعاويذ والعلب الفخمة وغيرها(...) وكان الرسّامون خاصة في عصر النهضة الإيطالية يستخدمون مسحوقه الناعم في صناعة الأصباغ الجميلة التي تعرف باسم التراماري>>[5]، ويوجد اللازورد في الأندلس بكثرة، ومن مناطقه لورقة [6] وجبل شلير[7]، وفي كل من المرية وبسطة وغرناطة [8].

(1) ابن الأكفاني، مصدر سابق، ص 03.
(2) مؤلف مجهول، مصدر سابق، ص 14.
(3) المقري، مصدر سابق، ج1، ص 142.
(4) ابن الأكفاني، نفسه، ص 85.
(5) محسن عقيل، موسوعة الأحجار الكريمة، دار المحجة، البيضاء، ط1، 2007، ص 534.
(6) الحميري، مصدر سابق، ص 512.
(7) لسان الدين بن الخطيب ، الاحاطة، ص 98.
(8) مؤلف مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ص 14.

- **البلّور:** << والمراد بالبلّور عند العرب ما يسميه الإفرنج cristal de rochf و ربما جاء بمعنى cristal عند كتبة العرب المحدثين (...)وأفضله المستنبط من بطن الأرض ويكون ساطع البياض كثير المائية، رزينا، صلبا بحيث يقدح منه النار ويخدش كثيرا من الجواهر>>[1] وبالأندلس يوجد البلور في كل من حصن منتيور [2] من عمل قرطبة وبمدينة لورقة[3].
- **حجر البجادي:** ويقول ابن الأكفاني في التعريف بهذا الحجر أنه <<يعرف بالبَنَفْشِ: هو حجر يشبه الياقوت بعض الشبه إلا أنه لا يضيء غالبا، حتى يقعّر من تحته بالحفر، ليشفّ عن البطائن>>[4] و يقول أيضا أنه: << لا شعاع له إلا في الأقل، وما كان منه له شعاع فهو يشبه الياقوت، وإذا خرج الحجر من معدنه وجد مظلما ليس له شفوف، فإذا قطعه الصناع، خرج لونه، وظهر حسنه، وأنار ضوؤه، وصار له بريق، وأجوده ما اشتدت حمرته>>[5] وأكثر المصادر ذكرت وجود البجادي بمدينة أشبونة [6] .

(1) ابن الأكفاني، مصدر سابق، ص 57.

(2) مؤلف مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ص 15.

(3) المقري، مصدر سابق، ج1، 142.

(4) ابن الأكفاني، نفسه، ص 17.

(5) نفسه.

(6) المقري، نفسه، ج1،ص 142.

- **اللؤلؤ:** يعد من الجواهر الكريمة، والمعروف عن اللؤلؤ أنه يوجد داخل الأصداف على الشواطئ، ويقول ابن الأكفاني عن ذلك <<الحيوان الذي يتولد فيه اللؤلؤ، هو بعض الأصداف، وهو دقيق القوائم، لزج، ينفتح بإرادة منه، وينضم كدلك ويمشي أسرابا>>[1] ويوجد اللؤلؤ في الأندلس بسواحل برشلونة [2].
- **الثريد النفيس:** نجد الثريد بجزيرة شلطيش[3].
- **حصى المريـة:** ويوجد بمدينة المرية نوع من الحصى وصفه المقري بأنه: <<كالدّر في رونقه، وله ألوان عجيبة، ومن عادتهم ان يضعوه في كيزان الماء>>[4].

ـ أحجار مختلفة : هناك نوع آخر من الأحجار بالأندلس، قد لا يمكن تسميتها جواهر، غير أنها لا تقل أهمية عن الجواهر من حيث دخولها في عدة صنائع ما يجعلها أحجارا قيمة، ومن هذه الأحجار المتنوعة نذكر:

- **حجر الشادنج :** و هو حجر يوجد بقرطبة [5]، << يقال له أيضا حجر الدم، يحرق المغناطيس فيخرج شاذنج ومنه معدني مصنوع يتلطف في احراق المغناطيس>>[6]، أما استعمالات هذا الحجر فذكر أنه <<يقوي البصر، ويذر على اللحم الزائد فيضمره، ويدمل قروح العين، وينفع من خشونة الأجفان>> [7]

(1) ابن الأكفاني، مصدر سابق، ص 27.
(2) المقري، مصدر سابق، ج1، ص 142.
(3) مؤلف مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ص 13.
(4) المقري، نفسه، ج1، ص 201.
(5) القزويني، مصدر سابق،ص371.
(6) محسن عقيل، مرجع سابق، ص 446.
(7) نفسه.

- **حجر اليهودي:** يوجد هذا الحجر في ناحية حصن البونت[1] شمال غربي بلنسية.
- **الصبغ السماوي :** و هو حجر معدني يستخدم في الصباغة، يوجد بطليطلة [2].
- **المغناطيس :** <<Aimant : حجر يجذب الحديد>>[3] فالمغناطيس عبارة عن حجر معدني من خصائصه أنه جاذب للحديد ويوجد في كورة تدمير[4]وكورة مرسية [5]
- **المرقشيشا أو المرقشيثا :** التي تندرج ضمن المعادن الكبريتية و هي عبارة عن حجر ذهبي، يقول ابن الأكفاني: <<ومنها مربع، ومدور وقطاع كبيرة غير محدودة الشكل وهي ضروب، فمنها أصفر يسمى الذهبي، وأبيض يسمى الفضي، وأحمر يسمى النحاسي >>[6]، وتوجد المرقشيثا بجبال أبدة [7]، وهي الى الشمال الشرقي من بياسة وأيضا بجبل شلير[8].
- **حجر الطلق:** وللطلق عدة معاني، ولكن سنكتفي بذكر قول ياقوت في معجم البلدان الذي يسميه بحجر الفتيلة فيقول: << وحجر الفتيلة شيء يشبه البردي، والعامة تظنه ريش طائر يقال له الطلق، لا تحرقه النار، يوضع في الدهن، ثم يشتعل بالنار، فيتقد كما تتقد الفتيلة، فإذا اشتعل الدهن بقي على ما كان، لم يتغير شيء من صفته >>[9] والطلق من ضمن الأحجار التي كانت موجودة بالأندلس [10].

(1) المقري، مصدر سابق،ج1، ص 142.
(2) نفسه، ص 143.
(3) ابن الأكفاني، مصدر سابق، ص 92.
(4) المقري، نفسه، ج1، ص142.
(5) مؤلف مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ص 14.
(6) ابن الاكفاني، نفسه، ص 95.
(7) المقري، نفسه، ج1، ص 142.
(8) لسان الدين ابن الخطيب، الاحاطة، ص 98.
(9) ابن الأكفاني، نفسه، ص 120.
(10) القزويني، مصدر سابق، ص 338.

- **الجزع :** يقول ابن الأكفاني أن: <<الجزع حجر ليس في الأحجار أصلب منه جسما، لا يكاد يجيب لمن يعالجه سريعا...>>[1] وهو موجود بالأندلس[2].
- **الرخام :** يختلف الرخام عن الأحجار التي ذكرناها ولكنه لا يقل قيمة عنها لكونه يدخل في استعمالات عديدة مثل المباني العمرانية إذ يستعمل الرخام للتزيين فتبلط به الجدران والقاعات في القصور والمساجد والمنازل، أو تتخذ منه التحف والأشكال، وهو من الثروات الحجرية التي كانت تباع و تشترى وتجلب من بلدان بعيدة حسب أنواعها و ألوانها، وبالأندلس توجد عدة أنواع من الرخام في عدة مناطق منها : ماردة [3]، طركونة [4] وفريش [5] وأشكونية [6] مع طليطلة [7]، وبالبيرة [8] وكذلك المرية [9] و باغة [10].

(1) ابن الأكفاني، مصدر سابق، ص 79 .
(2) القزويني، مصدر سابق ، ص 338 .
(3) ياقوت الحموي، مصدر سابق،ج5 ، ص39.
(4) الحميري، مصدر سابق ، ص392 .
(5) نفسه، ص440 .
(6) مؤلف مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ص54 .
(7) نفسه، ص50 .
(8) القزويني، نفسه، ص337 .
(9) المقري، مصدر سابق،ج1، ص 162 .
(10) نفسه، ص 201 .

II . المقومات البشرية:

أولا- دور العناصر السكانية في الحياة الاقتصادية:

لقد شاركت معظم العناصر السكانية بالأندلس في الحياة الاقتصادية، كل بما يمتلكه من خبرة وقدرات في مجالات مختلفة لاسيما منها المجال التجاري أو ما يرتبط به، ومن هذه العناصر النشيطة نذكر:

أ - المستعربون:

وهم النصارى المعاهدون أو الأعاجم من الذين ظلوا في الأندلس بعد الفتح، وتركزت قواعدهم الأساسية في كل من قرطبة واشبيلية وطليطلة، وخلال الحكم الأموي اعتمد عليهم بنو أمية في ادارة شؤون البلاد الاقتصادية وتنظيم الدولة، حيث عملوا في عدة مجالات كالإدارة والحرس والجيش، صناعة الأسلحة وحفظ الذخائر، الطب والتجارة[1]، كما اشتغلوا في الدباغة والحياكة وصناعة الفخار والقدور وصناعة النحاس وسبك الحديد وصناعة الصابون وعصر الزيتون، النجارة والأثاث، ضرب العملة وصك النقود[2].

ب - المولّدون:

وأصلهم نصارى أسلموا، وكذلك هم أولاد المسلمين من أمهات اسبانيات، وكان المولدون أكثر الفئات السكانية نشاطا حيث امتهنوا تربية المواشي والزراعة وهذا بالأرياف، كما اهتم سكان الجبال منهم بغراسة الأشجار وقطع الأخشاب، بينما سكان المدن امتهنوا صيد الأسماك وركوب البحر، وصناعة السفن[3].

(1) يوسف أشباخ، مرجع سابق، ص 75.

(2) عصمت عبد اللطيف دندش، مرجع سابق ، 284.

(3) ابراهيم القادري بوتشيش، مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، دار الطليعة، بيروت، 1997، ص 44.

جـ اليهود:

لقد شكل اليهود أحد عناصر المجتمع الاسباني قبل الفتح، لكنهم وقتها كانوا يعانون الاضطهاد من طرف الرومان، وبدخول الاسلام الى هذه الأرض، وبسياسته المتسامحة مع باقي الأديان نجد أن الدولة الأموية قد رحبت باليهود كعنصر من عناصر المجتمع الأندلسي، كما سمحت لهم بممارسة جميع الأعمال مما جعل العنصر اليهودي يتوافد من أصقاع أخرى الى الأندلس، وأكثر المناطق التي تركز فيها اليهود مدينة غرناطة وقرطبة وطليطلة واشبيلية وسرقسطة والبيرة ومالقة، وقد اشتغل اليهود بعدة مهن أهمها الصيرفة والتجارة[1]، خاصة تجارة الرقيق والخصيان والحرير والتوابل، كما أنهم كانوا يتحكمون في أسباب التجارة بين الأندلس والقارة الأوروبية من جهة وبين المشرق الاسلامي من جهة أخرى[2].

د ـ العرب:

لقد دخل العرب الى الأندلس اثر الفتح الاسلامي، فسكنوا المدن والأرياف، حيث اشتغل سكان المدن في التدريس والامامة والنساخة[3] أما سكان الأرياف فقد امتهنوا الغراسة والجنان وخدمة الأرض وكذلك نسج الحرير وبيعه، ونسج الكتّان وبيع الفواكه والعطور[4].

هـ ـ البربر:

دخلت جماعات البربر أرض الأندلس مع الفتح الاسلامي ثم في أيام الحاجب المنصور بن أبي عامر الذي استدعى قبائل بربرية لضمها في جيشه، وفي فترة المرابطين أيضا زاد توافدهم على الأندلس، وقد سكنوا في الجبال والأرياف والمدن.

(1) عصمت عبد اللطيف دندش، مرجع سابق، ص 284.
(2) ج.س كولان، مرجع سابق، ص 97.
(3) عصمت عبد اللطيف دندش، نفسه، ص 282.
(4) نفسه، ص 304.

فامتهنوا بالجبال قطع الأخشاب واعداد الفحم، وبالأرياف اشتغلوا في تربية الحيوانات وزراعة القمح والشعير، وأيضا عملوا على انتاج الزيوت والعسل والسمن والصوف، أما بالمدن فكانوا يشتغلون في ظفر الحلفاء، وصناعة الأوعية المختلفة وصيد الطيور، وفي أعمال التجارة والبناء[1].

ثانيا ـ أهم مناطق تركّز السكان:

يأوي الناس عادة الى استوطان المناطق المناخية المعتدلة، والأراضي الخصبة التي تتوفر على موارد مائية، فان << كثافة السكان في أية منطقة معينة كانت تتوقف على ارتفاع الاقليم وطبيعته وعلى المناخ وخصوبة التربة وامكان ريّها>>[2] كما أنهم يفضلون المناطق الساحلية أكثر من المناطق الداخلية، وذلك لكون المناطق الساحلية هي الأنسب لقيام نشاطات اقتصادية متنوعة مثل الصناعة والتجارة وأيضا الزراعة، وعليه فان السكان بالأندلس كانوا يتركزون بالمناطق الشرقية والجنوبية خاصة منها الساحلية والقريبة من الساحل، وفي المناطق الوسطى الواقعة على ضفاف الأنهار، وتقل الكثافة السكانية كلما اتجهنا نحو الشمال نظرا لصعوبة بنيتها التضاريسية وبرودة المناخ فيها، كما تقل أيضا في المناطق القاحلة التي يسودها المناخ الحار، وهذا لكون هذه المناطق لا تصلح لقيام نشاط اقتصادي بها، وفيما يلي سنذكر أهم المدن الأندلسية ذات الكثافة السكانية المرتفعة:

أ ـ المناطق الساحلية:

- **مدينة ألمرية:** تعد ألمرية من أكبر مناطق التركّز السكاني، نظرا لما تتوفر عليه من مرافق هامة كالأسواق والفنادق والحمّامات ودور الصناعات المختلفة، وكذلك لموقعها الممتاز على البحر ما جعلها تنفتح على البلدان الخارجية، فقد كانت مقصدا للكثير من سكان المناطق البعيدة، الذين يسافرون اليها لأجل التجارة أو طلبا للعلم واكتساب المعارف، أو غير ذلك من الأسباب.

(1) عصمت عبد اللطيف دندش، نفسه، ص 283.

(2) ج.س كولان، مرجع سابق، ص 88.

فينتهي بهم المطاف الى الاستقرار فيها، وذكرت المصادر الكثير عن أخبار هذه المدينة ومن بين ما وصفته ازدحامها بالسكان، يقول الرشاطي<< وبها يجتمع القاصي والداني والعربي والعجمي فكأنها بقعة محشر يجتمع فيها لكل متجر>>[1]، وسكان المرية على كثرتهم كانوا يتمتعون بمستوى معيشي جيد، يقول الادريسي << كان أهلها مياسير ولم يكن في بلاد أهل الأندلس أحضر من أهلها نقدا ولا أوسع منهم أحوالا>>[2].

- **مدينة بلنسية:** هي من المدن المعروفة بكثافتها السكانية، يقول الحميري أنها كانت مدينة << عامرة القطر>>[3]، قد كثر بها السكان نظرا لما تتوفر عليه من خصائص طبيعية كموقعها البحري ومناخها المعتدل وتربتها الخصبة فهي المدينة التي أطلق عليها اسم مدينة التراب لحسن تربتها وما تنتجه من أنواع المحاصيل، وكثرة ما فيها من مرافق خاصة الأسواق، فقد كانت <<عامرة القطر كثيرة التجار والعمار وبها أسواق وتجارات وحط واقلاع>>[4]، ويعيش أهلها في رخاء ورفاهية يقول ابن الدلائي << ولا تكاد تجد فيها من يستطيع على شيء من دنياه إلا وقد اتخذ عند نفسه مغنية وأكثر من ذلك>>[5].

(1) أبو محمد الرشاطي، وابن الخرّاط، مصدر سابق، ص 59.

(2) الادريسي، مصدر سابق، ص 563.

(3) الحميري، مصدر سابق، ص 97.

(4) الادريسي، نفسه، ص 556.

(5) ابن الدلائي، مصدر سابق، ص 18.

- **مدينة الجزيرة الخضراء:** هي مدينة من مدن الساحل بأقصى جنوب الأندلس، استوطنها الناس لخصائص تميزت بها، أهمها وقوعها على البحر قريبا من بر العدوة، فهي تقابل مدينة سبتة المغربية، وكذلك اعتدال مناخها وجودة تربتها، فمدينة الجزيرة<< طيبة رفيقة بأهلها جامعة لفائدة البر والبحر>>[1].
- **مدينة دانية:** لا تختلف هذه المدينة عن باقي المدن الساحلية من حيث الخصائص والمميزات التي تجعل منها منطقة سكانية كبيرة، وقد ذكر الحميري أنها من المدن العامرة بالسكان[2].
- **مدينة لقنت:** لقد كانت مدينة لقنت صغيرة المساحة، ونظرا لما تتمتع به من خصائص بحرية فقد قطنها كثير من الناس، فيذكر الحميري انها كانت مدينة صغيرة عامرة[3].
- **مدينة مالقة:** هي من أهم مدن الساحل الجنوبي، كانت ذات كثافة سكانية مرتفعة نظرا لما تتميز به من خصائص طبيعية واقتصادية، تزدحم بالناس من سكان وزائرين نظرا لازدهار النشاط التجاري فيها، وقد وصفها الادريسي بقوله <<ومدينة مالقة حسنة آهلة كثيرة الديار متّسعة الأقطار بهية كاملة سنية، أسواقها عامرة ومتاجرها دائرة ونعمها كثيرة>>[4] .

وتوجد الى جانب هذه المدن مدنا أخرى ترتفع فيها الكثافة السكانية، وقد اكتفينا بذكر الأهم منها، ووفقا لما ورد في المصادر .

(1) الحميري، مصدر سابق، ص 223.

(2) نفسه، ص 231 - 232.

(3) نفسه، ص 511.

(4) الادريس، مصدر سابق، ص 565.

ب ـ المناطق الداخلية:

- **مدينة اشبيلية:** هي مدينة تعد من أعظم أمصار الأندلس، وتتمتّع بخصائص عديدة مثل اعتدال المناخ وخصوبة التربة واتّساع المساحة وكثرة المرافق لذا فقد سكنها الكثير من الناس، يقول الادريسي أنها << مدينة كبيرة عامرة ذات أسوار حصينة وأسواق كثيرة وبيع وشراء وأهلها مياسير>>[1] ولكبر مساحتها توجد فيها أكثر من ثمانية آلاف قرية ،.وكل قرية عامرة آهلة بالحمامات والديار الحسنة حسب ما ذكر الادريسي، ويبدو أنها كانت قليلة السكان قبل عصر المرابطين الذي عاصره الادريسي، فقد ورد في كتاب حدود العالم لمؤلف مجهول كان قد كتبه سنة 372هـ أن اشبيلية <<قليلة السكان>>[2].
- **مدينة طليطلة:** تقع في وسط الأندلس، اتخذها ملوك الأندلس قبل الاسلام دارا لملكهم، لذلك كانت من أكثر المدن كثافة سكانية قبل الفتح ومن بعده، يقول الحميري عن ذلك << وطليطلة عظيمة القدر كثيرة البشر، وهي كانت دار الملك بالأندلس حين دخلها طارق>>[3].
- **مدينة قرطبة:** تعد قرطبة أكبر مناطق تركز السكان، خاصة بعد اعتناء الأمويين بها واتخاذهم لها دارا للخلافة، فهي مدينة << عامرة مكتظة بالسكان ذات نعم وتجارات>>[4] وكثرة التجارة مع كثرة المرافق تعد من أقوى الأدلة على كثرة السكان، وكذلك الأمر بالنسبة لكثرة المباني حيث يحكى<< أن العمارة في مباني قرطبة والزاهرة والزهراء اتصلت الى أن كان يمشي فيها لضوء السّرج المتصلة عشرة أميال>>[5].

(1) الادريسي، مصدر سابق، ص 541.
(2) مجهول، حدود العالم من المشرق الى المغرب، تحقيق يوسف الهادي، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، ط1، 1999، ص 136.
(3) الحميري، مصدر سابق، ص 393.
(4) مجهول، حدود العالم، نفسه، ص 135.
(5) المقري، مصدر سابق، ج3، ص 217.

❖ **مدينة يبورة:** يصفها الادريسي بأنها كبيرة عامرة بالناس[1]، وذلك لخصائص امتازت بها فهي على حد قوله<< أحسن البلاد بقعة وأكثرها فائدا والتجارات اليها داخلة وخارجة>>[2]، وكلها عوامل تشجع الناس على الاستقرار بها.

❖ **مدينة سرقسطة:** تعد سرقسطة من أكبر المدن تمركزا للسكان، فهي لا تختلف عن المدن التي ذكرناها من حيث الخصائص والمميزات المشجعة على استوطانها، وممارسة جميع النشاطات ذات الطابع الاقتصادي فيها، خاصة منها النشاط الزراعي الذي كان أهم الأنشطة الاقتصادية بالأندلس عامة، فتربتها خصبة وأنهارها كثيرة ومساحتها واسعة ومن ضمن ما ذكره الحميري عن هذه المدينة أنها كانت << كبيرة القطر، آهلة ممتدة الأطناب، واسعة الشوارع، حسنة الديار والمساكن متصلة الجنّات والبساتين>>[3]، وتقع في شرق الأندلس.

❖ **مدينة وشقة:** وهي متاخمة لسرقسطة، ومشابهة لها في الخصائص التي ذكرنا، يقول عنها ابن الدلائي أنها مدينة << كبيرة واسعة وآهلة بالسكان>>[4].

❖ **مدينة غرناطة:** لقد كانت غرناطة من المدن ذات الكثافة السكانية العالية وهو ما جعل المقري يقول أنها<< دمشق بلاد الاندلس>>[5]، لكن معظم سكانها كانوا من اليهود حتى كان يقال لها أغرناطة اليهود.

---

(1) الادريسي، مصدر سابق، ص 544.

(2) نفسه، ص 545؛ الحميري، مصدر سابق، ص 616.

(3) الحميري، نفسه، ص 317.

(4) ابن الدلائي، مصدر سابق، ص 56.

(5) المقري، مصدر سابق،ج3، ص 217.

كما قد كانت هناك مدنا غير التي ذكرناها استوطنها الناس بكثرة، لايسمح المقام لذكرها جميعا ومن هذه المدن على سبيل الاختصار نذكر مدينة مرسية[1] حاضرة من حواضر شرق الأندلس، يعرف أهلها بأنهم أكثر الناس راحات وفرجا، ومدينة طرطوشة[2] التي تتمتع بموقع جغرافي ممتاز لقربها من البحر، وبغزارة الثروات أيضا، ومدينة قلمرية[3] التي يذكر الحميري أنها مدينة متحضرة وعامرة، ومدينة شلب[4] وجزيرة ميورقة[5] التي يقول المقري أن فيها من الحضارة والتمكّن والتمصّر وعظم البادية رغم انفصالها عن جزيرة الأندلس بحيث يفرق بينهما البحر.

ثالثا ـ اليد العاملة المتخصصة:

لقد اشتهر الأندلسيون بحبهم للعمل، وبإتقانهم للصنائع، وبخبرتهم الواسعة في مختلف المجالات زراعة، صناعة أو تجارة، وقد يرجع ذلك الى أن الأندلس قد شهدت عبر تاريخها هجرات متنوعة وكثيرة لأجناس تركوا فيها آثارهم وخبراتهم مثل الرومان والنورمان، ثم العرب الذين حملوا اليها اضافة الى الدين الاسلامي معالم حضارة بأكملها، متمثلة في الأفكار والعادات والطرق والوسائل الى غير ذلك.

كما أن المصادر ذكرت الكثير عن طباع أهل الأندلس وأوصافهم الدالة على حسن تدبيرهم لمختلف الأمور وبراعتهم وتقديسهم للعمل، ومما قاله المقري أنهم كانوا << أحرص الناس على التميّز، فالجاهل الذي لم يوفقه الله للعلم يجهد أن يتميز بصنعة>>[6].

(1) المقري، مصدر سابق، ج3، ص 220.
(2) الحميري، مصدر سابق، ص 391.
(3) نفسه، ص 471.
(4) نفسه، 343.
(5) المقري، نفسه، ج3، ص 221.
(6) نفسه، ج1، ص 220.

فلا تجد منهم عاطلا عن العمل، أو من يعيش عالة على غيره لأن ذلك عندهم أمر مستقبح ، كما أنهم أهل احتياط وتدبير في المعاش وحفظ لما في أيديهم خوف ذل السؤال>>[1]، حتى أنهم ينسبون الى البخل ، ونحن نعلم اليوم أن سياسة التقشف وتقديس العمل تعد من أهم عوامل قوة الاقتصاد وازدهاره، بل ان خصائصهم لم تقف عند هذا الحد، فكما يقول ياقوت الحموي أن لهم << خصائص كثيرة لا تحصى واتقان لجميع ما يصنعونه>>[2]، وهنا نقف عند عامل اقتصادي آخر لا يقل جودة عن التقشف وتقديس العمل ، وهو عامل "الجودة"، وقد عبّر المقري عن ذلك في قوله أنهم << صينيون في اتقان الصنائع العملية وإحكام المهن الصورية>>[3]، وهذا في جميع المجالات لكونهم <<أصبر الناس على مطاولة التعب في تجويد الاعمال ومقاساة النصب في تحسين الصنائع>>[4].

ففي المجال الفلاحي يقول ابن خلدون أنهم << أكثر أهل المعمور فلحًا>>[5]، وخبرتهم الفلاحية واسعة ، يقول صاحب فرحة الأنفس بأنهم<< يونانيون في استنباطهم للمياه ومعاناتهم لضروب الغراسات واختيارهم لأجناس الفواكه وتدبيرهم لتركيب الشجر وتحسينهم للبساتين بأنواع الخضر وصنوف الزهر>>[6]، وفي المجال الصناعي أيضا قد برع الأندلسيون في صناعات كثيرة، تميزوا بها عن سائر البلدان في ذلك الوقت، مثل الصناعات الحريرية و الكتّانية والصوفية التي كانت توصف بالجودة والاتقان الذي لا يماثلهم فيه أحد في ذلك الوقت.

(1) المقري، مصدر سابق،ج1، ص 223.

(2) ياقوت الحموي، مصدر سابق، ج1، ص 264.

(3) المقري، نفسه، ج3، ص 151.

(4) نفسه.

(5) عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، ج2، تحقيق عبد الله محمد الدرويش، دار يعرب، دمشق، ط1، 2004، ص 37.

(6) المقري، نفسه، ج3، ص 151.

فمثلا يذكر لنا الحميري من هذه الصناعات، صناعة البسط التي كانت بمدينة مرسية فيقول أنّ << لأهلها حذق بصنعتها وتجويدها لا يبلغه غيرهم>>[1].

وهذا لا شك ما جعل منتجات الأندلس غالية الأثمان ومطلوبة في الأسواق الخارجية، ومن بين الصناعات التي أجادوها أيضا، صناعة الورق، فكانت الأندلس من بين مناطق قليلة في العالم التي كانت تصنع الورق بذلك الوقت يقول المقدسي << وأهل الأندلس أحذق الناس في الوراقة>>[2]، كما تفوقوا في الكثير من الصناعات التعدينية والاستخراجية ، وكمثال عن ذلك نأخذ ما ذكره الادريسي عن عملية استخراج معدن الزئبق في حصن أبال شمال مدينة قرطبة والذي كان << يخدمه أزيد من ألف رجل>>[3] وكذلك بالنسبة لاستخراج معدني الذهب والتبر في منطقة لشبونة[4]، ثم أن الصناعات التي أجادها الأندلسيون لا تعد ولا تحصى، ولا يختلف الأمر بالنسبة للمجال التجاري، فقد اهتم الأندلسيون بالتجارة كاهتمامهم بسائر الأنشطة الأخرى أو أكثر من ذلك، وكانوا يتاجرون في داخل البلاد وخارجها.

(1) الحميري، مصدر سابق، ص 539.

(2) المقدسي، مصدر سابق، ص 239.

(3) الادريسي، مصدر سابق، ص 581.

(4) نفسه، ص 547.

III - المقومات الصناعية:

أولا- الصناعات الزراعية:

إن كثرة المواد الخام بالأندلس و تنوعها سمح بقيام صناعات مختلفة في مختلف المدن على طول المدة التي سندرسها ومن هذه الصناعات نذكر:

- أ - الصناعات الزراعية:

تتمتع الأندلس بثروات زراعية وحيوانية كثيرة ما سمح بقيام صناعات عديدة بها وأهمها:

1- الصناعات الغذائية:

إن ما جمعناه من معلومات بخصوص هذه الصناعة من مختلف المصادر يكشف عن براعة أهل الأندلس ومهارتهم وحسن تدبيرهم أيضا وتفوّقهم في مجال الصناعات الغذائية التي نذكر منها على سبيل المثال:

- **الأطعمة المجفّفة:** لقد مهر أهل الأندلس في تجفيف الأطعمة كالفواكه مثل العنب الذي يعمل منه الزبيب، وقد اشتهرت منطقة المنكب[1] بذلك وتجفيف فاكهة التّين وقد ورد عن السّقطي أن مما كان يباع بالأسواق الفواكه اليابسة[2]، وكذلك الأمر بالنسبة للأسماك حيث كانت تجفّف وتُملّح وتُعلّب وهو المعروف في وقتنا الحالي بالمصبّرات، وهذا نظرا لكثرة أسماك الأندلس وتنوعها، وأهم منطقة عرف عنها ذلك جزيرة شلطيش التي يقول عنها الحميري:<< وبحرها كثير السمك ومنها يحمل مُمَلّحًا الى اشبيلية >>[3]، كما تفوّقت مالقة عن غيرها في تصبير الأسماك أيضا.

(1) المقري، مصدر سابق ، ج1،ص68.
(2) السقطي، آداب الحسبة، ص19 .
(3) المقري، نفسه، ج1، ص168 .

- **صناعة الزّيت:** تعتبر صناعة الزيوت من أشهر الصنائع الغذائية التي عرف بها الأندلسيون، كما تعد منطقة اشبيلية أهم المناطق انتاجًا لزيت الزيتون، وذلك لكثرة زيتونها خاصة بجبلها المعروف بالشرف، وقد حقّقت في صناعة الزيوت فائضا جعلها تصدر منه الى خارج بلاد الأندلس، حيث << يتجهّز به منها الى أقصى المشارق والمغارب>>[1].
- **الخمور:** إنّ صناعة الخمور لم تتوقف بالأندلس على طول العهود التي مرت بها رغم تحريم الاسلام لها، حيث لم يفلح أحد من الحكام المتعاقبين عليها في منع ذلك، وهذا لِتَعَوُّد أهل الأندلس على شربها، ففي عهد بني أميّة حاول الحكم بن عبد الرحمن والملقّب بالمستنصر بالله أن يمنع الخمر نهائيا غير أنه أخفق، يقول الضبي عن ذلك << وكان قد رام قطع الخمر من الأندلس، وأمر بإراقتها، وتشدّد في ذلك، وشاور في استئصال شجرة العنب من جميع أعماله فقيل له: إنهم يعملونها من التّين وغيره، فتوقّف عن ذلك >> [2]، ثم إنّ أهل الأندلس كثيرا ما كانوا يصنعونها سرًا، كذلك لم تنجح الدولة المرابطية في منع الخمر، ومن المناطق الشهيرة بكثرة صناعتها مدينة باغة التي يقول عنها ابن سعيد المغربي أنها: << كثيرة الأعناب وخمرها مشهورة >>[3]، وتضاهيها في جودة الخمر وشهرتها مدينة لقنت[4] .

(1) الادريسي، مصدر سابق، ص 541.

(2) الضبي، بغية الملتمس في تاريخ أهل الأندلس، ج6 ، دار الكتاب العربي، 1967، ص18.

(3) ابن سعيد المغربي، مصدر سابق ، ج2،ص154 .

(4) نفسه، ص 274.

وصناعة الخمر لم تقتصر على العنب وحده، انّما صنعت من فواكه أخرى مثل التّين والزبيب، وتعد مرسية احدى المدن التي اختصّت بهذا النوع من الخمور، لكن يظل العنب أكثر الفواكه لعصر الخمر،وكانت كل من << مرسية ولورقة ومالقة وبلنسية واشبيلية >>[1] مناطق ذات شهرة واسعة في صناعة الخمور حتى عصر الموحدين .

- **صناعة الملح والسكّر:** نظرا لتوفّر مناطق استخراج الملح، ومزارع قصب السكر، وجدت بالأندلس صناعة كل من الملح والسكر، اللذين يعتبران من أهم المواد الغذائية، وتتم صناعة الملح << بطريقة التجفيف المتعارف عليها منذ أقدم العصور في أحواض الملح>>[2] أو باستخراج الملح الحجري والقيام بتفتيته، بينما السكّر فقد كانت تنتج منه ثلاث أنواع أساسية ذكرها الدكتور أحمد الطاهري وهي<< السكر المسحوق، والسكر الأحرش، والسكر الطّبرز>>[3].
- كما اشتهرت بالأندلس صناعات أخرى مثل صناعة **الأجبان والألبان** واختصت بذلك عدة مدن مثل: قنتورية وأورية وجيّان وشريش، هذه الأخيرة التي تفوّقت بها صناعة المُجَبَّنَات لطيب جبنها حتى أنه كان يقال << من دخل شريش ولم يأكل بها المجبّنات فهو محروم >>[4] ورافق صناعة الأجبان صناعة **السمن** أيضا وأكثر مناطق إنتاجه منطقة القصر وأحواز شلب نظرا لكثرة انتاج هذه المناطق من الألبان واللحوم، كما عرفت هذه المناطق أيضا صناعة **العسل** لكثرة <<انتشار المناحل بها والتي كان يجمع منها العسل بكميات وفيرة >>[5]، وعرفت بذلك أيضا منطقة أشبونة التي تميّز عسلها بالجودة وكان يوضع في أكياس من الكتّان فلا يلوثها كأنه سكر.

(1) الحميري، مصدر سابق، ص 171.
(2) أحمد الطاهري، مرجع سابق، ص 398.
(3) نفسه، ص 399.
(4) المقري، مصدر سابق ، ج1 ، ص148 .
(5) الإدريسي، مصدر سابق ، ص544 .

2- الصناعات النسيجية:

تعدّ الصناعات النسيجية من أكثر الصناعات رواجا وازدهارا بالأندلس في مختلف العهود التي مرّت بها، وذلك لكونها تزخر بالمواد الخام اللازمة لهذه الصناعة كالقطن والكتان والحرير والأصواف، وكذا المواد التي تستخرج منها الأصباغ مثل القرمز والزعفران وغيرهما، وتعد المنسوجات الحريرية في صدارة أنواع النسيج الذي تنتجه الأندلس، ولا غرابة في ذلك ما دامت الأندلس تعرف تربية دود الحرير على نطاق واسع نظرا لكثرة أشجار التوت فيها، وقد ذكر لنا الحميري[1] أنه بجيّان أزيد من ثلاثة آلاف قرية تربي دود الحرير .

ومن أهم المراكز التي اشتهرت بصناعة الأنسجة الحريرية << بجّانة>>[2] التي ازدهرت خلال القرنين الثالث والرابع هجري، و<< قرطبة>>[3] حاضرة الأمويين، وبعد سقوطهم فقدت مكانتها تلك وورثتها مدينة المرية التي << اكتسبت شهرة عالمية في صناعة المنسوجات الحريرية>>[4] وقد قدّر المقرّي عدد الأنوال التي كانت تعمل فيها بنحو خمسة آلاف وثمانمائة نول في عصره، وازدادت المرّية ازدهارا وعطاء في عصر المرابطين أكثر مما كانت عليه من قبل، ولم تقتصر المرية في صناعتها على المنسوجات المحلية بل كانت تصنع بها أنواع من المنسوجات المشرقية كالثياب الجرجانية والأصبهانية والعتابية، وكذا المنسوجات اليونانية مثل الأسقلاطون .

(1) الحميري، مصدر سابق ، ص183 .

(2) نفسه، ص79 .

(3) ابن الخطيب، أعمال الأعلام، مصدر سابق، ص40 .

(4) السيد عبد العزيز سالم، تاريخ مدينة المرية الإسلامية- قاعدة أسطول الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر، الإسكندرية، 1984 ، ص155.

وهذا إن دلّ على شيء إنّما يدل على مهارة الصناع الأندلسيين من جهة وعلى وجود تبادل حضاري بين الأندلس وباقي الأصقاع خاصة المشرق الاسلامي، حيث كانت تعبر عن ذلك تلك الصنائع المقلّدة عن صنائعهم فنسبت إلى البلد الأصلي لها مثلا: الثياب الجرجانية والأصبهانية والعتابية، هذا فضلا عن المنسوجات المحلية التي كانت تشتهر بالأندلس ومن ذلك الثياب السرقسطية[1] نسبة الى سرقسطة وهي نوع من الثياب الرقيقة، وكذلك الوطاء الجنجالي نسبة إلى جنجالة (تقع بطرف كورة تدمير) يقول أبو محمد الرشاطي: << وإليها ينسب الوطاء الجنجالي لعمله بها >>[2]

لقد كانت الصناعة النسيجية بالأندلس في معظم فتراتها متطورة، لا يكاد يضاهيها بلد في ذلك وهذا لتوفر المواد اللازمة ومهارة الأندلسيّين وحذقهم وانفتاحهم على البلدان الأخرى واطلاّعهم عمّا بها من صنائع، فغدت منسوجاتهم متنوعة بين ما هو محلي أندلسي محض لا تجد مثيله في بلد آخر وبين ما هو مقلّد لا يكاد يفرّق بينه وبين الأصلي، وبهذا تفوقت الأندلس بصنائعها عن باقي البلدان يقول ابن سعيد عن المرية قال ابن فرج:<< حدث فيها من صنعة الوشي والديباج على اختلاف أنواعه، ومن صنعة الخزّ وجميع ما يعمل من الحرير ما لم يبصر مثله في المشرق ولا في بلاد النصارى>>[3].

وهكذا بالنسبة لمعظم المدن المتبقية فقد اشتهرت مرسية[4] بصناعة الحلل من الحرير والديباج أيضا.

(1) ياقوت الحموي، مصدر سابق، ج3، ص213 .

(2) أبو محمد الرشاطي، وابن الخراط الإشبيلي، مصدر سابق، ص 89 .

(3) ابن سعيد المغربي، مصدر سابق، ج2، ص 194 .

(4) نفسه ، ص245 .

وإلى جانب المنسوجات الحريريّة نجد منسوجات أخرى منها المنسوجات القطنية والكتّانية و أهم مراكزها إشبيليّة[1]، وحصن بكيران[2]، والمنسوجات الصوفية في كل من سرقسطة[3] وجنجالة[4] أما السجاد والبسط الغالية الثمن نجدها بتنتالة[5] من عمل مرسية وألش[6] ومدينة بسطة[7] التي تخصصت أيضا بطراز الوطاء البسطي من الديباج الذي لا يعرف له نظير، وصنعت الأوطية الصوفية بقونكة [8] أيضا، وبمرسيّة [9] حصائر متقنة الصنع.

ـ دباغة الجلود:

إلى جانب الصناعة النسيجيّة كانت هناك صناعة أخرى أو ما يعرف بالدباغة ومن الأماكن المشهورة بذلك مدينة باجة << ولها خاصيّة في حسن دباغة الأدم>>[11] ومالقة إذ <<هي مختصّة بعمل صنائع الجلد كالأغشية والحزم والمدورات>>[12].

(1) ابن الدلائي، مصدر سابق ، ص96 .
(2) الإدريسي، مصدر سابق ، ص557 .
(3) ابن الدلائي، نفسه ، ص22 .
(4) أبو محمد الرشاطي، وابن الخراط، مصدر سابق، ص 89.
(5) الحميري، مصدر سابق ، ص539 .
(6) ياقوت الحموي، ج1 ، مصدر سابق ، ص245 .
(7) الحميري، نفسه ، ص113 .
(8) الإدريسي، نفسه ، ص560 .
(9) المقري، ج1 ، مصدر سابق ، ص201 .
(10) القلقشندي، مصدر سابق ، ص223 .
(11) نفسه، ص219 .

3- صناعة العطور والعقاقير:

لقد عرفت الأندلس صناعة العطور والعقاقير الطبّية المختلفة بحكم وفرة المواد التي تقوم عليها هذه الصناعة سواء منها النباتية أو المعدنية أو الحجرية مثل الزعفران والعنبر والصّندل والمحلب وعود الألنجوج و معدن الزّاج و بعض الأحجار كحجر الطلق وحجر اليهودي وغيره، والدليل على قيام هذه الصناعة بالأندلس هو ما أورده جل المؤرخين والجغرافيين عن وجود أسواق العطارين [1] في عدة مدن أندلسية، وقد ازدهرت هذه الصنعة أكثر بظهور الصيدلة والطب فضلا عمّا عرفه علم الكيمياء من تطور خاصة في العصور الأخيرة التي شملتها دراستنا أي المرابطين والموحدين لدرجة أنه في الدولة الموحدية أنشأت المستشفيات والمارستانات وتطورت المستحضرات الدوائية وكثرت التصانيف والمقالات في تحضير العقاقير المعدنية والنباتية والحيوانية وطرق تنقيتها وتصنيفها مثل مقالة الزهراوي[2] الثامنة والعشرون والتاسعة والعشرون من << كتابه "التصريف لمن عجز عن التأليف" والتي تعد أشهر مقالة صيدلانية كتبت بالأندلس>> [3].

(1) العطّارين: "هم تجّار العطور وصانعوها أو مستخرجوها، وتعد العطارة من الصناعات الهامّة نظرا لاستخداماتها الدينية (في الطقوس) وفي الزينة وعلاج البشرة، ويتجمع العطارون في أسواق خاصة بهم عرفت باسمهم؛ انظر إبراهيم السيد النافة، ص ص20.

(2) الزهراوي: هو أبو القاسم خلف بن عبّاس الزهراوي الأندلسي المتوفي سنة 404 هـ/ 1013 م كان في بلاط الحكم الثاني، وهو من أساطين الطب في الأندلس ومن كبار الجراحين العرب والعالميين أهم كتبه (التصريف لمن عجز عن التأليف)؛ محمد عبد الرحمن مرحبا، الجامع في تاريخ العلوم عند العرب، منشورات عويدات، بيروت/ باريس، والمؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط 3، 1989/1988، ص 363.

(3) محمد عبد الرحمن مرحبا، نفس المرجع، ص 302.

ولكي لا نكون مجحفين بحق الجغرافي الذي رافقنا كتابه القيّم طيلة انجاز هذا البحث وهو الشريف الإدريسي، فانه يجدر بنا أن نشير الى كونه من بين علماء النبات والصيدلة المشهورين، وقد كان عالما بقوى الأدوية المفردة ومنافعها ومنابتها وأعيانها فله كتاب "الأدوية المفردة" و"الجامع لصفات أشتات النبات"، وهو من العلماء المسلمين القلائل الذين اشتركوا في نقل كنوز العلم العربي إلى أوروبا بحكم إقامته الطويلة في صقلية ونشاطه العلمي الغزير فيها[1].

وقد أوردنا في المبحث الخاص بالثروة الزراعية مطلباً ذكرنا فيه أهم الأعشاب الطبية، كما أشرنا في مطلبي الثروة المعدنية والحجرية إلى أهم أنواع المعادن والأحجار المستعملة في صناعة العقاقير، وما يمكن قوله هو أن العطارة كانت بالأندلس قبل وخلال العصر الأموي وظلت في تطور وازدهار إبان العهود التي أعقبت فترة الأمويين خاصة منها عهد المرابطين.

د- صناعة الورق:

تعد صناعة الورق من الصناعات الرائدة في الأندلس، بحيث يعزى إلى المسلمين أنهم كانوا أول من أدخل الورق إلى أوروبا عن طريق الأندلس وكانوا يستخدمون الرّق قبل ذلك[2]، ويقول المقدسي عن أهل الأندلس أنهم كانوا<< أحذق الناس في الوراقة>>[3].

وشجّع على ظهور مثل هذه الصناعة بالأندلس انتاجها الوفير من القطن والكتّان المستعملان في ذلك، وتعد مدينة شاطبة من أهم مناطق صناعته اذ يذكر الإدريسي: <<أنه يعمل بمدينة شاطبة بالأندلس من الكاغد مالا يوجد له نظير بمعمور الأرض، وإنه يعمّ المشارق والمغارب>>[4].

(1) محمد عبد الرحمن مرحبا، مرجع سابق ، ص 303.
(2) حسين يوسف دويدار، مرجع سابق ، ص 355.
(3) المقدسي، مصدر سابق، ص 239.
(4) الإدريسي، مصدر سابق، ص 556؛ الحموي، مصدر سابق،ج3، ص 213.

والراجح أنّ صناعة الورق خلال العصر المرابطي عرفت تقدماً ملحوظا بحيث << أنتجت الورق الملون، ولكن الإنتاج لم يكن جيداً>>[1].

وفي عصر الموحدين ظهرت مراكز جديدة لصناعة الورق مثل بلنسية [2] التي أصبحت المركز الرئيسي لهذه الصناعة بدل شاطبة نظراً لوفرة الكتّان فيها وانعدامه بشاطبة ولا أدل على ذلك من كثرة عدد الورّاقين والنسّاخ فيها من غيرها.

أما الدليل عن جودته في العصر الموحّدي هو ما أورده المقري في كلامه حيث قال: << أن بعض المغاربة كتب إلى الملك الكامل بن العادل بن أيوب رقعة في ورقة بيضاء، إن قرئت في ضوء السراء كانت فضية وإن قرئت في الشمس كانت ذهبية، وإن قرئت في الظل كانت حبراً أسود>>[3]، وهذا الكلام ذكره أيضا الدكتور عز الدين عمر موسى، الذي استنتج بدوره مما ورد في الرسالة أن هذا المغربي هو من بلاد الاندلس، ففي الرسالة أبيات شعرية يقول فيها: **" لئِن صَدّنِي البَحْرُ عن مَوطِنِي "**

ونحن نعلم أن الأندلس هي الجزء الوحيد الذي يفصله البحر عن باقي البلاد الاسلامية.

(1) عز الدين عمر موسى، مرجع سابق، ص 224.

(2) نفسه.

(3) المقري، مصدر سابق، ج4، ص 326 - 327.

هـ - الصناعات الخشبية:

تنوّعت الصّناعات الخشبية بالأندلس نظراً لثروتها الغابية الكبيرة، وتحتل صناعة السفن المرتبة الأولى من بين باقي الصناعات الخشبية الأخرى وهذا راجع إلى عوامل منها وفرة الأخشاب الجيّدة مثل أخشاب الصنوبر بجبال طرطوشة التي يقول عنها الحميري: << وبجبالها خشب الصنوبر الذي لا يوجد له نظير في الطول والغلظ، ومنه تتّخذ الصواري والقرى، وهو خشب أحمر صافي البشرة بعيد التغير لا يفعل فيه السوس ما يفعله في غيره من الخشب >>[1]، ولتعدّد مراسيها التي كانت تتّخذ بها دور الصناعة نظرا لطول سواحلها، وأخيراً لحاجة الأندلس لأساطيل السفن المختلفة حربية وتجارية فالحربية لأن معظم الدول التي حكمت الأندلس في العصور التي تشملها دراستنا قد كانت دول مغازي وحروب، أما التّجارية فلأنها كانت الوسيلة الوحيدة لربط البلاد بباقي البلدان المجاورة لها أو البعيدة عنها لوقوعها وسط البحار، ولهذا فإنّ صناعة السفن بها تعد من الصناعات القديمة التي كانت موجودة قبل الفتح الإسلامي، وبمجيء المسلمين ازدهرت هذه الصناعة و أنشأوا الكثير من مراكز الصناعة فضلا عن المراكز القديمة التي استغلّوها أيضا، وكمثال نذكر عبد الرحمن الأوسط (206-238هـ) الذي<< أمر بإقامة دار صناعة بإشبيلية، وأنشأ المراكب>>[2] لتكوين أسطول بحري قوّي يمكنه حماية السواحل الأندلسية ، وعبد الرحمن الثالث- الناصر لدين الله- (300-350 هـ) الذي <<نشطت حركة إنشاء وصناعة السفن في عهده>>(3) هو الآخر فقد أنشأ الكثير من دور الصناعة بمختلف المدن.

---

(1) الحميري، مصدر سابق ، ص 391.

(2) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، مجلد 2، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، ودار الكتاب اللبناني، بيروت، ط 2، 1989ن ص 82.

(3) علي حسين الشطشاط، تاريخ الإسلام في الأندلس من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة، دار قباء، القاهرة، د.ط، 2001، ص 158.

وبمجيء الدولة المرابطية نشطت الصناعة عموماً وزاد الاهتمام أكثر بصناعة السفن والأسطول لكونها دولة مغازي.

فنجد أنها قامت باستغلال مراسي البلاد الأندلسية لإنشاء السفن الحربية والتجارية مثل << طرطوشة ولقنت ودانية وبلنسية وشلب وقصر أبي دانس ومالقة>>[1]، بينما اتخذت قادس والمرية كقاعدتين لأسطولها، يقول الدكتور عبد العزيز سالم عن المرية <<كذلك تقدّمت صناعة السفن بجميع أنواعها وذلك في دار الصناعة بالمريّة >>[2] غير أن صناعتها اضمحلت في النصف الثاني من القرن السادس الهجري قبيل دخول الموحّدين وهذا<< بعد أن خرّب نصارى اسبانيا المريّة، وفقد شرف الأندلس طرطوشة>>[3] التي كانت تعد الممّون الرئيسي لمادة الخشب، كما تدهورت الأوضاع الأمنية في غرب الأندلس ما زاد في تراجع هذه الصناعة لا سيما وأن الموحدين اعتمدوا أكثر على دور الصناعة التي ورثوها عن المرابطين في الأندلس، باستثناء بعض المراكز التي أقاموها مثل دار الصناعة بإشبيلية، وقد تنوعت السفن التي كانت تصنع في مختلف دور الصناعة ما بين سفن تجارية ومراكب كالتي كانت تنشأ بمالقة[4]، وسفن حربية مثل الحراريق التي نجدها بكل من المريّة والمنكب ومالقة[5] أيضا.

(1) الإدريسي، مصدر سابق ، ص 180، 181، 190، 193.

(2) السيد عبد العزيز سالم، مصدر سابق، ص 89.

(3) عز الدين عمر موسى، مرجع سابق، ص 233.

(4) القلقشندي، مصدر سابق، ص 219.

(5) ابن فضل الله العمري، مصدر سابق، ص 233 - 234.

لكن صناعة السفن لم تكن الصناعة الوحيدة بالأندلس بل كانت هناك الكثير من الصناعات الخشبية الأخرى، ففي العهد الأموي نجد فن النحت على الخشب، وتعد منابر المساجد ومقصوراتها أحسن دليل على ذلك، مثل مسجد قرطبة والزهراء وإشبيلية، وأيضا في<< صناعة العلب الخشبية المطعّمة بالعاج التي كانت تتّخذ لحفظ قِنّينَات العطور والمسك والعنبر والحلبي، وخاصة لزوجات الخلفاء والأمراء وجواريهم>>[1].

ثم يحدثنا الإدريسي المعاصر لفترة المرابطين أنه بحصن قيشاطة كانت تصنع القصاع والمخابئ والأطباق[2] من خشبها، ومن خشب طرطوشة الذي يشبه خشب الساج يقول القزويني كانت تصنع الآلات والظروف[3] وتزايدت استخدامات الخشب وتنوّعت الصنائع بازدهار العمران وتطور الهندسة المعمارية، وقد شهدت الأندلس من فترة المرابطين إلى فترة الموحدين نهضة معمارية كبيرة تجلّت آثارها في تطوير الصناعة الخشبية يقول الدكتور عز الدين عمر موسى: <<فعمارة المساجد وبناء القصور والمستشفيات تركت آثاراً كبرى في تطوير الصناعات الخشبية بما احتاجته من سقوف وشبابيك وأبواب ومنابر ومقصورات وآثاثات وتحف زخرفية>>[4]، كما لا ننسى أن المطاحن والأرحاء [5] التي تزخر بها بلاد الأندلس المستعملة في عملية طحن الحبوب وغيرها كانت تصنع من الخشب، والحقيقة أن هذه الأمثلة التي ذكرناها ما هي إلا محاولة لتوضيح الصورة لا أكثر فالصناعة الخشبية الأندلسية واسعة ومتشعّبة ولا يمكن أن يشملها عدٌّ ولا حصر.

(1) حسين يوسف دويدار، مرجع سابق، ص 252.

(2) الإدريسي، مصدر سابق ، ص 569.

(3) القزويني، مصدر سابق ، ص 366.

(4) عز الدين عمر موسى، مرجع سابق، ص 233.

(5) الحميري، مصدر سابق ، ص 392-183.

ثانيا ـ الصناعات المعدنية:

لقد تعددت الصناعات المعدنية بالأندلس بتعدد المعادن فيها وتنوعها، ولأنه لا سبيل إلى حصرها فسنحاول ذكر أهمها:

أ- صناعة التماثيل والتحف:

تتوفر الأندلس على معادن هامّة مثل الذهب والفضّة والزئبق والنحاس والرصاص والقصدير، ويتمتع أهلها بالمهارة والخبرة بطرق استخراجها وخدمتها، وقد عاين الإدريسي بنفسه عملية استخراج الزئبق من مناجم بشمال قرطبة بطريقة تنّم عن حذق ودراية أهل الأندلس بهذه الأشغال فقال أن معدن الزئبق بها << يخدمه أزيد من ألف رجل>> [1]، وليس هذا فحسب بل أن الأندلسيين يتمتعون أيضا بالمهارة في تحويل هذه المواد الخام الى تُحَفٍ وصنائع مختلفة تُبهر من يراها، فقد أشاد معظم من كتب عن الأندلس من مؤرخين وجغرافيين في مختلف الحقب بروعة هذه المصنوعات ووصفوها لنا بأوصاف لا أدل منها على براعة الأندلسيين وفنهم الراقي ناهيك عن تلك الآثار التي وصلتنا منها لتشهد بنفسها عن نفسها دون مبالغة ولا تقصير.

ومن هذه التحف نذكر التماثيل المعدنية التي زيّنت قصور الزّهراء، يقول المقري<<إن الخليفة الناصر نصب الحوض الصغير الأخضر المنقوش بتماثيل على صورة إنسان والذي جلب من القسطنطينية في المجلس الشرقي المعروف بالمؤنس وجعل عليه اثني عشر تمثالا من الذهب الأحمر مرصّعة بالدّر النفيس الغالي ممّا عمل بدار الصناعة بقرطبة على صورة أسد بجانبه غزال وتمساح وفي المقابل صورة ثعبان وعقاب وفيل، وفي المجنبتين حمامة وشاهين وطاووس ودجاجة وديك وحداة ونسر،كل ذلك مرصّع بالجوهر النفيس ويخرج الماء من أفواهها>> [2] .

(1) الإدريسي، مصدر سابق ، ص581 .

(2) المقري، مصدر سابق، ج1، ص246 .

كما ازدهرت صناعة الثريّات البرونزية فقد ذكر لنا المؤرخون أن جامع قرطبة كان يشتمل على مائتين وثمانين ثريّا من اللاّطون (النحاس الأصفر) ويقول القلقشندي في وصف نقله عن جامع الحمراء بغرناطة<< وجامعها من أبدع الجوامع حسنا، وأحسنها بناء، وبه الثريّات الفضّية معلقة، وبحائط محرابه أحجار ياقوت مرصّعة في جملة ما نُمِّق به من الذهب والفضة، ومنبره من العاج والأبنوس>>[1].

وازدهرت أيضا صناعة التحف المصنوعة من الفضة والبرونز وبهذا الخصوص يذكر لنا الدكتور حسين يوسف دويدار تحفة فضية وصلت إلينا من عصر الخلافة وهي عبارة عن << صندوق كاتدرائية خيرونة، الذي يبدو أن القطلانيين سلبوه من قرطبة من بين ما سلبوه بعد تخريبها في القرن الحادي عشر الميلادي، وهذا الصندوق عليه نقش كتابي يدل على أنه صنع بأمر الخليفة الحكم المستنصر لابنه هشام المؤيد>>[2] وهو صندوق مصنوع من الخشب ومغطّى بصفائح من الفضة مزدانة بزخارف مطروقة ومذهبة.

وإلى جانب التماثيل والتحف صنعت كذلك الحلّي الباهرة التي كانت تتزيّن بها الأميرات والجواري وغيرهن من النّساء وهو ما استنتجناه من بعض كتب النوازل فقد وردت ضمن أحد نوازل ابن رشد مسألة عن << حلّي فيه جوهر كثير له قيمة عالية وفيه ذهب كثير بثمن كثير إلا أن الجوهر في سلكه، والجوهر غير مركب عليه الذهب، هل يباع جميع ذلك بفضة على مذهب المدوّنة>>[3].

(1) القلقشندي، مصدر سابق، ص216 .

(2) حسين يوسف دويدار، مرجع سابق ، ص357.

(3) ابن رشد، مصدر سابق، ص209 .

ومن أهم مراكز الصناعات المعدنية التي ذكرتها المصادر: قرطبة[1]، حصن أبال[2]، طليطلة [3]، ولشبونة [4] بينما احتلت الصدارة في هذه الصنعة كل من بسطة[5] وألمرية[6] في عصر المرابطين، لتتفوق عنها مرسية ومالقة في عصر الموحدين[7].

ويحدثنا صاحب مسالك الأبصار أيضا أنه بمدينة غرناطة كان<<هنالك برج الدّيك عليه ديك نحاس رأسه رأس فرس وعليه صورة راكب بحربة ودرقة من حيث هبّت الرّيح دار وجه الراكب>>[8].

ب ـ صناعة الأواني المنزلية:

ومن الأواني المنزلية التي كانت تصنع بالأندلس من معادن الشبوب والنحاس والحديد والكبريت الأصفر والأحمر والرصاص والقصدير وغيرهما نذكر القدور والسكاكين والأمقاص وكل ما يحتاج إليه في أي منزل، و اشتهرت بهذه الصناعات مدينة مرسية التي كان يصنع بها حسب قول المقري<< آلات الصفر و الحديد من السكاكين والأمقاص المذهّبة وغير ذلك من آلات العروس>>[9].

(1) ابن عذارى المراكشي، مصدر سابق، ج2، ص231 .

(2) الإدريسي، مصدر سابق ، ص581 .

(3) المقري، مصدر سابق، ج1، ص161 .

(4) الإدريسي، نفسه، ص547 .

(5) نفسه، ص568 .

(6) الحميري، مصدر سابق، ص538 .

(7) عز الدين عمر موسى، مرجع سابق، ص250 .

(8) ابن فضل الله العمري، مصدر سابق، ص230 .

(9) المقري، نفسه، ج1، ص 202.

كما اشتهرت ألمرية ابتداء من العهد الأموي و بلغت ذروة الازدهار في عصر المرابطين يقول الادريسي << وكانت المرية قبل الآن يصنع بها من صنوف آلات النحاس والحديد إلى سائر الصناعات>>[1]، وكذلك تنوعت الصناعات بمدينة بسطة وبعد انهيار المرية منتصف القرن السادس تخصّصت كل من << مرسية ومالقة بصناعة آلات الصفر و النحاس و الحديد من سكاكين و مقصّات مذهّبة وجميع ما يحتاجه المنزل من أوان، ويبدو أن مرسية كانت أكثر انتاجا>>[2]، وهذا خلال عصر الموحدين فمالقة مثلا كان بها << سوق ممتد لعمل الخوص من الأطباق وما في معناها>>[3]، كما صنعت أيضا من معادن القصدير والرصاص قنوات نقل المياه والأنابيب، يقول أبو الفداء عن مدينة لاردة << ولها ماء مجلوب في قنى قد أعجزت صنعته جميع العالم[4]، وهذا إن دل على شيء فهو يدل على أسبقية أهل الأندلس في الصناعة وتفوقهم العالمي خلال ذلك الوقت.

ج ـ صناعة الأسلحة:

لقد أنتجت الأسلحة في الأندلس بكميات كبيرة و في مختلف الفترات وهذا نظرا للحاجة الدائمة إليها بحكم كثرة الحروب سواء منها تلك التي خاضها المسلمون ضد النصارى أو التي وقعت فيما بينهم، فضلا على أن معظم الدول الإسلامية التي حكمت الأندلس لم تتوقف عن الغزو، الأمر الذي استدعى الاهتمام بهذه الصناعة يقول ابن سعيد: "و أما آلات الحرب من التراس والرماح والسروج والألجم والدروع والمغافر فأكثر همم أهل الأندلس كانت مصروفة إلى هذا الشأن>>[5].

(1) الادريسي، مصدر سابق ، ص562.
(2) عز الدين عمر موسى، مرجع سابق، ص250.
(3) القلقشندي، مصدر سابق ،ص219.
(4) أبو الفداء، مصدر سابق ، ص181.
(5) المقرّي، مصدر سابق، ج1، ص202.

والمناطق المشهورة بصناعة الأسلحة هي: مرسية[1]، طليطلة التي << يصنع فيها من آلات الحرب العجائب>>[2]، وبنبلونة[3]، وإشبيلية[4] و وشقة أيضا.

د- صناعة الزجاج:

عرفت الأندلس و منذ العصر الأموي صناعة الزجاج بها خاصة صناعة الأكواب والكؤوس التي تُعلّق في ثريّات المساجد و القصور، << ونعتقد بأن هذه الصناعة قد أخذت تتقدم منذ عهد عبد الرحمن الأوسط وخاصة بعد دخول زرياب إلى الأندلس، وتفضيله استخدام الأكواب الزجاجية الصافية لتقديم الماء و الشراب، بدلا من أكواب الذهب والفضة و المعادن الأخرى>>[5]، وقد اشتهرت بهذه الصناعة كل من مالقة ومرسية والمرية يقول المقري:<< ويصنع بها(أي مرسية) و بالمرية و مالقة الزجاج الغريب و العجيب، و فخار مزجج مذهب>>[6]، وفي عصر الموحّدين تفرّدت بهذه الصناعة كل من مرسية و مالقة وانقطعت مساهمة المرية بعد تعرضها للتخريب وتوقف الصناعات بها [7].

(1) المقري، مصدر سابق،ج1، ص 202.

(2) ابن سعيد المغربي، مصدر سابق ، ج2، ص9.

(3) أبو الفداء، مصدر سابق ، ص185.

(4) المقري، نفسه، ج1، ص201-202.

(5) حسين يوسف دويدار، مرجع سابق ، ص353 .

(6) المقري، نفسه، ج1 ، ص202 .

(7) الإدريسي، مصدر سابق ، ص197 .

ثالثا ـ الصناعات الحجرية:

يعتبر الرخام رأس الصناعات الحجرية بالأندلس نظرا لكثرة انتشاره بها، وكما برع الأندلسيون في الصناعات السابقة، قد برعوا أيضا في صناعة الرخام وتحويله الى مختلف الأشكال ذات الاستعمالات المتعددة، وها النوع من الصناعة انتشر في مناطق منها المرية ومالقة ومرسية، ومن بين الصناعات الرخامية<< صناعة الأحواض والبيلات، والألواح المنشورية الشكل والشواهد اللازمة للمقابر>>[1]، وقد بلغت صناعة التوابيت وشواهد القبور في عصر المرابطين درجة كبيرة من الاتقان[2].

كما صنع بالأندلس أنواع من البلاط الذي تزيّن به الجدران وأرضيات القصور والمنازل، يقول المقرّي << ويصنع بالأندلس نوع من المفصص المعروف في المشرق بالفسيفساء، ونوع يبسط به قاعات ديارهم يعرف بالزليجي يشبه المفصص وهو ذو ألوان عجيبة يقيمونه مقام الرخام الملوّن الذي يصرفه أهل المشرق في زخرفة بيوتهم كالشادروان وما يجري مجراه>>[3] والى غاية عصر المرابطين تفوقت المرية في هذه الصناعة وكذلك مدينة طركونة.

لكن بعد تعرض المرية للتخريب اختفت بها هذه الصناعة في عصر الموحدين وانفردت بذلك مالقة ومرسية، ثم إن الصناعات الفخارية تركزت أكثر في جنوب وشرق الأندلس[4].

(1) السيد عبد العزيز سالم، مرجع سابق، ص 160.

(2) عصمت عبد اللطيف دندش، مرجع سابق، ص 182.

(3) المقرّي، مصدر سابق، ج1، ص 202.

(4) عز الدين عمر موسى، مرجع سابق، ص 253.

الفصل الثاني

التجارة الداخلية بالأندلس

I الطرق التجارية الداخلية:

أولا: الطرق البرّية.

ثانيا: الطرق النهريّة.

ثالثا: الطرق البحرية.

II الأسواق والنظم التجارية:

أولا: أهم الأسواق في الأندلس.

ثانيا: نظم التعامل التجاري.

ثالثا: الاشراف على الأسواق.

III أهم المراكز التجارية بالأندلس:

أولا: المراكز التجارية الساحلية.

ثانيا: المراكز التجارية الداخلية.

ثالثا: المبادلات التجارية الداخلية.

ـ التجارة الداخلية بالأندلس ـ

I . طرق التجارة الداخلية:

أولا : الطرق البريّة:

ميّزت الأندلس شبكة واسعة من الطرق البرّية، منها القديمة التي يعود انشاؤها الى عصور سابقة مثل العصر الروماني ومنها ما استحدثه المسلمون بعد دخولهم اليها اثر الفتح، ولقد ربطت هذه الطرق معظم مدن الأندلس بعضها البعض، الأمر الذي سهّل عملية انتقال الأشخاص والبضائع ورؤوس الأموال مما يعني ازدهار التجارة بشكل عام، ومما ساعد على ذلك أن معظم هذه الطرق كانت آهلة، حيث تمرّ بالقرى والحصون لتربط مدينة بمدينة أخرى، كما كانت مدن الأندلس في جملتها متقاربة يسهل السفر منها واليها، يقول الزهري: << وليس في معمور الأرض صقع أصغر من هذا الصقع يجد فيه المسافر ثلاث مدن وأربع مدن قريبة بعضها من بعض إلا في الأندلس>> [1] إضافة الى أن المسافر عبر هذه الطرق لا يكون مضطرا الى حمل زاده معه وهذا لتوفر محطات الراحة وبيع الطعام على طول كل طريق، فقد أشارت المصادر خاصة الجغرافية منها الى وجود الفنادق والمطاعم أو حوانيت بيع الأطعمة الجاهزة والحمامات لاستراحة التجار في جنبات بعض الطرق، وتعد المنازل المعدّة لاستراحة التجّار والمسافرين وأيضا حوانيت بيع الطعام أكثر المرافق انتشارا يقول الزهري :<< ومن بركتها أنه لا يمشي الانسان فيها فرسخين دون ماء، ولا يمشي ثلاثة فراسخ إلا وجد فيها الخبز والزيت في الحوانيت على طول سفره>>[2]، والجدير بالذكر هو أن هذه الطرق والمسالك إن لم تتغير عبر جميع العهود التي عرفتها الأندلس فإن درجة استعمالها كانت متغيرة من عهد الى آخر وفقا للظروف الأمنية، فيقل أو حتى ينتفي استخدام بعض الطرق في ظل انعدام الأمن والاستقرار، لان الأندلس عاشت ظروفا حالكة إثر الأزمات التي عصفت بها ما بين فتن وحروب مثل ثورات البربر في العصر الأموي،

(1) الزهري، مصدر سابق، 80.

(2) نفسه.

والفتن بين ملوك الطوائف وتحرشات النصارى آنذاك، ومرحلة الانتقال الصعبة من عهد المرابطين الى عصر الموحدين، وكما هو معروف فإن اللصوص وقطاع الطرق وغيرهم من الأشرار يستغلون دائما الظروف القاسية التي قد تمر بها البلاد للقيام بأعمال الشغب من سرقة وقطع الطريق عن التجار مع سلب أموالهم وبضائعهم، لذا فإنه من البديهي أن تتضاءل درجة استخدام مختلف الطرق البرية أوقات اللاأمن بينما تتزايد في أوقات الأمن والاستقرار كما كان عليه الحال في أيام المرابطين الذين << نجحوا في حماية الطرق وتأمين المسالك والضرب على أيدي العابثين بالأمن>> [1] ومن بعدهم الموحدين الذين حرصوا كل الحرص على استتباب الأمن والاستقرار، بتوفير الحماية عبر مختلف الطرق البريّة الرابطة بين مدن الأندلس وعليه فقد تزايد النشاط التجاري خلال هاتين الفترتين بفضل سهولة تنقل الأشخاص والبضائع وكذا رؤوس الأموال بين المدن خاصة منها المدن الكبرى التجارية والصناعية، مثل مدينة طليطلة التي يعتبرها الادريسي مركزا لبلاد الأندلس فهي تقع وسط البلاد وتتصل بمختلف الجهات عبر شبكة من الطرق البرية، وكذلك مدينة قرطبة التي اتخذها الأمويون عاصمة لهم لذا كانت تربطها بباقي مدن الأندلس عدة طرق رئيسية، أهمها الطريق الرابط بينها وبين ألمرية هذه المدينة التي نمت حتى صارت من أكبر المراكز التجارية[2] ومن قرطبة الى مدينة مالقة طريق يطوي مسافة الألف ميل، وترتبط قرطبة بإشبيلية التي لا تقل أهمية عنها بأكثر من طريق واحد، فقد ذكر الادريسي أن هناك ثلاث طرق تربط بين المدينتين وهي: طريق الزنجبار وطريق لورة وطريق الوادي [3]، ومن اشبيلية لمن أراد مواصلة المسير الى الجزيرة الخضراء طريق ممهد توجد على طوله "المنازل" لاستراحة المسافرين[4].

(1) ابن أبي زرع الفاسي، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، صور للطباعة والوراقة، الرباط، د.ط، 1972، ص 167.
(2) أنظر ملحق رقم: 05.
(3) الادريسي، مصدر سابق ، ص 573.
(4) نفسه ، ص 541.

كما يربط اشبيلية بمدينة بطليوس طريق أيضا، وهو طريق حجر ابن أبي خالد الذي يبدأ من بطليوس ويمر بجبل العيون وصولا الى اشبيلية.

ونعود الى ذكر مدينة ألمرية التي وبفضل أهميتها الاقتصادية قد اتصلت بها شبكة من الطرق التي تربطها بمختلف الجهات ففضلا عن الطريق الرابط بينها وبين قرطبة هناك طريق آخر يربطها بغرناطة التي لا تقل أهمية عنها، ونظرا لتطور المدينتين فان الطريق بينهما لا يخلو من مرافق الراحة مثل المنازل، كالمنزل الذي بحصن مندوجر، والذي بقرية عبلة أيضا[1].

وفي سياق الحديث عن طرق الأندلس البرّية لابد من ذكر مدينة وادي آش[2] التي يعتبرها الادريسي رصيفا تجتمع به طرق كثيرة تؤدي الى مدن عديدة، فمنها مثلا يستطيع المسافر التوجه الى مدينة بسطة عبر الطريق المار بجبل عاصم ثم قرية يورا فبسطة عبر مسافة ثلاثين ميلا، كما يمكن السفر الى جيّان[3] وغيرها انطلاقا من مدينة وادي آش.

أما ابن الدلائي فقد ذكر لنا مدينة أخرى لا تقل شأنا عن باقي المدن الأندلسية، وهي سرقسطة[4] التي يقول أنها: << توسطت مدن الثغر وهي باب من الجهات كلها>>[5] فبفضل الموقع الذي تحتله سرقسطة أصبحت بمثابة نقطة عبور تلتقي عندها جميع الطرق التي تربط الأندلس بإسبانيا الشمالية أو مدن ما وراء جبال البرت كبلاد الغال ـ وباقي الممالك الأوروبية.

(1) الادريسي، المصدر السابق، ص 566 - 567؛ انظر ملحق رقم05.

(2) وادي آش: مدينة بالأندلس قريبة من غرناطة، شديدة البرد لقربها من جبل شلير- الحميري، مصدر سابق، ص 604.

(3) جيّان: مملكة جليلة بموسطة الأندلس بين غرناطة وطليطلة ومرسية ، الحميري، ص 49؛ أنظر ملحق رقم:01.

(4) سرقسطة: تقع في شرق الأندلس، وهي مدينة كبيرة تتوسط مدن الثغر فهي باب من الجهات كلها ؛ ابن الدلائي، مصدر سابق، ص 25.

(5) نفسه، ص 24.

ثانيا: الطرق النهرية:

إن معظم بلاد الأندلس تشقها الأنهار والوديان التي استعملت في العديد من الأغراض كالشرب والسقي وادارة الأرحية التي غالبا ما توجد على حواف هذه الأنهار لطحن الأقوات، كما استخدمت الأنهار في المواصلات ما بين المدن مما وسّع شبكة النقل داخل الأندلس، فبالإضافة الى الطرق البرية كانت هناك مجموعة من الطرق النهرية الرابطة بين مختلف المدن خاصة منها تلك الواقعة في الناحية الغربية وهذا راجع الى عدم صلاحية أنهار الجهة الشرقية للملاحة باستثناء نهر واحد وهو نهر شقر الذي تقع عليه جزيرة شقر القريبة من شاطبة والذي كانت تُنقَل عبره أخشاب الصنوبر من منطقة كونكة، بينما أنهار الجهة الغربية فقد كانت أصلح للملاحة خاصة منها الوادي الكبير المنبعث من جبال شقورة، والذي كان يمثل معبرا طبيعيا من جنوب قرطبة الى جهاتها الأخرى كما كانت هناك مراسي كثيرة على طول هذا الوادي للتنقّل من الجنوب الى الشمال والعكس، ومن المدن الأخرى التي ترتبط بطرق نهرية مدينتا اشبيلية والجزيرة الخضراء وطول الطريق بينهما في النهر حوالي ستين ميلا [1] كما يربط نهر يانة كل من مدينتي بطليوس وماردة بمسافة الثلاثين ميل [2]وهذا النهر << يمر على ماردة وبطليوس ثم الى مدينة طويرة وهي على نهر يانه وشماليه ثم الى مصب نهر سنتمرية ثم الى مصب نهر شلب>>[3].

وكان المسافرون عبر هذه الأنهار من تجّار وغيرهم ينتقلون في مراكب يمتلكونها أو يقومون بكرائها لأجل نقل أمتعتهم أو بضائعهم، كما أن ملكية هذه المراكب قد تكون فردية أي لشخص واحد أو مشتركة بين شخصين[4] أو أكثر، هذا ما نفهمه من بعض كتب النوازل من خلال قضايا تصف لنا مظاهر الحياة اليومية للأندلسيين.

(1) الادريسي، مصدر سابق، ص 540؛الميل :هو وحدة قديمة لقياس الطول؛ سبق تعريفه.
(2) نفسه، 545.
(3) ابن سعيد، كتاب الجغرافيا، ص 166.
(4) أحمد ابن رشد، فتاوى ابن رشد، تقديم وتحقيق المختار بن الطاهر التليلي، السفر الأول، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1407هـ / 1987م، ص 836.

ومن هذه القضايا ما ورد في ديوان الأحكام الكبرى << أن قوما من النواتية استعدوا المراكب لإجازة الناس على نهر قرطبة في مرسى بالشيء وغيرها من المراسي >>[1]، وفي احدى نوازل الونشريسي نجد نازلة تتحدث لنا عن رجل قام بكراء مركب لينقل عليه مائة شاة الى ميورقة[2]، وقد كان الكثير من سكان الأندلس يفضلون السفر عبر الأنهار بدل الطرق البرية، رغم الأخطار التي كانت تكتنفهم، فمثلا تذكر لنا بعض قضايا النوازل أن المركب الذي ينقل المسافرين كان <<يحشى حتى يكاد ينكفي إلا أن الله يدفع، وصاروا يركبون غررا>>[3]، ونشير أيضا الى أن هذه الأنهار لم تكن لتقف حاجزا يضطر المسافرين برًا الى اجتيازها وهذا بفضل الجسور الموجودة عليها أو القناطر التي تصل بين ضفتي النهر.

ثالثا: الطرق البحرية:

بالإضافة الى الطرق البرية والنهرية التي ربطت بين مختلف أرجاء الأندلس، كانت هناك طرق أخرى عبر البحر الذي يحيط بالأندلس من معظم جهاتها، فمن الواجهة الشرقية تشرف سواحلها على البحر المتوسط، ومن الجهة الغربية على المحيط الأطلسي مما يجعل الاتصال بين مدنها الساحلية برًا أمرا صعبا لذا وكما قال الدكتور عز الدين عمر موسى<< اقتضت صعوبة الاتصال بين مدن الساحل برا أن يكون طريق البحر أهم وسيلة في تجارتها>>[4].

(1) ابن سهل، ديوان الأحكام الكبرى، تحقيق يحيى مراد، دار الحديث، القاهرة، د.ط، 1428هـ/2007م، ص 627.

(2) أبي العباس أحمد بن يحيى الونشريسي، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل افريقية والأندلس والمغرب، ج3، وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية، المملكة المغربية، ودار الغرب الاسلامي، بيروت، ط1، 1981، ص 64.

(3) ابن سهل، نفسه، ص 627.

(4) عز الدين عمر موسى، مرجع سابق، ص 321.

كما أن انفصال جزر ميورقة واخوانها عن الأندلس وترامیها في بحار المتوسط يجعل اتصالها بباقي البلاد الأندلسية لا يتم إلا بحرا.

مثلما ذكرناه عن الرجل الذي اكترى مركبا نقل عليه مائة شاة الى ميورقة، وكذلك الأخشاب التي كانت تصل الى جزيرة شقر من قلصة [1] الى حصن قلبيرة، حيث يتم شحنها في المراكب لتحمل الى دانية على البحر<< فتنشأ منها السفن والمراكب الصغار ويحمل الى بلنسية منه ما كان عريضا فيصرف في الأبنية والديار>>[2] وكل ذلك عن طريق البحر.

ويذكر الادريسي اضافة الى الطريق البرّي الذي كان يربط مدينة ألمرية بمالقة طريق آخر يربطهما عبر البحر طوله مائة وثمانين ميلا[3]، وبطبيعة الحال من الممكن قطع هذا السفر البحري في احدى المحطات التي يمر بها الطريق ومواصلته برا نحو احدى المدن الداخلية كأن ينزل المسافر بمدينة المنكب ثم يواصل السفر الى غرناطة برًا عبر طريق يطوي مسافة الأربعين ميل كما يتضح من خلال الخريطة المرفقة.

(1) قلصة: هي حصن منيع تتصل به أجبل كثيرة كلها شجر صنوبر، ومن قونكة الى قلصة ثلاث مراحل شرقا؛ الادريسي، المصدر السابق، ص 560.

(2) الادريسي، المصدر السابق، ص 560.

(3) نفسه، ص 564؛ انظر ملحق رقم 05

II . الأسواق والنظم التجارية:

أولا: أهم الأسواق في الأندلس:

تعتبر الأسواق محور الحياة الاقتصادية بالأندلس، فالهدف الأول من انشائها هو مزاولة النشاط التجاري المتمثل في البيع والشراء، والنشاط الصناعي المتمثل في ممارسة مختلف الصنائع والحرف.

وقد أشارت وكتب الجغرافيا الى كثرة الأسواق في المدن الأندلسية، خاصة كبريات المدن كالمرية واشبيلية وقرطبة التي كانت تعد من أهم المراكز التجارية بالأندلس في العصر الاسلامي، وحتى المدن الصغيرة أو القرى لم تكن تخلو من الأسواق هي الأخرى باعتبارها مرافقا ضرورية يذهب اليها الناس لقضاء حوائجهم اليومية ومتطلبات حياتهم الضرورية منها أو الكمالية، ومن المدن التي كانت عامرة بالأسواق التجارية يذكر لنا الحميري مدينة قرطبة التي يقول عنها << وهي في ذاتها مدن يتلو بعضها بعضا، وبين المدينة والمدينة سور حاجز، وفي كل مدينة ما يكفيها من الأسواق والفنادق والحمامات وسائر الصناعات>>[1] وهو ما لاحظه ابن حوقل أثناء زيارته لها فوصفها أيضا << بفسحة الأسواق وكثرة الحمامات والفنادق>>[2] بينما يصف لنا الادريسي ربضا من أرباض مدينة المرية وهو ربض الحوض في الجانب الغربي منها فيقول عنه << وهو ربض له سور عامر بالأسواق والديار والفنادق والحمامات>>[3].

(1) الحميري، مصدر سابق، ص 456.

(2) ابن حوقل، مصدر سابق، ص 107.

(3) الادريسي، مصدر سابق، ص 563.

كما يصف مدينة بلنسية أيضا بأنها مدينة<< كثيرة التجار والعمار، وبها أسواق وتجارات>>[1]، أما اشبيلية فقد كان لها << قرى كثيرة، وكل قرية عامرة بالأسواق والديار الحسنة والحمامات وغيرها من المرافق>>[2]، ومما تجدر الاشارة اليه هو أن ذكر الأسواق في معظم المدن يرافقه ذكر الحمامات والفنادق وهو أبلغ دليل على تمتع تلك المدن المذكورة بنشاط تجاري واسع يشمل الصعيدين المحلي والدولي، فالفنادق والحمامات اللصيقة الذكر بالأسواق هي ما يحتاج اليه التجار الغرباء الوافدين بتجاراتهم على هذه المدن لأجل الإيواء وحفظ السلع وغير ذلك من الضروريات التي يحتاجها المسافر، هذا وقد وصفت المصادر الأسواق الأندلسية بالترتيب والنظافة في أكثر من موضع، كقول الادريسي عن مدينة شلب أنها << مرتبة الأسواق>>[3] وعن مدينة طلبيرة يقول أيضا أنها بلد <<به أسواق جميلة الترتيب>>[4]، حتى ابن حوقل خلال زيارته لقرطبة شدّ انتباهه ما تتميز به من << فسحة الأسواق ونظافة المحال>>[5]، ويقصد بترتيب الأسواق أن يختص كل جانب منها بنوع معين من السلع أو التجارة وكذلك الحرف، فيكون بالسوق جانب خاص لبيع الخبز مثلا وآخر لبيع الخضر والفواكه، وجانب لبيع اللحوم وآخر للأسماك، ويشتق اسم السوق من نوع السلعة المعروضة فيه أو الصنعة الممارسة فيه فيقال هذا سوق البقالين، وسوق الجزارين، وسوق الحوّاتين، وسوق الزيّاتين، وسوق العطارين، وسوق الخبازين والفرانين، وسوق الخشابين، وسوق الرقيق، وسوق الدواب، وسوق الثياب[6].

(1) الادريسي، مصدر سابق، ص 556.
(2) المقري، مصدر سابق، ج1، ص 159.
(3) الادريسي، نفسه، ص 543.
(4) نفسه ، ص 551.
(5) المقري، نفسه، ص 460.
(6) راجع بشأن الأسواق التجارية والصناعية كتاب: ابراهيم السيد الناقة، دراسات في تاريخ الأندلس الاقتصادي (الأسواق التجارية والصناعية في الأندلس في عصري الخلافة الأموية والخلافة الموحدية)، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية،د.ط، 2010.

أو أن يقال بالنسبة لأسواق الحرف هذا سوق الخياطين، وسوق الصباغين، وسوق الفخارين، وسوق الزجّاجين، وسوق الحدّادين وسوق الحجّامين، وسوق البياطرة الى غير ذلك من الأسواق.

كما يقتضي ترتيب الأسواق أن تُبعَدَ أسواق بعض المواد الغذائية عن أسواق بعض الحرف المستقذرة، فباعة الخبز واللبن وغيرها من أنواع الأطعمة <<يمنعون من مجاورة أهل الحرف القذرة كبياع السردين وسائر أصناف الحوت والبياطرة والحجّامين وما أشبه ذلك>>[1]، كما تبعد أسواق الثياب عن الأسواق التي قد تنبعث منها النيران كسوق الطباخين والفرّانين أو تشتعل فيها سريعا كسوق الخشابين وهذه كلها من التدابير الوقائية التي كان يسهر على تجسيدها صاحب السوق ونعني به المحتسب، وكذلك الأمر بالنسبة لنظافة الأسواق فالتجار كانوا << يؤمرون بتنظيف ساحاتهم والبعد عن المواضع الواسخة القذرة>>[2] فلم تكن الأسواق أمكنة للبيع والشراء وانتهى بل كانت أيضا << عبارة عن مدارس لأصحاب الحرف التي تقوم بتعليم الصبيان أصول تلك الصنعة>>[3] الى جانب ما يعرض فيها من هذه الصنائع، يقول الحميري عن سوق مدينة طرطوشة<< وسوقها في الربض القبلي جامعة لكل صناعة ومتجر>>[4].

(1) ابن عبد الرؤوف، آداب الحسبة والمحتسب، نشر ليفي بروفنسال، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، د.ط، 1955، ص 90.

(2) نفسه.

(3) سامية مصطفى مسعد، العلاقات بين المغرب والأندلس في عصر الخلافة الأموية (300 - 399هـ / 912 - 1008م)، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، ط1، 2000، ص 154.

(4) الحميري، مصدر سابق، ص 391.

وعليه فالأسواق تتنوع على حسب النشاط الممارس فيها، كالتجارة أو الحرف، وعلى حسب السلع المعروضة بها، غير أن جميع السلع والحرف، والتجار والصنّاع يجمعهم مكان واحد هو السوق، ولتعدد الحرف والسلع لا يمكننا تقسيم الأسواق على أساسها، وعليه سنحاول تقسيم أسواق الأندلس حسب أوقات انعقادها وهي كالتالي:

ـ أ ـ أسواق دورية: ويقصد بها الأسواق التي تقام أو تعقد في أيام معينة ومعلومة من الأسبوع أو الشهر أو السنة، وكانت تقام هذه الأسواق في الأرياف، لذا فأكثر من يردها هم أهل القرى والمداشر، وذلك ليبيعوا بضائعهم وليتبضعوا ما يحتاجونه من سلع ومنتجات زراعية وصناعية وغيرها، ومن هذه الأسواق المؤقتة نذكر:

1- الأسواق الأسبوعية: وهي أسواق تعقد في يوم معين من أيام الأسبوع وبمكان معين، وينسب السوق والمكان المقام فيه الى يوم انعقاده فيعرفه التجار والعامة من الناس، لكن هذه الأسواق الأسبوعية تعتبر أقل نشاطا وازدهارا من الأسواق اليومية و يرجع ذلك الى كونها أسواقا ريفية كما ذكرنا، وقد وردت في بعض المصادر اشارات مقتضبة عن هذه الأسواق، فذكر الحميري سوق الخميس الذي كان يعقد في ربض قبرة[1] وبقرمونة[2] أيضا، وسوق الثلاثاء في قرية شوذر[3].

2- الأسواق الموسمية: وهي التي تسميها المصادر بالأسواق المشهودة، وهذه الأسواق تعقد في فترات متباعدة من السنة، وللأسف لم نتحصل على معلومات كثيرة عن الأسواق الموسمية التي كانت بالأندلس، سوى ما ذكره الادريسي عن السوق التي كانت تعقد بحصن بكيران فيقول أنه<< حصن منيع وعامر كالمدينة وله سوق مشهودة>>[4].

(1) الحميري، مصدر سابق، ص 453.
(2) نفسه، ص 461.
(3) نفسه، ص 351.
(4) الادريسي، مصدر سابق، ص 557.

كما توجد أسواق أخرى تعد أسواقا مؤقتة أيضا غير أنها لا ترتبط بأي يوم من أيام السنة، انما ارتباطها يكون بالأحداث العسكرية، فهي <<تصحب الجيوش أثناء تنقلاتهم في غزواتهم فيعرض التجار ما يحتاج اليه الجيش مما عندهم من السلع، استهلاكية كانت أم حربية، وقد أشار ابن عذارى الى هذا النوع خلال حديثه عن حرب المرابطين للسيد القمبيطور فقال: " وأقبلت دواب الميرة من كل صوب ">>[1] وهذا النوع من الأسواق يسمى بالأسواق العسكرية.

ـ ب ـ أسواق يومية : وهي الأسواق التي تقام داخل المدينة وتكون ثابتة، وتوجد في كل المدن الأندلسية، وقد تشتمل بعض المدن على مجموعة من الأسواق خاصة المدن الكبرى كثيرة السكان والواسعة المساحة، أو على الأقل تكون بها سوق واحدة إن كانت المدينة صغيرة، كما كانت أسواق المدن تقام قريبا من المساجد، فتجد حوانيت بيع الفواكه والخبز والخضر في رحاب الجامع الأمر الذي يجعله يضيق مع الوقت بالمصلين مثلما حدث بمسجد اشبيلية عام 592هـ ـ أي ـ على عهد الموحدين، مما اضطرّهم الى هدم جميع الديار والحوانيت والأسواق والفنادق المحيطة بالجامع لأجل اعادة توسيع رحابه[2] ثم أعيد بناؤها بعد ذلك.

وتتميز الأسواق الدائمة بكثافة نشاطها التجاري وكثرة وارديها من التجار والعامّة، كما أنها تكتظ بالبضائع والسلع المحلية والمستوردة، وقد زاد هذا النشاط بصفة خاصة في الأسواق الأندلسية ابتداء من القرن الرابع للهجرة، حيث صار يتوافد على الأندلس الكثير من التجار الغرباء من مختلف الأصقاع فكان ذلك سببا لاهتمام ولاة الأمر بإنشاء المؤسسات ذات الصبغة الاقتصادية المرتبطة بالنشاط التجاري داخل أسواق المدن،

(1) عبد العزيز حاج كولة، الحياة الاجتماعية والاقتصادية بالأندلس من خلال النوازل الفقهية في القرنين 5 - 6 هـ / 11 - 12 م، رسالة ماجستير، اشراف محمد الأمين بلغيث، جامعة الجزائر 2، بوزريعة، السنة الجامعية 2009- 2010، ص 167.

(2) ابن صاحب الصلاة، مصدر سابق، ص 397.

بحيث تعد هذه المؤسسات مرافقا تخدم التجارة والتجار بالدرجة الأولى، والتي من أهمها نذكر الفنادق والقيساريات، وللتعريف أكثر بها نأخذها في النقاط التالية:

1- الفنادق:

<< إن كلمة "فندق" مشتقة من الكلمة اليونانية Pandocheion التي كانت تستخدم في جميع أنحاء منطقة البحر الأبيض المتوسط في عصر ما قبل الاسلام، وكان المسافرون وتجار العصور الوسطى الأوروبيون يستخدمون كلمة "فندقو" (Fondaco) وهي كلمة مشابهة ومشتقة من كلمة " فندق"[1]، وكان التجار هم أكثر من يفد الى الفنادق لذلك كانت الفنادق في ذلك العهد تبنى << من عدة طوابق كل طابق مقسّم الى عدة أمكنة جزء منها خصّص للنوم والرّاحة وخصص الجزء الآخر لعقد الصفقات التجارية>>[2]، ويزوّد الفندق بفرن لصناعة الخبز، كما قد يزود بكنيسة ليقيم التجّار النصارى فيها شعائرهم الدينية، ويشرف على الفندق موظف يدعى بالفندقي، أما عن نزلاء الفندق فكان أغلبهم << تجار الجملة ومراسلي المستوردين حيث تعج بالكثير من البضائع المعدّة للتصدير والمستوردة للسوق المحلّي>>[3].

وكان لكل فندق اسم يُعرف به، تمييزا له عن باقي الفنادق الأخرى، وهذا الاسم يطلق عليه إما نسبة للسلعة المباعة فيه مثل فندق الخمر الذي بربض شقندة[4]، أو نسبة لصاحب الفندق مثل فندق زايدة في غرناطة[5]، أو حتى تسمى نسبة لمن ينزل فيها كفندق الجنويين[6] الذي كان يقيم فيه التجار من مدينة جنوة.

(1) جيمس ليندزي، العالم الاسلامي في العصور الوسطى، ترجمة ناصر الحجيلان، مراجعة سعد البازي، كلمة، أبو ظبي للسياحة والثقافة، د.ط، 2011، 168.

(2) سامية مصطفى مسعد، مرجع سابق، ص 155.

(3) ابراهيم السيد الناقة، مرجع سابق، ص 376 - 377.

(4) ابن عذارى المراكشي، مصدر سابق،ج2، ص 77.

(5) نفسه، ج3، ص 88.

(6) ابراهيم السيد الناقة، نفسه، ص 379.

وقد انتشرت مختلف هذه الفنادق في الأندلس خاصة بالمدن الكبيرة، التي كانت بمثابة المراكز التجارية التي يفد اليها التجار من داخل وخارج الأندلس، وكمثال عن هذه المدن المزدحمة بالفنادق نذكر قرطبة[1] التي من بين ما وصفها به ابن حوقل حين زار الأندلس سنة 337هـ هو كثرة الفنادق، و مدينة المرية التي بلغ عدد فنادقها أيام المرابطين حوالي ألف فندق، يقول الادريسي أن << عدد فنادقها التي أخذها عد الديوان في التّعْتِيب ألف فندق إلا ثلاثين فندقا>>[2]، وغير بعيد عن المرية كانت بجّانة من المدن العامرة بالفنادق لكثرة وارديها، يقول القزويني << وبها فنادق مبنية أحجار لسكان قاصدي تلك الجهة وربما لم يوجد بها المسكن لكثرة قاصديها>>[3]، ولم يقتصر وجود الفنادق في المدن الكبيرة وحدها، بل حتى في القرى والحصون كانت تقام الفنادق أيضا مثلما هو الأمر بالنسبة لقرية بزليانة[4] وحصن قيشاطة[5] كذلك.

وترافق ذكر الفنادق دائما بذكر الحمّامات ، فهي من المرافق التي يحتاجها المسافر أينما حل، لذا نجد أن كل مصدر ذكر لنا الفنادق إلا ويذكر معها الحمّامات حتى يبعثنا ذلك على التخيّل أن الحمّامات لم تكن تبنى الا بجوار هذه الفنادق وهو أمر معقول لأن الخدمات التي قد توفرها الفنادق لا تكتمل الا بوجود حمامات قريبة منها.

وما يمكن قوله على العموم فيما يخص الفنادق، هو أنها قد ساهمت بشكل كبير جدا في ازدياد النشاط التجاري بالأندلس سواء ما تعلق منه بالتبادل التجاري الداخلي، أو الخارجي على حد سواء.

(1) ابن حوقل ، مصدر سابق، ص 107.

(2) الادريسي، مصدر سابق، ص 563.

(3) القزويني، مصدر سابق، ص 342.

(4) نفسه، ص 565.

(5) نفسه، ص 569.

2- القياسر:

القياسر أو القيساريات << هي عبارة عن مجموعة من المباني العامّة تضم مخازن وحوانيت ومساكن لمبيت التجار>>[1] على أن يكون بناء القيسارية بشكل مستطيل على مساحة كبيرة، لتحوي من الداخل العديد من الأروقة التي تتوزع حولها الحوانيت والمصانع ـ أي ـ الورشات التي تمارس فيها مختلف الحرف كما رأينا بالنسبة لموضوع الأسواق، وكذلك المستودعات وحجرات المعيشة، << وضمت هذه القياسر بعض المساجد، كما كان يعلوها رباع ذات مساكن يقيم فيها الصناع والتجار بأجر >>[2].

وكانت الدولة هي من تقوم ببناء تلك القياسر وبتأجيرها لأرباب المهن والصنائع والتجار، أما الهدف من انشاء مثل هذه القيساريات هو تأمين التجارة والتجار من كل الأخطار التي قد تعترضهم، ومنع الغش بفرض الرقابة على التجار والصنّاع وجباية الضرائب لصالح الدولة، خاصة وأن القياسر تمتاز بكبر مساحتها وباحتوائها على أكثر من سوق ، لذا فهي تخضع لإشراف المحتسب الذي يعين بدوره أمينا عليها يدعى بـ أمين القيسارية وهو ما تؤكده المصادر التي ذكرت لنا اسم أحد أمناء القياسر وهو أمين قيسارية مالقة << محمد بن أبي بكر بن ولاد الأنصاري>>[3] الذي وصف بالأمانة في حفظ الودائع لدرجة أنه كان مقصودا من طرف الناس من كل مكان.

(1) سامية مصطفى مسعد، مرجع سابق، ص 156.

(2) نفسه؛ ويعد الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك (105 - 125 هـ/ 723 - 743م) هو أول من أدخل نظام القيساريات في العالم الاسلامي.ـ السيد ابراهيم الناقة، المرجع السابق، ص 385.

(3) أبو عبد الله بن عسكر، وأبي بكر بن خميس، *أعلام مالقة*، تحقيق عبد الله المرابط الترغي، دار الغرب الاسلامي/دار الأمان للنشر والتوزيع/دار صادر، بيروت، ط1، 1420هـ - 1999م، ص 157.

وإنّ معظم القيساريات الأندلسية كانت توجد في مدنها الكبرى، ونذكر منها مثلا قيسارية المرية التي رتّبت << كل صناعة منها حسب ما يشكل لها، قد أمن فيها التجار بأموالهم وقصد اليها الناس من أقطارهم>>[1]، وكانت قيسارية المرية واحدة من ضمن الكثير والكثير من الأسواق التي تميزت بها هذه المدينة، حتى أن المرية بحد ذاتها كانت توصف بأنها<<قيسارية الأندلس ودار صناعتها>>[2]، واضافة الى المرية تشتهر قيساريات قرطبة[3] كذلك التي أقيمت الى جانب المرافق الأخرى كالفنادق والحمامات على طول ضفة الوادي الكبير، ومن المدن المعروفة بقيسارياتها أيضا مالقة واشبيلية وغرناطة وبلنسية وطليطلة وغيرها.

وكانت القياسر مرتبة بأحسن ترتيب، فقد خصص لكل تجارة أو حرفة زقاق أو قيسارية خاصة بها، فمنها قياسر << خاصة بالمنسوجات الحريرية والكتانية والقطنية وغيرها من أنواع المنسوجات، وبجوارها حوانيت خاصة بالثياب المخيطة وحوانيت للخياطين، وقيسارية تعرض بها الحلي الذهبية والفضية وأنواع الأحجار الكريمة>>[4] الى غير ذلك من أنواع المبيعات، من توابل وعقاقير وأحذية وأصناف الأغذية مثل الفواكه والخضر كل منها في جهة معينة.

(1) ابن الدلائي، مصدر سابق، ص 86.

(2) الزهري، مصدر سابق، ص 101.

(3) مؤلف مجهول، مصدر سابق، ص 31.

(4) عصمت عبد اللطيف دندش، مرجع سابق، ص 198.

ثانيا: نظم التعامل التجاري:

ـ أ ـ البيوع:

لقد تعددت الطرق التي كانت تتم بها عمليات البيع والشراء في أسواق الأندلس بتعدد وكثافة أنشطتها التجارية، فعرفت أنواعا من البيوع منها المشروعة وحتى غير المشروعة، كالتي ورد ذكرها في بعض قضايا النوازل، ومن هذه البيوع الكثيرة نذكر:

1- البيع بطريقة مباشرة: وعادة يحدث بمساومة المشتري لسلعة معروضة في السوق ليقوم بشرائها مباشرة بحيث يدفع ثمنها حال استلامها.

2- البيع بالتقسيط [1]: ونجد مثل هذا النوع في بيوع العقارات مثل البيوت أكثر من غيرها وقد يرجع ذلك الى غلاء ثمنها فلا يقدر المشتري من الدفع جملة واحدة.

3- البيع بالسلف: لقد انتشر هذا النوع من البيع بكثرة في أسواق الأندلس، ويكون السلف إما نقدا بنقد أو سلعة بنقد، أو سلعة بأخرى << وجرت العادة على توثيق بيع السلف فازدهرت صناعة التوثيق في القرن السادس الهجري>>[2].

4 - البيع الى أجل: وهو أن تباع سلعة معينة الى أجل، وهناك أمثلة كثيرة عن هذا البيع وردت في كتاب المعيار للونشريسي، ومن قضايا النوازل الدالة على انتشار هذا النوع نذكر مسألة الرجل الذي << باع سلعة الى أجل فجاز الأجل ولم يأت المشتري فباعها الى أجل من غيره، ثم قدم المشتري الأول يريد سلعته، فأنكر البائع أن يكون يعرف من ابتاع منه السلعة>>[3].

---

(1) الونشريسي، مصدر سابق، ج6، ص 162.

(2) عصمت عبد اللطيف دندش، مرجع سابق، ص 211.

(3) الونشريسي، نفسه، ص 222.

بالإضافة الى هذه البيوع كانت هناك بيوع أخرى فاسدة وردت في كتب النوازل كمسائل تبحث عن حل أو عن رأي الشرع فيها، كما ورد نهي الفقهاء في ذلك الوقت عنها، ومن هذه البيوع الفاسدة نذكر كمثال :

ـ بيع الكالئ بالكالئ : ومعناه بيع الدين بالدين، فتذكر نازلة من النوازل << أن رجلا باع سلعة لرجل صبّاغ بعشرة مثاقيل، وطلب منه أن يصبغ له ثيابا على أن يعطيه نصف الثمن، ويقتطع النصف الآخر من صباغة الثياب>>[1].

ـ بيع النسيئة: فتذكر نازلة أخرى أن <<رجلا باع دار بمائة نقدا، فلما قبض الثمن قال للمشتري أتبيعها مني بمائتين الى عام>>[2]، والمقصود بهذا البيع هو التأخير أي تأخير الدفع.

(1) ابن رشد، مصدر سابق، ص 919.

(2) نفسه، ص 918.

ب ـ العملة:

تعد العملة أو السكّة من أهم وسائل المعاملات داخل الأسواق، وقد عرّفها ابن خلدون بقوله<< هي النظر في النقود المتعامل بها بين الناس، وحفظها مما يداخلها من الغش أو النقص إن كان يتعامل بها عددا أو ما يتعلق بذلك، ويوصل اليه من جميع الاعتبارات، ثم في وضع علامة السلطان على تلك النقود بالإستجادة والخلوص برسم تلك العلامة فيها من خاتم حديد اتّخذ لذلك، ونقش فيه نقوش خاصة به فيوضع على الدينار بعد أن يقدّر ويضرب عليه بالمطرقة، حتى ترسم فيه تلك النقوش، وتكون علامة على جودته بحسب الغاية التي وقف عندها السبك والتخليص في متعارف أهل القطر ومذاهب الدولة الحاكمة>>[1].

فالعملة أساس كل المبادلات التجارية، ومن خلال عملة البلد يُعرف مدى تقدمه الاقتصادي والحضاري عامة ، فهي سمة من سمات تقدم أو تخلف الدول كما تحدد لنا العملة مدى رواج التجارة أو مدى تعثرها، و وزن العملة وسعرها يتغير بحسب التغيرات في الأحوال السياسية والاقتصادية لأي بلد، هذا فضلا على أنّ قيام الدولة بضرب عملة خاصة بها هو تأكيد لسيادتها السياسية، لذا قد حرص خلفاء بني أمية لما استقلّوا بالأندلس على تأكيد هذه السيادة فضربوا عملات خاصة بدولتهم، ونقشوا عليها أسماءهم.

لقد عرفت الأندلس خلال عصر الخلافة الأموية بها عملة أموية الصنع، فقد سكّت الكثير من <<الدنانير الذهبية والدراهم الفضية في الأندلس ومدينة الزهراء>>[2].

(1) ابن خلدون، مصدر سابق، ج1، ص 408.

(2) سامية مصطفى مسعد، مرجع سابق، ص 165.

وجعل الأمويين عملتهم أندلسية وبأوزان جديدة، فعبد الرحمن الناصر قام بسك عملات ذهبية ودراهم فضية نقش عليها اسم ولقب أمير المؤمنين ومن هذه العملات << عملة سكّت بمدينة الزهراء 343هـ نقش على الوجه الأول منها (لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له) وفي الهامش (بسم الله ضرب هذا الدينار بمدينة الزهراء سنة ثلاث وأربعين وثلثمائة) وعلى الوجه الآخر (الامام الناصر لدين الله عبد الرحمن أمير المؤمنين) وفي الهامش (محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله)>>[1].

وتواصل سك العملة على طول مدة الخلافة، وكانت تشتمل على الدنانير الذهبية والدراهم الفضية والفلوس النحاسية، أما في عصر الطوائف الذي كان بعد سقوط خلافة بني أمية فقد ظهرت فيه عملات جديدة سكّها بعض أولئك الملوك المتفرقين ومن هذه العملات التي عرفها عصرهم نذكر :

ـ العملة القرمونية : وهي نقود ذهبية ضربها المعز بن اسحاق ابن عبد الله صاحب قرمونة << كما نجد اشارة الى هذه العملة في نوازل ابن الحاج، اذ يذكر نقلا عن ابن حيان أن الذهب الخبيثة القرمونية غلبت في متاجر قرطبة سنة 455هـ / 1063م >>[2] .

ـ العملة العبّادية: وتنسب هذه العملة الى بنو عباد ملوك اشبيلية، وورد ذكرها في المصادر باسم المثقال العبّادي أو الدينار العبادي[3].

ـ العملة الشرقية: وردت اشارة الى العملة المشرقية في نوازل ابن رشد، وهي من عملات عصر الطوائف التي ضربت في شرق الأندلس[4].

(1) سامية مصطفى مسعد، مرجع سابق، ص 165.

(2) عبد العزيز حاج كولة، مرجع سابق، ص 158.

(3) ابن رشد، مصدر سابق،ج2، ص 571.

(4) نفسه.

وهنا نلاحظ أنه في هذا العصر المتميز بالفرقة كانت العملة هي الأخرى مختلفة ومتفرقة، لكن وبعد دخول المرابطين الى الأندلس وقضائهم على ملوك الطوائف قاموا بسك عملة خاصة بدولتهم شمل التعامل بها كل البلاد، فتوحدت بذلك العملة عبر أقطار الأندلس، إذ أصبحت العملة المرابطية هي العملة السائدة.

<< وقد بدأ المرابطون في سك عملتهم في قرطبة ابتداء من 486هـ - 1093م ونشطت دور السكة في عهدهم ومولوها بالذهب الذي يأتي من السودان الذي سيطروا عليه>>[1]، وتتمثل عملتهم في :

الدنانير المرابطية: وهي دنانير ذهبية نقش في وسطها عبارة<<لا إله إلا الله محمد رسول الله، وتحتها : أمير المسلمين يوسف بن تاشفين، وعلى الحاشية : ومن يتبع غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين، وعلى الوجه الآخر في الوسط الامام عبد الله العباسي أمير المؤمنين، وفي الحاشية تاريخ ضربه وموضع سكّه>>[2] وكانت كل سبعة دنانير تساوي عشرة دراهم، وتجدر الاشارة هنا الى أنه << لأول مرة يظهر في الأندلس الدينار ذي العيار والوزن الثابت>>[3]، وكان يطلق على الدينار المرابطي أيضا اسم << المثقال الذهبي أو المثقال المرابطي (...) ويذكر الونشريسي أن الدينار الذهبي كان يساوي أحيانا عشرة دراهم فضية ولهذا كان يطلق عليه اسم الدينار العشري>>[4].

(1) عصمت عبد اللطيف دندش، مرجع سابق، ص 235.
(2) أحمد بن خالد الناصري السلاّوي، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى،ج1،ص 123.
(3) عصمت عبد اللطيف دندش، مرجع سابق، ص 236.
(4) كمال السيد أبو مصطفى، *جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية والعلمية في المغرب الاسلامي من خلال نوازل وفتاوى المعيار المعرب للونشريسي*، مركز الاسكندرية للكتاب، د.ط، 1996، ص 76.

الدراهم الفضية: وقد كانت هذه الدراهم ذات جودة عالية، منتظمة الشكل، صغيرة الحجم، وسميكة .

الكسور(القراريط): هي كسور الدّرهم، وتعني أجزاؤه الصغيرة، وقد كان المرابطون أول من سكّها ، ومن هذه الكسور النصف والربع والثمن والجزء من ستة عشر جزءا، وهي الأخرى مسكوكة بعناية وجودة مثلها مثل الدراهم، ولصغر حجمها لم تُنقش على حاشيتها أي كتابة ولا تاريخ سكّها وكل ما كتب عليها هو الشهادة واسم الأمير أو ولي العهد أحيانا، وقد ورد ذكرها كثيرا في كتب النوازل باسم القراريط مثل نوازل ابن رشد[1].

واعتبرت العملة المرابطية من العملات الدولية ذات القيمة العالية نظرا لكثرة تداولها داخل وخارج البلاد، فقد وصلت هذه العملة الى غاية القسطنطينية.

وظلت متداولة لوقت بعد سقوط دولة المرابطين، برغم ظهور عملات جديدة في أول الفترة التي أعقبت انهيار الدولة المرابطية، وهي الفترة المضطربة التي فصلت بين آخر عهد المرابطين وأول عهد الموحّدين، ومن العملات التي ظهرت وقتها دنانير ومثاقيل سكّها ابن حمدين في قرطبة، وأخرى سكّها أبو زكريا يحيى بن غانية بعد طرد ابن حمدين، كما ضرب الأمراء المنتزين بشرق الأندلس عملات حملت أسماءهم، على غرار الدينار المردنيشي الذي سكّه محمد بن سعيد بن مردنيش عند استقلاله بشرق الأندلس سنة 542هـ / 1147م.

(1) ابن رشد، مصدر سابق، ص 571.

وانتهى زمن الفتنة بقيام الدولة الموحّدية التي ضمّت الأندلس الى المغرب فصار ولاية تابعة للعاصمة مرّاكش كما كان الأمر في دولة المرابطين، وقد قام الموحدّون بسك عملات خاصة بدولتهم، تميّزت عن سائر العملات التي كانت موجودة في ذلك العصر بشكلها المربّع، وعن ذلك يقول ابن خلدون << ولمّا جاءت دولة الموحدين كان ممّا سنّ لهم المهدي اتّخاذ سكّة الدرهم مربّع الشكل>>[1]، وكذلك ينطبق الأمر بالنسبة لدنانيرهم وسائر عملاتهم الصغيرة، و<< وكان الدينار الموحّدي ضعف الدينار العادي في الوزن، والدينار ثلاثة دراهم، والأوقية عشرون درهما>>[2].

وما يمكن قوله عن العملة الموحدّية لا يختلف عمّا ذكرناه عن العملة المرابطية التي كانت قبلها، فكلا العملتين كان له ثقل في المجال الاقتصادي، وقد حازت كل منها على ثقة الدول المعاصرة لهما.

وقد وجدت الى جانب العملة وسائل أخرى وطرق للتعامل التجاري منها:

ـ ج ـ السفاتج والصكوك: الى جانب التعامل بالعملة في المعاملات التجارية كانت هناك طرق أخرى للتعامل تحلّ مكان العملة في حال عدم توفرها، مما سهل تلك المعاملات مثل استعمال السفاتج والصكوك وهذا في مختلف ميادين التجارة.

- **الصّكوك:** ومعنى الصّك سند الدين، واستخدم كوسيلة للتعويض عن دفع النقود، وهو أمر خطّي يدفع بواسطته مقدار معيّن من النقود الى الشخص المسمّى فيه، <<ويجري تحرير الصّك بدقّة حيث يدرج فيه اسم صاحبه ومقدار المبلغ الواجب دفعه رقما وكتابة، وموعد استيفائه، وقد يؤرّخ ويختم بخاتم خاص ويصادق عليه>>[3].

(1) ابن خلدون، مصدر سابق، ج1، ص 447 - 448.

(2) عصمت عبد اللطيف دندش، مرجع سابق، ص 241.

(3) عيسى بن الذيب، المغرب والأندلس في عصر المرابطين(دراسة اجتماعية واقتصادية) 480 - 540 هـ/ 1056 - 1145م، رسالة ماجستير، اشراف أحمد شريفي، جامعة الجزائر، السنة الجامعية 2008 - 2009م، ص 380.

والصّكوك تشبه في وقتنا الحاضر الكمبيالة أو الشّيك، استخدمها الأندلسيون في معاملاتهم المالية كدفع الدّيون وفي أعمال البيع المختلفة، وكانت هذه الصّكوك تسهّل من عمليات البيع والشراء في الوقت الذي لا تتوفر فيه العملة (النقود) فضلا على أنها وثيقة ائتمان مضمونة.

- **السفاتج (الحوّالات):** وهي أن يعطي رجل مالا لرجل آخر له مال في بلد يريد الأول السفر اليه ويأخذ منه " سفتجة" لمن عنده مال ذاك الرجل في ذاك البلد، فيعطيه هذا الأخير مثل ماله الذي سبق أن دفعه قبل سفره، وكان الهدف من استعمال السفاتج هو<< نقل النقود من مكان لآخر دون تعرضها لمخاطر الطريق>>[1] واستخدمت في الأسواق أو في دفع الديون، استخدمها الأندلسيون الى جانب الصّكوك ضمانا لإتمام بعض معاملاتهم التجارية وحفظا للأموال من مخاطر الطريق، بينما قام الصرّافون والوكلاء بدور تحويل هذه السفاتج الى نقود مقابل خصم مبلغ من المال المحوّل أو أخذ فائدة، وهو ما يسمى بنظام الحوالة التي اعتبرها الفقهاء نوعا من الربا فوقفوا منها موقفا معاديا، وقد ورد في احدى فتاوى المعيار أنّ << الحوّالة على الصيارفة وأموالهم مكتسبة من الربى>>[2]، ولهذا نجد أن المشتغلين بالصيرفة والوكلاء معظمهم من اليهود[3].

(1) عيسى بن الذيب، مرجع سابق، ص 381.

(2) الونشريسي، مصدر سابق، ج 6، ص 315.

(3) عصمت عبد اللطيف دندش، مرجع سابق، ص 284.

ـ د ـ المقايضة:

عرفت الأندلس المقايضة كطريقة في التعامل التجاري مع الدول الخارجية، << فالمعاملات الخارجية كانت تقوم على المقايضة مع بلاد السودان، والتجارة مع الشرق والبلاد الأوربية كانت قائمة على العملة الذهبية>>[1].

فالتجار من الأندلس ومن جميع المغرب الاسلامي الوافدين على هذه البلدان كانوا يحملون عملتهم الى دور الضرب فيها ويعيدون سكّها حتى تعادل سكّة ذاك البلد الذي يتاجرون فيه، وبسبب ذلك أفتى الفقهاء في ذلك الوقت بعدم جواز التجارة مع الكفّار وهذا حتى لا تجري عليهم أحكام الكفر[2]، خاصة اذا كان ضرب السكة عندهم يقتضي النقش عليها بكتابات أو رسوم لا تجوز شرعا مثل وضع علامة الصليب وما شابه، كما كان التجار الأجانب يفعلون نفس الشيء اذا دخلوا بتجاراتهم بلاد المسلمين، وتعتبر صقلية من ضمن البلدان التي كانت تشترط على التجار المسلمين اعادة سك العملة في دور ضربها.

(1) عصمت عبد اللطيف دندش، مرجع سابق، ص 211.

(2) الونشريسي، مصدر سابق، ج6، ص 317.

ـ هـ ـ المكاييل والموازين:

1- المكاييل:

لقد استعمل أهل الأندلس أنواعا من المكاييل في تعاملاتهم التجارية، ومن هذه المكاييل التي عثرنا عليها في بعض المصادر نذكر:

- **الوَسق:** والوسق يعادل مقدار <<ستون صاعا، عند أهل الحجاز>>[1]، وكذلك يقال وسق جمل بمعنى حمل جمل، وانتشر استعمال هذا المكيال في كل بلاد المغرب[2] بما فيها الأندلس، قال الحميري حين تحدث لنا عن كثرة فواكه مدينة سرقسطة أنه << ربّما بيع فيها وسق القارب من التفاح بما تباع به الأرطال اليسيرة في غيرها>>[3].
- **القَفِيْزُ:** هو من << المكاييل التي تفاوت الناس في تقديرها، لاختلاف الاصطلاح فيها>>[4] وقد استعمل القفيز بشكل واسع في كامل بلاد الأندلس، ونلحظ هذا من كثر ما ورد في المصادر من اشارات دالة كقول المقدسي << يساوي القفيز بالأندلس ستين رطلا والربع ثمانية عشر رطلا>>[5]، والقفيز يساوي ستة عشر ويبة[6]، وكل ويبة اثنتا عشر مدًا والمد يعادل خمسة صاعات.

---

(1) علي جمعة محمد، *مرجع سابق*، ص 41.

(2) البكري، المغرب في ذكر افريقية والمغرب(قسم من كتاب المسالك والممالك)، دار الكتاب الاسلامي، القاهرة، ص117

(3) الحميري، مصدر سابق، ص 317.

(4) علي جمعة محمد، مرجع سابق، ص 39.

(5) المقدسي، مصدر سابق، ص 240.

(6) الويبة: <<هي وحدة لكيل الحبوب من قمح وشعير وغيرهما ويبدو أن الويبة كانت مستعملة في جميع أنحاء المغرب>> ؛ مسعود كربوع، نوازل النقود والمكاييل والموازين في كتاب المعيار للونشريسي - جمعا دراسة وتحليلا - رسالة ماجستير ، اشراف رشيد باقة، السنة الجامعية 2012 - 2013م، ص 118.

- **المـد:** نـوع مـن المكاييـل << وهـو مقـدار ملـئ اليـدين المتوسـطتين مـن غيـر قبضهما>>[1] وقد شاع استعماله بالأندلس، قال ابن صـاحب الصـلاة أنّ المجاعـة قد ضربت الأندلس سنة سبع وستين وخمسمائة فغلت الأسعار حتـى بلـغ << مد الشعير المراكشي أربعة درهم>>[2].

2- الموازين:

لقد استعمل أهل الأندلس في العصر الاسلامي عدة موازين في تعاملاتهم التجارية أيضـا، وأهـم هـذه المـوازين وأكثرهـا انتشـارا << القنطـار والرطـل والأوقيـة والدرهم>>[3]، كما أن الموازين كانت تختلف تبعا لنوع السلعة وأيضا تختلف من منطقة لأخرى بعض الاختلافات الطفيفة، وللتعرف أكثر على هذه الموازين نبدأ بـ:

- **القنطار:** وهو << اسم لمعيار يوزن به كما هو الرطل والربع، اختلف النـاس فـي تحديد مقداره وقيل أنه يساوي ألف ومئتا أوقية>>[4].
- **الرطل:** يعتبر من وحدات الوزن الرئيسية في الغرب الاسلامي، وقد يختلف مقداره من منطقة لأخرى، وقد ورد ذكره في مصادر عديدة خاصة منها كتب النوازل وكتب الحسبة، ورد عن السّقطي أنّ << ثمن الربع الجاري بمالقة في الكيل يصدق من العسل الطيب في الغالب ثلاثة أرطال ونصف، ومن الطيب العدوي ثلاثة أرطال وستة أواق>>[5] والرطل عندهم يساوي ستة عشر أوقية.

(1) علي جمعة محمد، مرجع سابق، ص 36.
(2) ابن صاحب الصلاة، مصدر سابق، ص 421 - 422.
(3) سامية مصطفى مسعد، مرجع سابق، ص 166.
(4) علي جمعة محمد، مرجع سابق، ص 24 - 25.
(5) السقطي، في آداب الحسبة، ص 13.

ويشترط في الأوزان أن تقاس بميزان مستوفي للشروط حتى يكون الوزن صحيحا وقد ذكر لنا السقطي هذه الشروط في قوله: << أحق الموازين ما كان ثقبه في قصبته وكان الثقب موسع الجهتين مشرك الوسط يعمّه المسمار>>[1]، وكذلك الأمر بالنسبة للمكاييل، فيشترط أن تكون موحدة في كامل البلد، يقول ابن سهل << ينبغي أن يكون الكيل في البلد واحدا : كيل القفيز وكيل القسط ووزن الأرطال، فيكون واحدا معروف قد عرفه الناس>>[2].

(1) السقطي، مصدر سابق، ص 14.

(2) ابن سهل ، مصدر سابق، ص 602.

ثالثا: الاشراف على الأسواق:

ـ أ ـ الحسبة:

لقد خضعت أسواق الأندلس مثلها مثل باقي الأسواق الاسلامية الى نظام رقابي يهدف الى قمع الغش، وتنظيم السوق ووضع القوانين التي تضمن مصلحة كل من البائع والمستهلك، وفرض العقوبات على كل من يخترق القوانين أو الآداب العامة في السوق سواء من التجار أو الصناع والحرفيين أو العامة أيضا، كما يهدف نفس الوقت الى تحصيل المكوس لفائدة خزينة الدولة.

ومهمّة الرقابة هذه كانت تسند الى المحتسب الذي يعينه القاضي وفق شروط يجب توفرها فيه كالنزاهة والعدالة والعلم بأصول الدين وغير ذلك، وقد ذكر السقطي الشروط التي يجب أن يتّصف بها المحتسب في قوله << يجب أن يكون من ولي النظر في الحسبة فقيها في الدين قائما مع الحق، نزيه النفس عالية الهمّة معلوم العدالة ذا أناة وحلم وتيقّظ وفهم، عارفا بجزئيات الأمور وسياسات الجمهور، لا يستنفره طمع ولا تلحقه هوادة ولا تأخذه في الله لومة لائم مع مهابة تمنع من الاذلال عليه وترهب الجاني لديه>>[1]، وهذا لأن وظيفة الحسبة تأتي في الرتبة الثانية بعد القضاء، وهي وظيفة هامة من حيث أنها تنظم الحياة الاقتصادية داخل المدينة، وقد أفردها ابن خلدون بالتعريف التالي << هي وظيفة دينية، من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الذي هو فرض على القائم بأمور المسلمين، يعين لذلك من يراه أهلا له، فيتعيّن فرضه عليه، ويتّخذ الأعوان على ذلك، ويبحث عن المنكرات ويعزّر ويؤدب على قدرها>>[2].

(1) السقطي، مصدر سابق، ص 05.

(2) ابن خلدون، مصدر سابق، ج1، ص 407.

وقد ذكر ابن خلدون أنها كانت في كثير من الدول الاسلامية بما فيها دولة الأمويين في الأندلس، لكن تجدر الاشارة أيضا الى أن الحسبة بالأندلس لم تتضح معالمها << إلاّ في عهد عبد الرحمن الأوسط(206 - 283 هـ) الذي أفرد خطة مفردة للحسبة، بعد أن كانت ملحقة ضمن صلاحيات صاحب الشرطة>>[1]، ويرجع ذلك الى سوء الأحوال السياسية وعدم استقرار الأوضاع في الأندلس خلال عهد الولاة والإمارة.

وإن أهل الأندلس لم يطلقوا على موظف الحسبة اسم المحتسب كما هو معروف في بلدان المشرق، وانما أسموه بـ : صاحب السوق.

وبقيت وظيفة الحسبة في الأسواق الأندلسية لم يتغير منها شيء في كل العهود التي أعقبت عهد الخلافة، بل إن نشاط أصحاب السوق قد تزايد واتسم بالشدة في ردع المفسدين والغشاشين والمختلسين الذين تضاعف عددهم خلال عصر الطوائف اغتناما منهم لفرصة اضطراب الأوضاع وسعيا لتحقيق الربح السريع، وفي عهد المرابطين كانت الحسبة من ضمن الأنظمة الادارية التي ورثوها ممن سبقهم من حكام الأندلس، ثم اتضحت معالم الحسبة أكثر من ذي قبل في عصر الموحدين ومردّ ذلك هو أنّ الدولة الموحدية في حد ذاتها قانت على مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

<< وكان في استطاعت المحتسب أن يحكم بالسجن والعقوبات البدنية في المشاجرات، وعليه أن يتفقد الحرفيين والتجار للاطمئنان على قضاء حاجات الناس وعدم تعطيلها>>[2]، فالمحتسب يشرف على التجار والصناع داخل السوق، وعلى سلامة السلع، كما يراقب المكاييل والموازين للتأكد من سلامتها، ويتفحص العملة للتأكد من عدم زيفها، وينظر في كل ما قد يطرأ في الأسواق من منكرات[3].

(1) محمد عبد الله المعموري، ويوسف كاظم الشمري، الحسبة في الأندلس، مجلة العلوم الانسانية، كلية التربية صفي الدين الحلي، جامعة بابل، ص 91.

(2) عصمت عبد اللطيف دندش، مرجع سابق، ص 202.

(3) ابن سهل، مصدر سابق، ص 601.

وفي حالة ضبطه لعمليات الغش التي كان يبرع فيها بعض التجار وغيرهم فانه يقوم بردعهم وزجرهم، ويعاقبهم عند تكرر محاولات الغش والتدليس، ومن هذه العقوبات التي كان ينزلها المحتسب بالغشّاشين وأمثالهم <<الضرب أو السجن أو الاخراج من السوق>>[1].

وقد ذكرت لنا كتب الحسبة العديد من الأمثلة عن تلك الطرق العجيبة التي كان يستعملها بعض التجّار والصنّاع في الغش والتدليس على الناس، ومنها ما كان يقوم به الكيالين والوزّانين للتطفيف في الميزان فمنهم << من يعدّ صفيحة رصاص تكون زنتها ثلاث أواق أو أزيد ويدهن وجهها بالشحم أو الشمع المخلوط فيه الزيت فاذا جاء من يشتري يلصق تلك القطعة بيده اليسرى في باطن الكفّة ويزن بها كذلك فينتقص المشترى من كل وزنة ثقل الرصاص>>[2] لكن صاحب السوق كان يتفطن لجميع حيل الغش، ولمنع حدوث ذلك كان يأمر البائعين << بأن يعرضوا موازينهم في أوجه حوانيتهم ويجلس البائع من داخل الحانوت والميزان بين يديه بحيث تكون الكفة التي للوزن على يمينه والكفة التي لا صنوج لها على شماله>>[3] فلا يتمكن بذلك من تمرير حيله على المشتري.

وكذلك عرف أصحاب كل تجارة ا، حرفة طرق الغش فيها فباعة الدقيق مثلا << يخلطون الطيب مع اللطيف ويبيعون الجميع بسوم الطيب>>[4]، والعطّارون يخلطون << الحنّاء بقشور الرمان، والزعفران بشعر العصفر>>[5]، ويعمل النخّاسون وهم تجّار الرقيق على اخفاء عيوب العبيد والجواري أو يبيعون أحدهم على أنه من جلب بلد وهو ليس كذلك.

(1) ابن سهل، مصدر سابق، ص 601.

(2) السقطي، مصدر سابق، ص 14 - 15.

(3) نفسه، ص 18.

(4) نفسه، ص 20.

(5) نفسه، ص 41.

ولقمع غشهم وكشف حيلهم كان المحتسب يتخذ الأعوان ويجعل على كل سوق أو حرفة أمينا على رأسهم يكون عارفا بتلك الصنعة، حتى يساعده في ضبط الأمور وقمع الغش ومحاربة المحتاليين.

وكان المحتسب يضع المصلحة العامة فوق جميع الاعتبارات، خاصة منها مصلحة المستهلك التي قد يتطلب حفظها أحيانا تدخل المحتسب لضبط بعض أسعار المواد الغذائية ومحاربة كل أنواع الاحتكار في مواد الغذاء الرئيسية التي قد يعمد اليه التجار تحقيقا لأكبر ربح، ويطلق على عملية ضبط الأسعار هذه اسم " التّسعير".

ـ ب ـ التّسعير:

من بين الاجراءات القانونية المتعلقة بتنظيم السوق ورعاية مصالح المستهلك والبائع على حد سواء وضع تسعيرة لبعض المنتجات الاستهلاكية مثل الزيت والعسل والسمن واللحم والبقل والفاكهة وما شابهها، وهذا حتى لا يقع الغبن على التاجر ولا على المشتري، ويستثنى من مثل هذه المواد تلك التي يجلبها الفلاحون بكميات صغيرة ولا يكون لهم حوانيت يبيعونها فيها، فإنها لا تسعّر، أما فيما يخص الحبوب كالقمح والشعير التي تعتبر الغذاء الأساسي للناس فقد منع التسعير فيها، إذ << لم يُجز لأحد التسعير في القمح والشعير وشبهه، لأن ذلك إنّما يبيعه جالبوه، ولا يترك التجار يشترونه منهم ليبيعوه على أيديهم>>[1] وذلك حتى لا يخضع هذا المنتوج لاحتكار التجار وتنافسهم، لذلك فان صاحب السوق كان يأمر أهل الريف اذا أتوا بالطعام ببيعه في السوق وعدم <<انزاله في الدور والفنادق حتى لا يشتري الكمية تاجر واحد أو عدد من التجار فيتحكّموا بعد ذلك في السعر ويرتفع الثمن>>[2]، فيقع الضر على المشتري أولا وعلى الجالب الذي يأخذ عن سلعته ثمنا أقل بكثير من الثمن الذي ستباع به.

(1) ابن عبد الرؤوف، مصدر سابق، ص 88 - 89.

(2) عصمت عبد اللطيف دندش، مرجع سابق، ص 205.

وعملية التّسعير تتم بطريقة ودّية بين الحكومة المتمثلة في شخص المحتسب (صاحب السوق) وبين وجوه التجار من كل سوق، يقول ابن عبد الرؤوف<< اذا أراد الامام العدل أن يسعّر شيئا من ذلك، فيجمع وجوه أهل سوق ذلك الشيء ويحضر غيرهم، استظهارا على صدقهم، فيسألهم كيف يشترون وكيف يبيعون فإن رأى شطاطا في البيع، نازلهم على ما فيه لهم وللعامة صلاح وسداد حتى يرتضوا به، ويتعاهد ذلك منهم بعد ذلك في كل حين، فمن وجد منهم قد زاد في الثمن أمره أن يبيع كبيع أصحابه، وإلاّ أخرجه من السوق وأدّبه>>[1].

لكن أسعار السوق وبغض النظر عن جهود المحتسب كانت تخضع عموما للحالة الاقتصادية التي تمر بها البلاد، وتتأثر هذه الحالة غالبا بجملة من الظروف السياسية مثل الاستقرار أو الاضطراب، والظروف الطبيعية مثل سنوات الخصب أو القحط، فتنخفض الأسعار و تكثر المنتجات في ظل الظروف السياسية المستقرة حيث لا حروب ولا فتن، بينما ترتفع الأسعار وتقل المنتجات عند حدوث الاضطرابات أو الكوارث الطبيعية .

فمثلا خلال عصر المرابطين ونتيجة لذيوع الأمن والاستقرار << تناها القمح في أيامهم إلى أن بيع أربعة أوسق بنصف مثقال، والثمار ثمانية أوسق بنصف مثقال، والقطاني لا تباع ولا تشترى>>[2]، بينما ارتفعت الأسعار عند حدوث بعض الكوارث الطبيعية والتي منها غارات الجراد الذي يأتي على الأخضر واليابس، فالأندلس كثيرا ما تعرضت لإغارة الجراد على زروعها ما أدى الى قلة المنتوج وارتفاع الثمن، يقول ابن القطان أنه في سنة 528هـ أكل الجراد ما كان على الأرض من زرع وكلأ>>[3].

(1) ابن عبد الرؤوف، مصدر سابق، ص 89.

(2) ابن أبي زرع، مصدر سابق، ص 167.

(3) ابن القطان، *مصدر سابق*،ص 235.

بل ان غارات الجراد تتالت على الأندلس لسنوات متتابعة يذكرها ابن القطان (526 هـ - 527هـ - 528هـ - 529هـ - 531هـ)، وكذلك بالنسبة للكوارث التي يتسبب فيها البشر مثل هجمات النصارى على البلاد في عصر الطوائف، وفي نهاية عصر المرابطين، يقول ابن خلدون <<واختص قطر الأندلس بالغلاء منذ اضطرهم النصارى الى هذا المعمور بالإسلام مع سواحلها لأجل ذلك، ويحسب الناس اذا سمعوا بغلاء الأسعار في قطرهم أنها لقلة الأقوات والحبوب في أرضهم وليس كذلك، فهم أكثر أهل المعمور فلحا، وانما السبب في غلاء سعر الحبوب عندهم ما ذكرناه>>[1].

ـ ج ـ أصناف التجار الناشطين بالأسواق:

لقد كان هناك أصناف من التجار ينشطون في أسواق الأندلس، فهم يختلفون من حيث نوعية النشاط الذي يقومون به داخل السوق ومن هؤلاء نذكر:

1- الجلابين[2]**:** زهم تجار الجملة الذين يأتون بالسلعة الى الأسواق والحوانيت فيشتري منهم تجار التجزئة الذين ينقسمون بدورهم الى عدة أصناف بحسب رأس مالهم.

2ـ الدلالين (السماسرة) : وهم وسطاء بين رب السلعة والتاجر، فالدلال أجير يأخذ السلعة من صاحبها فيبيعها له مقابل أجرة يأخذها، أو نصف الربح[3]، كما قد يكلف الدلال بطلب سلعة للمشتري، والدلال ينادي على السلعة في الأسواق ويتزايد الراغبين بشرائها في الثمن.

3- الجلاسين: هم نوع من التجار يقومون بالجلوس في حوانيت يزيدون في سعر السلعة التي ينادي عليها الدلال على من أراد الشراء، حتى يرتفع السعر، ثم يتقاسمون معه الزيادة، وهو أمر أنكره عليهم الفقهاء، وحاربوهم نظرا لتدليسهم على الناس.

(1) ابن خلدون، مصدر سابق، ج2، ص 37.
(2) الونشريسي، مصدر سابق، ج5، ص 84.
(3) نفسه، ص 32.

III . أهم المراكز التجارية بالأندلس:

إن دراسة موضوع التجارة بالأندلس سواء الداخلية أو الخارجية يقودنا بالضرورة الى ذكر أهم مراكز النشاط التجاري خلال فترة الدراسة، ونقصد بها تلك المدن التي اشتملت على مجموعة من المقومات الاقتصادية الهامة كاستراتيجية الموقع ووفرة الثروات الطبيعية والصناعية وحتى البشرية، فكانت مدنا قائمة بذاتها على العملية التجارية من استيراد وتصدير مع مختلف المناطق الأخرى في الداخل وفي الخارج، مؤدية بذلك دور الأسواق الجامعة لشتى أنواع السلع، ودور مخازن التصريف التجاري، ومن المدن التي اشتهرت كمراكز تجارية على طول المدة التي ندرسها أو في فترة من فتراتها نذكر:

أولا: المراكز التجارية الساحلية:

تزيد أهمية المدن التجارية كلما كانت واقعة على الساحل أو قريبة من البحر، الأمر الذي يسمح لها بالتحكم في التجارة الدولية سواء تعلق الأمر بعملية التصدير أو الاستيراد كما سنرى ذلك من خلال دراستنا لبعض خصائص هذه المدن التجارية ومنها:

- مدينة ألمرية: تعد المرية من المدن المحدثة فقد<< أمر ببنائها أمير المؤمنين الناصر لدين الله عبد الرحمن بن محمد سنة أربع وأربعين وثلثمائة>>[1]، تقع على الساحل الشرقي للأندلس، ولها مرسى يشرف على البحر المتوسط(الشامي) << وهو أول مراسي البلاد الاسلامية بالأندلس>>[2]، وبفضل موقعها الاستراتيجي على البحر قامت بينها وبين البلدان الخارجية علاقات تجارية مباشرة حتى صار يقال أنها<< باب الشرق، ومفتاح الرزق>>[3].

(1) الحميري، مصدر سابق، ص 538.

(2) ابن فضل الله العمري، مصدر سابق، ص 232.

(3) أبو الفداء، مصدر سابق، ص 177.

ظهرت مكانة المرية ابتداء من عصر الأمويين وبقيت في تطور مستمر حتى بلغت ذروة الازدهار خلال عصر المرابطين، وبرغم التعثر الذي عرفته الأندلس في عصر الطوائف إلا أن المرية حافظت على مكانتها ذلك الوقت، بحيث نمت تجارتها في عهد المعتصم بن صمادح مع بلاد الشرق الاسلامي و أوربا[1]. غير أنها سقطت أثناء الفترة الانتقالية ما بين الدولة المرابطية والدولة الموحدية بسبب تخريب النصارى لها، أما قبل هذا فقد كانت المرية قِبلة لجميع الأجناس، يقصدونها من كل أصقاع العالم لأجل التجارة، حيث كانت بمثابة مخزن تصريف تجاري وسوقا كبيرة لأنواع لا تحصى من السلع الوطنية والدولية، تعج بالحركة والنشاط وتزدحم بالغرباء من التجار وغيرهم، أو هي كما قال الرشاطي وابن الخراط: << فكأنها بقعة محشر يجتمع فيها لكل متجر>>[2] وهو ما يفسر كثرة ما فيها من الفنادق والحمامات[3].

وما زاد المرية أهمية هو اتخاذها كقاعدة للأسطول الأندلسي اضافة الى النشاطات الاقتصادية التي كانت فيها، ففي المجال الصناعي مثلا قد تفوقت المرية في صناعة النسيج من حرير وغير ذلك، فتميزت بـ :<< صنعة الوشي والديباج على اختلاف أنواعه، ومن صنعة الخزّ، وجميع ما يعمل من الحرير مالم يبصر مثله في المشرق ولا في بلاد النصارى>>[4].

(1) أنظر السيد عبد العزيز سالم، تاريخ المرية الاسلامية، المرجع السابق ،ص 78.

(2) الرشاطي وابن الخراط الاشبيلي، مصدر سابق، ص 59.

(3) الادريسي، مصدر سابق، ص 563.

(4) ابن سعيد المغربي، مصدر سابق، ج2، ص 193 - 194.

وتطورت صناعة الحرير حتى بلغت في عهد المرابطين أوجها << وذلك أنه كان بها من طرز الحرير ثماني مائة طراز يعمل بها الحلل والديباج والسقلاطون والأصبهاني والجرجاني والستور المكللة والثياب المعينة والخمر والعتابي والمعاجر وصنوف أنواع الحرير>>[1] كما نفهم من كلام الادريسي هذا أن الصناعات الحريرية لم تكن مقصورة على ما هو محلي بل قلّدت مصنوعات أخرى من بلاد المشرق وغيرها ، فالأصبهاني المذكور هنا لباس مصدره الأصلي مدينة أصبهان وكذلك الجرجاني من جرجان والسقلاطون يوناني الأصل، وهذا إن دل على شيء إنما يدل على ما بلغته المرية من رقي وانفتاح على العالم أجمع تتأثر و تؤثر فيه، فهي كما قلنا سابقا كانت مقصودة من جميع البقاع الاسلامية والغير اسلامية، يقول الرشاطي أن << بها المتاجر والصناعات الكثيرة ولها الاسم الشائع والذكر الذائع فإليها سفر أهل المشرق والمغرب من بلاد الاسلام ومن غير بلاد الاسلام>>[2] كما يقول المقري أنّه :<< بها كان محط مراكب النصارى، ومجتمع ديوانهم، ومنها كانت تسفّر لسائر البلاد بضائعهم ومنها كانوا يوسقون جميع البضائع التي تصلح لهم>>[3] فقد كانت قائمة بالوارد والصادر نظرا لموقعها البحري الممتاز ولاتساع رقعتها دون أن ننسى ما اشتهر عن أهلها الذين عرفوا بكثرة المتاجرة وكثرة الأموال فيقول الادريسي أنه<<لم يكن بالأندلس كلها أيسر من أهلها مالا و لا أتجر منهم في جميع أنواع التجارات تصريفا وادخارا>>[4].

(1) الادريسي، مصدر سابق، ص 562.

(2) الرشاطي وابن الخراط الاشبيلي، مصدر سابق، ص 59.

(3) المقري، مصدر سابق، ج3 ، ص 220.

(4) الادريسي، نفسه، ص 562.

وفضلا عن الصناعات النسيجية كانت بالمرية صناعات أخرى مثل الصناعات المعدنية فقد كان << يصنع بها من صنوف آلات الحديد والنحاس والزجاج ما لا يوصف>>[1] كما كانت بها << دار صناعة لعمارة المراكب>>[2] وهذا التقدم الصناعي ضاعف من أهميتها كمركز تجاري قبل أن تتعرض لضربات الروم في فترة نهاية المرابطين وبداية الموحدين لتفقد على إثرها مقعدها الاقتصادي بالنسبة للأندلس، فينتقل بذلك مركز الثقل منها الى مدن أخرى سنتحدث عنها لاحقا مثل مالقة ومرسية.

- مدينة مالقة : تقع مالقة على الساحل الشرقي الجنوبي لبلاد الأندلس ما بين اشبيلية وغرناطة، وتعد << من المراكز التجارية والصناعية الهامة في بلاد الأندلس >>[3] فإلى جانب كل من اشبيلية والمرية قامت مالقة بدور مخزن تصريف تجاري وسوقا لدخول وخروج السلع أو بعبارة أخرى << كانت مالقة malaga تمثل مركز للشحن البحري>>[4] وهذا بفضل موقعها الجغرافي الجد استراتيجي على الساحل الشرقي الجنوبي للأندلس والذي هيأها لتكون << منفذا تجاريا عظيما الى بلاد المغرب ومنها الى بلاد المشرق>>[5]، ومن خصائص مالقة أنها<< جامعة بين مرافق البر والبحر>>[6]، فهي مدينة عامرة كثيرة المتاجر والخيرات يقول الادريسي أن:<< أسواقها عامرة ومتاجرها دائرة ونعمها كثيرة>>[7].

(1) المقرّي، مصدر سابق، ج1، ص 163.

(2) القلقشندي، مصدر سابق، ص 217.

(3) سامية مصطفى مسعد، مرجع سابق، ص 132.

(4) سلمى الخضراء الجيوسي، مرجع سابق، ص 1077.

(5) سامية مصطفى مسعد، نفسه، ص 133.

(6) ابن بطوطة ، *تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار (رحلة ابن بطوطة)*، ج2، المطبعة الخيرية، ط1، 1322هـ، ص 228.

(7) الادريسي، مصدر سابق، ص 565.

ومن بين النعم التي خصت بها مدينة مالقة واشتهرت بها داخل الأندلس وخارجها فاكهة التّين التي تفوق بجودتها جميع تين المعمورة مما جعل تين مالقة مفضلا ومطلوبا لدرجة تصديره الى أبعد الآفاق، فيُحمل منه << الى يلاد مصر والشام والعراق وربما وصل الى الهند وهو من أحسن التين طيبا وعذوبة>>[1] بل وقد يصل الى غاية الصين[2] حسب ماذكر المقري، وكذلك اللوز كان ينقل مع التين فيعم << جميع غرب الأندلس>>[3]، أما عن العنب فيقول ابن بطوطة الرحالة الشهير :<<رأيت العنب يباع في أسواقها بحساب ثمانية أرطال بدرهم صغير>>[4] ونظرا لكثرته كثر انتاج مالقة للخمور حتى نسب اليها نوع من الخمر ، يقول المقري: << وقد خصت بطيب الشراب الحلال والحرام حتى سار المثل بالشراب المالقي>>[5]، ومن المنتجات الأخرى نذكر أيضا الحرير ففي << أعمالها يوجد الحرير الكثير>>[6].

وفي المجال الصناعي اشتهرت مالقة بصناعة <<الفخار المذهب العجيب(الذي) يجلب منها الى أقاصي البلاد>>[7]، وبالصناعات الحريرية حتى كان << ثمن الحلة الموشية من انتاجها يتجاوز آلاف الدنانير، وهذا النوع ينتج برسم الملوك والخاصة>>[8].

(1) الادريسي، مصدر سابق، ص 565.

(2) المقري، مصدر سابق، ج1، ص 151.

(3) القلقشندي، مصدر سابق، ص 219.

(4) ابن بطوطة، مصدر سابق، ص 228.

(5) المقري، نفسه، ج3، ص 219.

(6) القلقشندي، نفسه، ص 219.

(7) المقري، نفسه، ج1، ص 151 - 152.

(8) عز الدين عمر موسى، مرجع سابق، ص 218.

كما أنها اختصت << بعمل صنائع الجلد، كالأغشية والحزم، والمدورات وبصنائع الحديد كالسكين والمقص ونحوهما>>[1] لكن الذي زاد من أهميتها كميناء تجاري هو أن أقيمت بها دار لصناعة السفن التجارية الى جانب السفن الحربية، بينما ثروة مالقة فترجع للمكوس التي تفرض على تجارة الصادر والوارد وخاصة <<تجارة الرقيق من الخدم المجلوبين من أرض الصقالبة>>[2]، وعلى العموم فإن مكانة مالقة الاقتصادية بشكل عام ظهرت بوضوح في عصر الموحدين حيث تفوقت عن غيرها في عديد من الصناعات وتضاعف نشاطها التجاري على الصعيد الداخلي والخارجي.

- ***الجزيرة الخضراء:*** ويقال لها أيضا جزيرة أم حكيم، تقع جنوب الأندلس وهي تتوسط مدن الساحل قريبة جدا من مدينة سبتة المغربية اذ لا يفصل بينهما سوى ممر بحري ضيق بحيث لا يتجاوز << عرضه هنالك ثمانية عشر ميلا>>[3] وعليه فقد اعتبر <<مرساها أحسن المراسي للجواز>>[4] وموقعها هذا بالقرب من بلاد العدوة هو الذي زاد من أهميتها التجارية، يظهر ذلك من كثرة الرحلات التجارية التي تنطلق من مرساها أو تنتهي اليه فقد قال الادريسي أن بها << اقلاع وحط>>[5] وما زاد ميناءها أهمية هو دار صناعة السفن فيه، يقول ابن الفضل العمري:<< وبها دار صناعة لإنشاء الحراريق>>[6] .

(1) القلقشندي، مصدر سابق، ص 219.

(2) المقدسي، مصدر سابق، ص 442 - 443.

(3) الادريسي، مصدر سابق، ص 539.

(4) أبو الفداء، مصدر سابق، ص 173.

(5) الادريسي، نفسه، ص 539.

(6) ابن فضل الله العمري، مصدر سابق، ص 236.

ورغم أن الجزيرة الخضراء مدينة << جامعة لفائدة البر والبحر>>[1] فان أهميتها التجارية تعود بالدرجة الأولى الى موقعها القريب جدا من بلاد العدوة والذي يمكنه أن يربطها ببلدان المغرب الاسلامي قاطبة وبلدان المشرق عبر الطرق البرية والبحرية.

ـ المنكب: تقع على ساحل الأندلس شرقا، وهي مدينة متوسطة من أعمال البيرة، لها مرسى و<<دار صناعة لإنشاء السفن>>[2] وقد كان لها دور بارز في التجارة مع البلدان الشرقية في مياه البحر المتوسط ، وبمينائها كانت ترسو السفن القادمة من بعض جهات الأندلس الى جانب السفن القادمة من الأقطار البعيدة، ومعظم الرحلات التجارية بينها وبين العالم الخارجي كانت تتم بشكل خاص مع بلدان المغربين الأوسط والأدنى، وهذا لوقوع ميناء المنكب في الجهة المقابلة لموانئ هذه البلدان وكذا لقصر المسافة التي تربطهم، كما وفدت على المنكب سفن من بلاد المشرق وبلاد النصارى.

وهذه المدينة كانت تمتلك ثروات زراعية قامت بتصديرها لعدة أماكن، ومن هذه المنتجات نذكر السكّر[3]، والموز[4] والزبيب[5]، كما اشتهرت المنكب اضافة الى ثرواتها الزراعية بثروتها السمكية نظرا لكثرة مصائد السمك[6] التي فيها .

(1) الحميري، مصدر سابق، ص 223.

(2) القلقشندي، مصدر سابق، ص 218.

(3) ابن فضل الله العمري، مصدر سابق، ص 234.

(4) القلقشندي، نفسه، ص 218.

(5) ابن فضل الله العمري، نفسه، ص 234.

(6) الحميري، نفسه، ص 548.

ـ بلنسية: تقع مدينة بلنسية في شرق الأندلس وهي قريبة من البحر، واسعة المساحة، اجتمعت فيها خصائص البر والبحر، وتعرف بمدينة التراب.

وصفها لنا الادريسي بقوله:<< ومدينة بلنسية قاعدة من قواعد الأندلس في مستو من الأرض عامرة القطر كثيرة التجار والعمار وبها أسواق وتجارات وحط واقلاع وبينها وبين البحر ثلاثة أميال مع النهر >>[1]، وقد اشتهرت هذه المدينة بعدة منتجات زراعية وصناعية، ومن هذه المنتجات نذكر الفواكه خاصة منها القراسيا، يقول الحموي أن << الغالب على شجرها القراسيا>>[2] كما اختصت بالزعفران والأرز أيضا، يقول ابن الدلائي:<< وينبت أكثر أرض بلنسية الزعفران ويحسن فيها، ويزرع فيها الأرز، وهو ينجب فيها، ومنها يحمل الى جميع بلاد الأندلس>>[3].

ومن صنائعها نوع من النسيج يُنسب اليها وهو << النسيج البلنسي الذي يسفّر لأقطار المغرب>>[4]وفي القرن السادس الهجري ازدهرت بها صناعة المنسوجات << القطنية والكتانية>>[5]، بينما في العصر الموحّدي استطاعت بلنسية أن تحوز على المرتبة الأولى في صناعة الورق حتى صارت من أكبر مراكز هذه الصناعة وهذا بعد أن فقدت شاطبة مكانتها في ذلك، كما عدّت أيضا من أولى مراكز صناعة الخمور بشتى أنواعها، كل هذا خلال القرن السادس .

ومجمل القول أن بلنسية هي من المدن التي نمت تدريجيا فاكتسبت مع الوقت مكانة تجارية مرموقة بين غيرها من المدن الأندلسية، والتي لم تظهر إلا خلال القرن السادس كما ذكرنا فاتجهت لها الأنظار التي صرفها خراب المرية .

(1) الادريسي، مصدر سابق، ص 556.
(2) ياقوت الحموي، مصدر سابق، ج1، ص 490.
(3) ابن الدلائي، مصدر سابق، ص 17.
(4) المقري، مصدر سابق، ج3، ص 221.
(5) عز الدين عمر موسى، مرجع سابق، ص 219.

ـ مدينـة دانيـة: هـي مـن مـدن الأنـدلس العظيمـة القـدر، تقـع << شـرق الأنـدلس علـى البحر>>[1] وهي في غربي بلنسية، وتعتبر دانية مدينة تجارية هامة، والذي أكسبها هذه الأهمية موقعها الاستراتيجي على البحر المتوسط الذي يعد من المنافذ التجاريـة العالميـة، نظرا لتحكمه في معظم الخطوط التجارية الرابطة بين أكثر أجزاء المعمورة، لذا فمدينـة دانية كان حظها وافرا من التجارة الخارجية فحسب قول الحميري كانت <<السفن واردة عليها صـادرة عنهـا>>[2]، وقد زادت مكانتها التجاريـة أيضـا بسبب دار الصـناعة التـي أقيمت بها، فقد كانت << دار انشاء السفن ومنها يخرج الأسطول الى الغزو>>[3].

ـ مدينة طرطوشـة : مدينـة طرطوشـة متوسطة القدر تقع علـى السـاحل الشرقي لشبه جزيـرة الأنـدلس، وهـي فـي سفح جبل بينهـا وبـين البحـر المتوسط عشرون ميلا، لكنهـا موصولة به عن طريق النهر الذي هي عليه، وهو نهر ابره الـذي يصـب فـي هذا البحـر، لذلك اعتبرهـا القزوينـي مدينـة برّيـة بحريـة، فهـي << بـاب من أبواب البحـر ومرفأ من مرافئه>>[4] تتميز باتساع مساحتها فلها << ولاية واسعة وبلاد كثيرة>>[5]، وتعد أحد مراكـز التجـارة بالأنـدلس بـدليل أنـه << يحلهـا التجـار مـن كـل ناحيـة>>[6] بـل انهـم يسافرون << منها الى سائر الأمصار>>[7] وهذا بفضـل موقعهـا الجد استراتيجي علـى البحر المتوسط المعروف بكثافة خطوطـه التجاريـة المتجهـة نحـو مختلـف اصـقاع العـالم، وأكثر السفن التجارية تبحر في مياه هذا البحـر، لكنهـا أقل قدرا مـن غيرهـا مـن المراكـز كالمرية ودانية وقرطبة وبلنسية واشبيلية.

(1) الحميري، مصدر سابق، ص 231.
(2) نفسه.
(3) الادريس، مصدر سابق، ص 557.
(4) الحميري، نفسه، ص 391.
(5) الحموي، مصدر سابق، ج4، ص 30.
(6) الحميري، نفسه، ص 391.
(7) الحموي، نفسه، ص 30.

فطرطوشة تمتلك من المرافق والثروات ما يؤهلها لتتبوأ مكانة تجارية متوسطة بالأندلس، فالإدريسي يقول أن بها << أسواق وعمارات وصناع وفعلة>>[1] وفي اقتباس الأنوار ورد أنّ << لها أرباض من جهة الجوف والقبلة، ودار صناعة (...) وبها أربعة حمّامات، وسوقها في الربض القبلي جامعة لكل صناعة ومتجر>>[2].

ومن الثروات التي اختصت بها هذه المدينة كثرة الأخشاب وتنوعها، فيوجد بجبالها خشب الصنوبر الذي << له من الجودة والحسن ما لا يوجد في غيره من الجبال فهي لذلك بلد انشاء>>[3] .

فمن أخشاب الصنوبر الذي بجبالها تنشأ<< المراكب الكبار>>[4] كما تتخذ منها <<الصواري والقرى>>[5]، ويوجد فيها الى جانب شجر الصنوبر شجر آخر << يشبه خشبه خشب الساج تتخذ منه الآلات والظروف>>[6] كذلك لها << الجبل المعروف المشهور فيه شجر البقس>>[7] الذي تصدّره الى مختلف الجهات، يقول الحميري عن شجر البقس أنه << منها تفترق الى النواحي>>[8].

لكنها اشتهرت أكثر بصناعة المراكب نظرا لتوفر الأخشاب الطويلة والغليظة المناسبة لذلك، غير أن مكانتها الاقتصادية والتجارية خاصة تلاشت بعد استيلاء الافرنج عليها سنة 543 هـ .

(1) الادريسي، مصدر سابق، ص 555.
(2) الرشاطي وابن الخراط، مصدر سابق، ص 149.
(3) الادريسي، نفسه، ص 555.
(4) الحميري، مصدر سابق، ص 391.
(5) القزويني، مصدر سابق، ص 366.
(6) الرشاطي وابن الخراط، مصدر سابق، ص 149.
(7) الحميري، نفسه، ص 391.
(8) نفسه.

ثانيا: المراكز التجارية الداخلية:

من أهم المدن الداخلية التي استطاعت أن تكون في صدارة المراكز التجارية بالأندلس بفضل ما اشتملت عليه من مقومات اقتصادية هامة كانت بمثابة القاعدة المتينة لقيام نشاط تجاري بينها وبين مختلف المناطق في الداخل والخارج، ومن هذه المدن نذكر:

- مدينة قرطبة: هي أعظم مدن الأندلس الداخلية، تقع شرقي اشبيلية، وجنوب مدينة طليطلة، اشتهرت مدينة قرطبة بكثرة سكانها واتساع عمرانها وتعدد مرافقها من أسواق ومساجد وحمامات وفنادق، كما اشتهر أهل قرطبة بكثرة ممارستهم للتجارة الأمر الذي كان يدر عليهم أموالا طائلة فقد كانوا ميسوري الأحوال، وقد اتسعت شهرة قرطبة وتكلمت معظم المصادر عن مكانتها في عصر الأمويين ومنه ما قاله ابن حوقل: << وأعظم مدينة بالأندلس قرطبة وليس بجميع المغرب لها شبيه، ولا بالجزيرة والشام ومصر ما يدانيها في كثرة أهل وسعة رقعة وفسحة أسواق ونظافة محال، وعمارة مساجد وكثرة حمامات وفنادق>>[1] فيما عدد الحميري مزاياها قائلا:<< وهي قاعدة الأندلس وأم مدائنها ومستقر خلافة الأمويين بها ، وتجارها مياسير وأحوالهم واسعة، وهي في ذاتها مدن خمس يتلو بعضها بعضا وبين المدينة والمدينة سور حاجز، وفي كل مدينة ما يكفيها من الأسواق والفنادق و الحمامات وسائر الصناعات>>[2] وهو نفس ما ذهب اليه ابن الخطيب حين تحدث عن عصر عبد الرحمن الناصر لدين الله واصفا احدى مدن قرطبة: <<قد كان على عهده مدينة تشمل على آلاف من الخلق، قد اتخذت فيها المرافق والمساجد والحمام والسوق ولو تتبعنا أصنافهم، وما كانوا يحاولونه من صناعاتهم ويناغون به المشرق من بضائعهم ومقدار جراياتهم ونفقاتهم، لضاق عنه الكتاب>>[3].

(1) ابن حوقل، مصدر سابق، ص 107.

(2) الحميري، مصدر سابق، ص 456.

(3) ابن الخطيب، أعمال الأعلام ، مصدر سابق ، ص 40.

وهو ما جعل المقدسي يقول عن قرطبة أنها << أجل من بغداد>>[1] والمرافق التي كانت بقرطبة دليل على وجود نشاط تجاري واسع لأن تزايد النشطاء التجاريين وتضاعف المعاملات التجارية هو ما يدفع بالدولة الى اقامة الفنادق والحمامات والأسواق والقياسر خدمة للتجارة والتجار، أما فيما يخص الصناعة فقد اشتهرت بالصناعات الجلدية والنسيجية التي أكسبتها شهرة عالمية << فجلودها مطلوبة بكثرة ومصنوعاتها من السجاجيد والأوشحة والستائر الحريرية>>[2] غير أن هذه الصناعات تراجعت بتقلص مكانة قرطبة إثر انهيار الخلافة الأموية ودخول البلاد في عصر من الاضطرابات، ولم تسترجع مركزها الاقتصادي الا في عصر المرابطين.

ومن بين الثروات التي تميّزت بها مدينة قرطبة أيضا، الثروة المعدنية، فبها << جبال معدن الفضة ومعدن الشادنج وهو حجر يقطع الدم ومعدن حجر التوتيا ومعدن الشبوب>>[3] ومعدن الزئبق[4] الذي كانت تصدّره الى جميع الأقطار.

(1) المقدسي، مصدر سابق، ص 233.

(2) جاك ريسلر، الحضارة العربية، تعريب: خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، بيروت، ط1، 1993، ص 157.

(3) القزويني، مصدر سابق، ص 371.

(4) الزهري، مصدر سابق، ص 87.

- مدينة اشبيلية: هي مدينة من المدن القديمة ومعناها المدينة المنبسطة، تقع غرب الأندلس بناحية الجنوب وهي << على القرب من البحر المحيط>>[1]، وهي مدينة داخلية تتصل بمياه البحر عن طريق النهر الذي هي عليه، لذا فميناء اشبيلية هو ميناء نهري تدخل اليه المراكب الآتية من البحر، ومنها تنطلق أيضا الرحلات البحرية نحو مختلف الجهات، يساعدها في ذلك عملية المد والجزر التي بهذا النهر بحيث<<يصعد المد فيه اثنين وسبعين ميلا ثم يحسر>>[2].

ويصف ابن الخراط كل ذلك بقوله:<< وهي مطلة على النهر الهابط اليها من قرطبة ويدخل اليه المد والجزر وهو واد عظيم تدخل فيه السفن الكبار ومن اشبيلية الى الحلق حيث مصب الوادي في البحر ستين ميلا فهي لذلك برية وبحرية>>[3] وقد كان اتصالها بالبحر من أهم العوامل التي جعلت منها مركزا تجاريا عظيما عبر مختلف العهود اضافة الى أنها مركزا هاما لصناعة السفن، وبفضل ذلك توسعت علاقاتها التجارية الدولية وأصبحت بمثابة مخزن للتصريف التجاري وسوقا لمختلف السلع المحليّة وغير المحليّة، فقد كانت اشبيلية كثيرة المرافق، مكتظة بالأسواق والسلع، ومزدحمة بالناس من سكانها وسكان المناطق المجاورة والغرباء الوافدين عليها لأجل التجارة، فهي كما يصفها الحميري:<< كبيرة عامرة لها أسوار حصينة وسوقها عامرة وخلقها كثير وأهلها مياسير>>[4] ولكبر مساحتها فقد كانت لها قرى كثيرة << وكل قرية عامرة بالأسواق والديار الحسنة والحمامات وغيرها من المرافق>>[5].

(1) القلقشندي، مصدر سابق، ص 225.

(2) المقري ، مصدر سابق، ج1، ص 157.

(3) الرشاطي وابن الخراط، مصدر سابق، ص 102.

(4) الحميري، مصدر سابق، ص 59.

(5) المقري، نفسه، ص 158 - 159.

والى جانب المرافق تزخر اشبيلية بعدة ثروات وعلى رأسها زيت الزيتون الذي اشتهرت به، وقد كان يجلب من جبل الشرف << الى بلاد الأندلس وبلاد الروم والمغرب وافريقية ومصر والاسكندرية وربما يبلغ منها الى اليمن قليل، وهذا الزيت أطيب زيوت المعمور كلها>>[1] ولأجل ذلك اعتبرت اشبيلية من أهم المراكز التجارية انتاجا للزيت، يقول الحميري عن أهلها: << وجل تجاراتهم الزيت يتجهزون به الى المشرق والمغرب برا وبحرا>>[2]، ثم يأتي في الدرجة الثانية محصول القطن الذي كانت تصدره الى مختلف البقاع، وعنه يقول ابن الدلائي:<< ومن فضائل تربة اشبيلية التي انفردت بها، وخاصتها التي لا تشارك فيها ما ينبته أرضها من القطن الذي يحسن ويزكو في بقعتها ويعم أكثر بلاد الأندلس، ويجتاز به المتجهّزون من التجار الى افريقية وما هنالك>>[3] كما اشتهر عصفر اشبيلية وكان مفضلا على جميع العصفر الذي بغيرها، ويوجد بها أيضا قصب السكر الذي كان ينمو بالبساتين المسماة <<جنات المصلى>>[4].

والجدير بالذكر أن اشبيلية حافظت على مكانتها كمركز للتجارة عبر مختلف العهود التي مرت بها الأندلس، وتزايدت أهميتها بالأخص في عصر الدولة الموحدية، نظرا لما حظيت به من عناية الموحدين، والسبب هو أن الخليفة عبد المؤمن بن علي لما خلص له ملك المغرب << وصلته بيعة من بعض المواضع بجزيرة الأندلس، وأول بيعة وصلته منها، وأول وفد وفد عليه أهل اشبيلية، ولذلك اعتنوا بها في مدتهم وصيروها حاضرتهم بالأندلس>>[5].

(1) الزهري، مصدر سابق، ص 89.

(2) الحميري، مصدر سابق، ص 59؛ المقري، مصدر سابق، ج3، ص 213.

(3) ابن الدلائي، مصدر سابق، ص 96.

(4) الحميري، نفسه، ص 59.

(5) مؤلف مجهول، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تحقيق سهيل زكار ،وعبد القادر زمامة، دار الرشاد الحديثة، ط1، 1979،ص 147.

ومن مظاهر اعتناء الموحدين بمدينة اشبيلية ما أقاموه بها من مرافق مثل بناؤهم للجامع الكبير الذي أرادوا أن ينافسوا به مسجد قرطبة، وقيامهم ببناء الأسواق والحوانيت والفنادق والديار بأحسن مما كانت عليه، أو كما قال ابن صاحب الصلاة أنهم بنوها: <<بأوثق البنيان، وأحسن نوع في ذلك الشأن، عجيبة غريبة في الزمان>>[1] وعليه فقد ازدادت مكانة اشبيلية عظمة ، ونمت حتى بلغت أرقى درجات التطور والرفاهية، فصارت مدينة يضرب بها المثل في كثرة ما يوجد بها من كل ما قد يُحْتَاج اليه، يقول المقري: << حتى ان العامة تقول لو طلب لبن الطير في اشبيلية وجد>>[2].

- مدينة غرناطة: هي مدينة قديمة <<معناها الرمانة بلغة الأندلسيين>>[3]، تقع في جنوب الأندلس بالقرب من البيرة، وهي من ضمن المراكز التجارية الهامة بالأندلس، بحيث تميزت هي الأخرى بتعدد مرافقها كالأسواق والحمامات ، وكثرة خيراتها خاصة الكتان الذي كانت من أكثر المناطق تصديرا له [4]و بكثرة الفواكه، يقول القلقشندي<<وبها من الفواكه التفاح، والقراصيا البعلبكية التي لا تكاد توجد في الدنيا منظرا وحلاوة حتى إنها ليعصر منها العسل، وبها الجوز، والقسطل، والتين، والأعناب، والخوخ، والبلوط وغير ذلك>>[5]، ومن المعادن يوجد بنهرها <<الذهب الأحمر، وهذا الذهب الأحمر ليس في الأرض أطيب منه>>[6]، أما في المجال الصناعي فقد اشتهرت غرناطة بالمنسوجات الحريرية خاصة منها نوع من اللباس << يعرف بالملبد المختّم ذو الألوان العجيبة>>[7] .

(1) ابن صاحب الصلاة، مصدر سابق، ص 396.

(2) المقري، مصدر سابق،ج3 ، ص 212.

(3) القزويني، مصدر سابق، ص 367.

(4) سامية مصطفى مسعد، مرجع سابق، ص 135،

(5) القلقشندي، مصدر سابق، ص 216.

(6) الزهري، مصدر سابق، ص 96.

(7) المقري، نفسه، ج1، ص 201.

ـ مدينة طليطلة : تتوسط مدينة طليطلة بلاد الأندلس، وهي مدينة عظيمة تقع << على شاطئ نهر تاجة>>[1]، تربطها مجموعة من الطرق والمسالك البرية والنهرية بباقي مدن الأندلس واسبانيا الشمالية وبلاد ما وراء جبال البرت كالفرنجة، الأمر الذي نشط عملية التبادل التجاري بينها وبين هذه البلدان، ومن الثروات التي اشتهرت بها انتاجها الوفير من الزعفران <<فبها زعفران كثير طيب ليس بالأندلس أطيب منه>>[2]، كما توجد بها أنواع من الفواكه مثل << القسطل وحب الملوك والجوز والتفاح>>[3]، وكثير من الغلات والتي يقال أنها لا تتغير بتعاقب الزمن عليها يقول القزويني عن ذلك : << ومن طيب تربتها ولطافة هوائها تبقى الغلات في مطاميرها سبعين سنة لا تتغير>>[4].

أما المعادن ففي طليطلة الكثير منها، فيوجد بها<< مقاطع الرخام ومعدن الزنجفور ومعدن الزئبق ومعدن الحديد ومعدن الطفل>>[5] وهذا الطفل الذي بجبل طليطلة هو الذي << يجهّز الى البلاد ويفضل على كل طفل بالمشرق والمغرب>>[6] كما توجد بجبالها << معادن الحديد والنحاس>>[7] أما الصنائع فقد اختصت عن غيرها بصناعة الأسلحة يقول عنها ابن سعيد المغربي أنه << يصنع فيها من آلات الحرب العجائب>>[8].

(1) ياقوت الحموي، مصدر سابق، ج4، ص 40.
(2) مؤلف مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ص 47.
(3) نفسه، ص 50.
(4) القزويني، مصدر سابق، ص 366.
(5) مؤلف مجهول، نفسه، ص 50.
(6) المقري، مصدر سابق، ج1، ص 201.
(7) الادريسي، مصدر سابق، ص 552.
(8) ابن سعيد المغربي، مصدر سابق،ج2، ص 09.

ـ مدينـة جيّـان : هـي مـن المـدن الداخليـة، تقـع شـرق قرطبـة بحـوالي << خمسـين ميلا>>[1] وهي بين غرناطة وطليطلة ومرسية ، تعرف بجيّان الحرير لكونها من أكبر المراكـز التجاريـة انتاجـا وتصـديرا لـه، والـى جانـب الحريـر أنتجـت جيـان الزعفـران وصـدرته الـى مختلـف المنـاطق فكـان << يسـفّر بـرًا وبحـرًا>>[2] كمـا توجـد بجيّـان محاصـيل أخـرى ففيهـا << بسـاتين وجنـات ومـزارع وغـلات القمـح والشـعير والبـاقلاء وسـائر الحبـوب>>[3]، ولكثـرة مـا فيهـا مـن خصـب رخصـت الأسـعار فيهـا خاصـة أسعار<< اللحوم والحبوب>>[4]، أما الأعناب فمن كثرتها لم تكن تباع ولا تشترى.

ـ مدينة البيرة: تقع البيرة جنوب الأندلس من الناحية الشرقية، اشتهرت بإنتاج الحرير وتصـديره الـى مختلـف المنـاطق، فحريـر البيـرة هـو <<الـذي ينتشـر فـي الـبلاد ويعـم الآفاق>>[5] وكذلك الكتان الذي كان << يصل الى أقاصي بلاد المسلمين>>[6]وقصب السكر واللوز[7] كما أنتجت أطيب وأحسن أنواع الفواكه، ومن المعادن اشتهرت البيرة بالرخام اللين <<الذي يستعمل في صناعة الأطباق والأكواب والأقداح حيث يصدر الى معظـم بـلاد الأنـدلس>>[8] وفيهـا أيضـا << معـادن الـذهب والفضـة والحديـد والنحـاس والرصاص والصفر ومعدن التوتيا ومقطـع الرخـام، وتحمـل هـذه الأشـياء منهـا الـى سـائر بلاد الأندلس>>[9] .

(1) المقدسي، مصدر سابق، ص 234.
(2) المقري، مصدر سابق، ج3، ص 217.
(3) الادريسي، مصدر سابق، ص 568.
(4) ابن سعيد المغربي، مصدر سابق، ج2، ص 51.
(5) الحميري، مصدر سابق، ص 45.
(6) نفسه، ص 45 - 46.
(7) نفسه.
(8) سامية مصطفى مسعد، مرجع سابق، ص 138.
(9) القزويني، المصدر السابق، ص 337.

أما فيما يخص أهم الصناعات التي كانت بها فهي الصناعات النسيجية كصناعة الحرير والكتان، وعن ذلك يقول الحموي << وفي جميع نواحيها يعمل الكتان والحرير الفائق>>[1].

- مدينة مرسية : هي من المدن الحديثة التي ابتنيت في عهد الأمويين، وتقع شرق الأندلس بحيث تعد من أعمال تدمير، ظهرت كمركز تجاري كبير في عهد المرابطين ثم الموحدين ، فقد انتقلت اليها الكثير من الصنائع التي كانت بالمرية قبل خرابها.

ومرسية مدينة عامرة مليئة بالمرافق خاصة التجارية منها، يذكر الحميري أن << لها جامع جليل وحمّامات وأسواق عامرة>>[2] ولكثرة ما فيها من خيرات خاصة الفواكه منها يقول الحميري أنها<< راخية أكثر الدهر>>[3] أي رخيصة الأسعار.

أما الصناعات التي كانت بمرسية فهي كثيرة، منها الصناعات النسيجية، يقول ابن سعيد المغربي أن لمرسية << فضل ما يصنع فيها من أصناف الحلل والديباج>>[4] وبتنتالة احدى أعمال مرسية اشتهرت صناعة البسط [5] التي كانت تصدر الى المشرق حيث تباع بأثمان مرتفعة. كما كانت ثالث مدينة بعد المرية ومالقة تشتهر بصناعة << الوشي المذهب الذي يتعجب من حسن صنعته أهل المشرق اذا رأوا منه شيء>> [6].

(1) ياقوت الحموي، مصدر سابق،ج1 ، ص 244.

(2) الحميري، مصدر سابق، ص 539.

(3) نفسه.

(4) ابن سعيد المغربي، مصدر سابق، ج2، ص 245.

(5) المقري، مصدر سابق، ج1، ص 201.

(6) نفسه.

واشتهرت أيضا بصناعة << الحصر التي تغلّف بها الحيطان المبهجة للبصر، الى غير ذلك مما يطول ذكره>>[1].

والصناعات المعدنية كصناعة << آلات الصفر والحديد من السكاكين والأمقاص المذهبة وغير ذلك من آلات العروس والجندي ما يبهر العقل، ومنها تجهز هذه الأصناف الى بلاد افريقية وغيرها>>[2]، كما كانت هناك صناعات زجاجية وفخارية بلغت أوجها في عصر المرابطين، بينما الصناعات الغذائية فقد<< اختصت مرسية بخمور من التين والزبيب>>[3] حتى غدت من أشهر مراكز الانتاج خلال القرن السادس الهجري.

فيتبيّن مما سبق ذكره أن النشاط الاقتصادي بشكل عام كان متطورا في أكثر مدن الأندلس، فالإنتاج كان وفيرا سواء كان زراعيا أو صناعيا، والأسواق كانت ممتلئة بالسلع المحلية منها و المستوردة نتيجة لحيوية النشاط التجاري بها، غير أن الحالة الاقتصادية كانت تتأثر دوما بالحالة السياسية للبلاد، الأمر الذي كان وراء ظهور مدن كمراكز كبرى للتجارة في فترة من الفترات واختفائها في فترات أخرى، كما هو الحال بالنسبة لقرطبة التي تراجعت مكانتها بعد سقوط الخلافة، واشبيلية التي زادت أهميتها في عصر بني عباد وعصر الموحدين الذين اهتموا بها، كذلك فقدت المرية مكانتها بعد تعرضها لضربات النصارى .

(1) المقري، مصدر سابق، ج3 ، ص 221.

(2) نفسه، ج1، ص 201 - 202.

(3) عز الدين عمر موسى، مرجع سابق، ص 242.

ثالث: المبادلات التجارية الداخلية :

شاركت التجارة الداخلية الى جانب التجارة الخارجية في دفع عجلة الاقتصاد الأندلسي ما بين القرنين 2 - 7 هـ/ 8 - 13 م، حيث شهدت الأسواق في مختلف المدن حركة تجارية نشيطة نتيجة اهتمام ولاة الأمر بقطاع التجارة، فالدولة الأموية مثلا اعتنت ببناء الأسواق والقيساريات كقيسارية قرطبة الشهيرة، ، بل ان الأمويين كانوا أول من أدخل اليها نظام القيساريات، وأول من رتب بها الأسواق ومن الخلفاء الذين اعتنوا بذلك "الحكم المستنصر" الذي نظم الأسواق داخل مدينة قرطبة وأمر بتوسيعها << كي ينفسح الطريق ولا يضيق بالواردين والصادرين>>[1]، كما مهد أمويو الأندلس الطرق والمسالك وبنوا الجسور والقناطر داخل البلاد، وفي عهد الطوائف وبرغم الاضطراب الذي شهده الوضع السياسي فان المدن التجارية لم تفقد نشاطها التجاري لاعتناء بعض ملوك الطوائف بهذه المدن خاصة منها المرية واشبيلية، كما حرص كل من المرابطين والموحدين فيما بعد على النهوض بالتجارة من خلال ما بذلوه من جهود في تأمين الطرق والمسالك وتزويدها بمحطات الراحة والتزود مما سهل عملية انتقال التجار والبضائع بين مختلف المدن ، وكذا اسقاط الضرائب وتوزيع الأموال وتوفير سبل الاقامة للتجار بإنشاء الفنادق والحمامات والقياسر، حتى أصبح التجار يتنقلون بين المدن بحرّية وأمان .

أما بالنسبة للتبادل التجاري فقد كان يشمل الفائض عن الحاجة المحلية للمدينة سواء تعلق الأمر بالمنتوج الزراعي أو الصناعي فيصدّر الى الأخرى وهذا من أجل تحقيق تكامل اقتصادي بين مدن الاقليم، وكذلك المنتجات المستوردة كانت تُحمَّل هي الأخرى من المدن الكبرى المتحكمة بالتجارة الدولية كالمرية واشبيلية فتتوزع على باقي المدن بواسطة التجّار سواء منهم الأندلسيين أو الأجانب الذين كانوا يقومون بالإتّجار داخل وخارج الأندلس.

(1) سامية مصطفى مسعد، المرجع السابق، ص 152.

لقد أمدتنا المصادر بمعلومات هامة عن نوع تلك المنتجات التي كانت تنتقل من المدن المختصة بزراعتها أو صناعتها الى باقي المدن التي قد تقلّ أو تنعدم فيها ، ومن هذه المنتجات نذكر أولا:

أ- المحاصيل الزراعية:

ان تنوع المناخ الذي يسود الأندلس واختلاف تضاريسها كان سببا في تنوع حاصلاتها الزراعية، الأمر الذي أدى الى وجود بعض المحاصيل في مناطق معينة وانعدامها في مناطق أخرى، أو حتى وجودها في عدة مناطق لكن بنسب متفاوتة من حيث الجودة والكمية، ما يجعل الطلب عليها يتزايد في المناطق التي تقل أو تنعدم فيها، وهنا يأتي دور التجار في نقلها من مناطق الانتاج الى مختلف الجهات ومن هذه المحاصيل:

- **قصب السكر:** يقتصر نمو هذا المحصول في بعض المناطق الساحلية المعتدلة من شبه جزيرة الأندلس، ويستخرج منه السكر، لذا فهو من أهم المنتجات الزراعية التجارية، التي تسوق من مناطق انتاجها نحو باقي المناطق، فمن مدينة المنكب المشهورة بقصب السكر يقول ابن فضل الله العمري أنه <<كان يُحمل منها السكر الى البلاد>>[1] وكذلك كان يحمل من البيرة[2] التي تشتهر هي الأخرى بإنتاجه الى سائر مدن الأندلس، ومن مناطق زراعته أيضا مدينة شلوبين[3] واشبيلية[4].

(1) ابن فضل الله العمري، مصدر سابق، ص 234.

(2) القزويني، مصدر سابق، ص 337.

(3) ابن فضل الله العمري ،نفسه، ص 233.

(4) الحميري، مصدر سابق، ص 59.

- **القطن :** يذكر الحميري أن القطن الذي ببلاد الأندلس مصدره من اشبيلية، في قوله: << والقطن يجود بأرضها ويعم بلاد الأندلس>>[1] وهذا لأن تربتها أنسب تربة لنموه وكذلك مناخها .
- **الزيت:** كان زيت الزيتون يجلب من جبل الشرف الذي باشبيلية ويوزع على باقي أقطار الأندلس، يقول الزهري: << ومن هذا الشرف يجلب الزيت الى بلاد الأندلس>>[2]، وكذلك من مدينة لورقة[3] وشوذر[4] احدى كور جيان ولكثرة زيوتها تعرف بغدير الزيت.
- **الزعفران :** ومن مناطق تواجده التي يصدر منها الى باقي مناطق الأندلس نذكر مدينة بسطة التي يحمل منها الى عدة جهات فبها << منه ما يكفي أهل الملة الاسلامية بالأندلس على كثرة ما يستعملونه>>[5] كما يحمل من مدينة وادي الحجارة التي فيها << من غلات الزعفران الشيء الكثير يتجهز به منها ويحمل الى سائر العمالات والجهات>>[6] وكذلك من بيّاسة[7] و بلنسية[8].

(1) الحميري، مصدر سابق، ص 59.

(2) الزهري، مصدر سابق، ص 89.

(3) الرشاطي ،وابن الخراط، مصدر سابق، ص 52 - 53.

(4) الحميري، نفسه، ص 351.

(5) ابن فضل الله العمري العمري، مصدر سابق، ص 238 ؛ القلقشندي، مصدر سابق، ص 221.

(6) الادريسي، مصدر سابق، ص 553.

(7) ابن سعيد المغربي، مصدر سابق، ج2، ص 71.

(8) ابن الدلائي، مصدر سابق، ص 17.

❖ **الحرير :** من مصادر الحرير الذي يوجد في معظم الأسواق الأندلسية نذكر مدينة جيان[1] التي كانت تعرف لكثرة ما بها منه بـ "جيّان الحرير"، ويجلب أيضا من البيرة[2] وجبل شلير[3].

❖ **الكتّان :** بالنسبة للكتان فقد كان يجلب من جبل شلير أيضا[4] ومدينة لاردة التي يقول عنها الحميري أنه << منها يتجهز بالكتان الى جميع نواحي الثغر>>[5] ومن نواحي البيرة[6].

❖ **الأرز:** بالنسبة للأرز فهناك اشارة واحدة عن وجوده بمدينة بلنسية، يقول ابن الدلائي: <<ويزرع فيها الأرز، وهو ينجب فيها، ومنها يحمل الى جميع بلاد الأندلس>>[7].

❖ **التّين:** أكثر المدن التي اشتهرت بإنتاج فاكهة التين هي مدينة مالقة يقول ابن فضل الله العمري :<< والتين الغزير الذي يجلب منها الى جميع البلاد الغربية بالأندلس وغيرها فيعم البلاد شتاء وصيفا>>[8] وجلب التّين من مالقة لا يعود الى انعدامه بغيرها فهناك مناطق أخرى اشتهرت به لكن تين مالقة كان مفضلا ومطلوبا لحسنه ولذاذة طعمه، ويسمى تينها بـ <<التين الريّي>>[9] نسبة اليها لأن اسمها القديم هو ريّة.

(1) أبو الفداء، مصدر سابق، ص 177.
(2) الحميري، مصدر سابق، ص 45 - 46.
(3) نفس المصدر، ص 343.
(4) نفسه.
(5) نفسه، ص 507.
(6) ابن سعيد المغربي، مصدر سابق، صج2، ص 91.
(7) ابن الدلائي، مصدر سابق، ص 17.
(8) ابن فضل الله العمري، مصدر سابق، ص 234.
(9) المقري، مصدر سابق، ج3، ص 219.

❖ **الأخشاب:** لقد اقتصر وجود الأخشاب كأخشاب الصنوبر على مناطق من الأندلس دون أخرى، ونظرا لاستخداماتها المتعددة فان الطلب عليها كان كبيرا، لذلك كانت تنقل من مناطق تواجدها الى مناطق أخرى، فمن قلصة مثلا تحمل الأخشاب << الى دانية وبلنسية >> [1]عن طريق البحر، كما تجلب من مدينة لتنكشة - وهي من أعمال كورة جيان - التي << ينقل منها الخشب فيعم الأندلس>>[2]، ومن طرطوشة[3] التي تعد من أكبر مواطن الخشب.

ب - الثروة الحيوانية:

تعد الثروة الحيوانية من ضمن الثروات الهامة والضرورية خاصة منها:

❖ **الأغنام والأبقار :** من المناطق الشهيرة بالأندلس، التي كانت تجلب منها المواشي جبل الشارات الذي بشمال طليطلة بحيث << فيه من الغنم والبقر الشيء الكثير الذي يتجهز به الجلابون الى سائر البلاد>>[4] ويرجع ذلك الى ما تتميز به أغنام وأبقار هذا الجبل من سمنة حتى أنه كان يضرب بهم المثل في ذلك، كما اشتهرت جزيرة ميورقة [5] برخص مواشيها نظرا لكثرة المراعي وكذلك الأمر بالنسبة لقلعة رباح[6].

(1) الادريسي، مصدر سابق، ص 560.
(2) الحموي، مصدر سابق، ج5، ص 13.
(3) الادريسي، مصدر سابق، ص 555.
(4) نفسه، ص 552؛ والجلاّبون المذكورة هنا الاسم الذي يطلق على تجار المواشي.
(5) ابن حوقل، مصدر سابق، ص 110.
(6) الرشاطي، وابن الخراط، مصدر سابق، ص 141.

- **البغال:** كانت تجلب البغال من قرطبة الى سائر بلاد الأندلس والمعروف عنها أنها <<بغال قيمة واحد منها يبلغ خمسماية دينار لحسن شكلها وألوانها وعلوها وصحة قوائمها>>[1]، وأيضا كانت تجلب من جزيرة ميورقة، يقول ابن حوقل<< ورأيت منها غير بغل بيع بخمس مائة دينار واليها يرغب ملوكهم بمراكبهم واياها يستوطئون ويؤثرون فيما يركبون>>[2] وهذا لما تتميز به تلك البغال من حسن وقوة ضخامة في الحجم مع قدرتها على التحمل والصبر.
- **الثروة السمكية:** تعتبر الأسماك ذات قيمة غذائية عالية لذا كانت تجارتها من التجارات الرابحة وفي الأندلس كانت الأسماك تجلب من المناطق المعروفة بكثرة مصائد السمك سواء الساحلية منها أو الداخلية المتوفرة على الأنهار، فتوزع على باقي المناطق التي ينعدم فيها السمك، وكان السمك منها يحمل نيئا نحو المناطق المجاورة والقريبة أو بعد أن يملّح ويجفف اذا كانت مسافة نقله بعيدة، ومن مناطق تواجده الشهيرة نذكر قرية بزليانة التي كانت فيها << شباك يصاد بها الحوت الكثير ويحمل منها الى الجهات المجاورة لها>>[3] ومدينة المنكب[4] المشهورة بكثرة مصائد السمك، وبساحل شذونة[5] أيضا وغيرها من المناطق الأخرى.

(1) القزويني ، مصدر سابق، ص 371.

(2) ابن حوقل، مصدر سابق، ص 110.

(3) الادريسي، مصدر سابق، ص 565.

(4) نفسه، ص 564.

(5) الحميري، مصدر سابق، ص 339.

جـ ـ المعادن :

لقد كانت المعادن من بين المواد التجارية التي تنقل من مناطق تواجدها الى مناطق تصنيعها، ومن أهم هذه المعادن ومناطق تواجدها نذكر الزئبق الذي كان يجلب من نواحي قرطبة[1] الى جميع الأقطار، ومن فحص البلوط[2] أيضا يحمل لجميع البلاد، والكحل المشبه بالأصفهاني والذي <<يحمل (من طرطوشة) الى جميع البلاد>>[3].

وغيرها من المعادن الأخرى كالذهب والفضة والحديد والنحاس والرصاص والصفر ومعدن التوتيا والرخام التي كانت تحمل من البيرة <<الى ساير بلاد الأندلس>>[4] .

د ـ المنتجات الصناعية :

لقد اختصت مدن عديدة من الأندلس بنوع من الصناعات، حسب ما يتوفر بكل مدينة من مادة أولية، وكانت هذه الصنائع تنتقل من مدن تصنيعها الى أسواق المدن الأخرى، أي تدخل ضمن المبادلات التجارية الداخلية، ومن هذه المصنوعات نذكر:

- **الصناعات النسيجية**: لقد اشتهرت بعض المدن بصناعة أنواع من الملابس أو الأفرشة التي غالبا ما تنسب اليها اسميا، وتنتقل منها الى باقي المناطق الأخرى، مثل الثياب السرقسطية[5] التي تجلب من سرقسطة الى باقي الجهات. وجميع أنواع الثياب الحريرية التي كانت تصنع بالمرية [6] فتنتقل منها الى غيرها.

(1) الزهري، مصدر سابق، ص 87.
(2) ياقوت الحموي، مصدر سابق، ج1، ص 492.
(3) المقري، مصدر سابق، ج1، ص 143.
(4) القزويني، مصدر سابق، ص 337.
(5) ياقوت الحموي، نفسه، ج 3، ص 213.
(6) الادريسي، مصدر سابق، ص 562.

والأوطية التي تجلب من مدينة بسطة فبهذه المدينة << كانت طرز الوطاء البسطي من الديباج الذي لا يعلم له نظير>>[1] لذا كانت تنسب اليها تفريقا لها عن باقي الأوطية الأخرى كالوطاء الجنجالي الذي بجنجالة[2] وهو لا يقل جودة أو أوطية الصوف التي بقونكة[3]. وأنواع الحصائر من مدينة مرسية[4] ودون أن ننسى منسوجات مدينة بلنسية[5] .

- **الصناعات المعدنية:** لا يختلف الأمر بالنسبة لهذه الصناعات، فمثلها مثل الصناعات الأخرى كانت تنتقل من مناطق صناعتها الى مختلف المناطق الأخرى، ومن هذه الصنائع نذكر مثلا الأواني المنزلية أو كما تسميها المصادر بآلات العروس التي تصنع بمرسية <<وهي بلدة تجهز منها العروس التي تنتخب شورتها لا تفتقر في شيء من ذلك الى سواها>>[6]، فيما كانت طليطلة أهم مركز تجلب منه أنواع الأسلحة يقول ابن سعيد أنه كان << يصنع فيها من آلات الحرب العجائب>>[7] وكذلك بمدينة مرسية[8].

(1) الحميري، مصدر سابق، ص 113.

(2) الرشاطي، وابن الخراط الاشبيلي، مصدر سابق، 89.

(3) الادريسي، مصدر سابق، ص 560.

(4) المقري، مصدر سابق، ج3 ، ص 221.

(5) نفسه

(6) نفسه.

(7) ابن سعيد المغربي، مصدر سابق،ج2 ، ص 09.

(8) المقري، نفسه، ج1، ص 201 - 202.

❖ **صناعة الورق:** لقد كانت شاطبة قبل القرن السادس الهجري أهم مركز لصناعة الورق، وهي مصدر الورق الذي بجميع أقطار الأندلس، يقول الحموي:<< ويعمل الكاغد الجيد فيها ويحمل منها الى سائر بلاد الأندلس>>[1].

❖ **الصناعات الخشبية :** من الصناعات الخشبية التي كانت بالأندلس نذكر صناعة القصاع والمخابئ والأطباق بحصن قيشاطة ومنه كانت تنتقل الى باقي الجهات فتعم <<بلاد الأندلس وأكثر بلاد المغرب أيضا>>[2].

(1) الادريسي، مصدر سابق، ص 569.

(2) ياقوت الحموي مصدر سابق، ج3، ص 309.

الفصل الثالث

التجارة الخارجية للأندلس.

I الطرق التجارية الخارجية:

أولا: الطرق البرّية.

ثانيا: الطرق النهريّة.

ثالثا: الطرق البحرية.

II الموانئ التجارية:

أولا: أهم الموانئ الأندلسية.

ثانيا: نظم التعامل في الموانئ.

ثالثا: دور البحرية الأندلسية في التجارة الخارجية.

III المبادلات التجارية الخارجية:

أولا: العلاقات الدبلوماسية وتأثيرها في التجارة الخارجية للأندلس.

ثانيا: الصادرات.

ثالثا: الواردات.

ـ التجارة الخارجية للأندلس ـ

I ـ الطرق التجارية الخارجية:

ـ أولا ـ الطرق البرّية:

لقد ارتبطت الأندلس تجاريا ببعض بلدان العالم الخارجي، وكان الاتصال بينها وبين هذه البلدان يتم عبر عدة طرق، منها الطرق البرّية التي ربطت الأندلس ببلدان القارّة الأوربية منذ أقدم العصور، وفي العصر الاسلامي ازدهرت التجارة الأندلسية الدولية بشكل عام، وصارت هذه الطرق البرّية بمثابة المحرك الرئيسي لتجارة الأندلس الصادرة منها والواردة، وبما أننا نحاول تغطية فترة زمنية تقارب الستة قرون بدراستنا فإنها لاشك مدة طويلة ومليئة بالأحداث السياسية التي ظلت تتناوب بين السلم والحرب، والأمن والخوف والفرقة والوفاق، وهو الأمر الذي كان له تأثير مباشر في درجة استعمال الطرق التجارية فتزداد الحركة التجارية بها في فترات الأمن والهدنة وتتقلص في فترات الحرب والعداء السياسي، مثلما كان يحدث بين الأندلس واسبانيا النصرانية في الشمال أو بينها وبين بلاد الفرنجة أو حتى بينها وبين الفاطميين في افريقية، ولتوضيح موضوع الطرق البرية في التجارة الخارجية للأندلس أكثر سنتناولها في النقاط التالية:

أ ـ الطرق البرّية بين الأندلس واسبانيا النصرانية :

لقد ربطت الأندلس وشمال اسبانيا، أو اسبانيا المسيحية التي ظلت خاضعة لحكم النصارى عدة طرق تجارية من ناحية البرّ، فمن قرطبة بني أميّة التي كانت من أكبر الحواضر الاسلامية في المغرب تنطلق ثلاث طرق بريّة نحو الشمال[1]، الطريق الأول يمرّ بطليطلة ووادي الحجارة، وعند وصوله لحوض نهر ابرو بالشمال الشرقي لشبه الجزيرة يتفرع الى طريقين:

(1) رجب محمد عبد الحليم، العلاقات بين الأندلس الاسلامية واسبانيا النصرانية في عصر بني أمية وملوك الطوائف ، دار الكتب الاسلامية ودار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني بيروت، د.ط ، د. ت، ص 477

أحدهما يسير بمحاذاة النهر مارا بقلهرة ونخرة حتى بمبلونة عاصمة نبرة ثم يسير الى ألبة والقلاع[1] وأشتوريس، بينما يسير الطريق الثاني المتفرع عن الطريق الرئيسي القادم من قرطبة - يسير - جنوبا فيعبر كل من سرقسطة ولاردة[2] ليتصل بإماره برشلونة.

ويبدأ الطريق الثاني من قرطبة فيمر على التوالي بالمعدن ثم قورية ثم سلمنقة وسمورة[3] ليتوغل أخيرا بأراضي جليقية[4] .

أما الطريق الثالث فهو الذي يبدأ من قرطبة لكنه<< ينزل جنوبا فيمر بغرناطة ثم يصعد شرقا بشمال، فيمر بمرسية فبلنسية فطرطوشة فلاردة في أقصى شمال سرقسطة>>[5].

(1) ألبة والقلاع فهو اسم مملكة قشتالة الواقعة خلف جبل الشارات ناحية الشمال، يقول الحميري أن << ما خلف الجبل المسمى الشارات في جهة الجنوب يسمى اشبانيا، وما خلف جهة الشمال يسمى قشتالة>>- الحميري، مصدر سابق، ص 483.

(2) لاردة: تقع في ثغر الأندلس الشرقي، وهي مدينة قديمة ابتنيت على نهر يخرج من أرض جليقية يعرف بشقر- الحميري، نفسه، ص 507.

(3) بخصوص موقع سلمنقة وسمورة أنظر الملحق رقم: 01.

(4) أنظر الملحق رقم : 01، بخصوص مواقع هذه المدن.

(5) رجب محمد عبد الحليم، مرجع سابق، ص 477.

ب ـ الطرق البرّية بين الأندلس وبعض بلدان أوربا:

لقد كان يربط الأندلس ببلدان أوربا مثل فرنسا وايطاليا والمانيا وغيرها الطرق البرية التقليدية، ونقصد بها تلك الطرق العابرة لجبال البرانس(البرت) في الشمال وتسمى بالأبواب حفرتها قديما << ملكة اليونان ليسهل دخولها الى الأندلس>>[1]، وتتفرع هذه الطرق فيما وراء جبال البرانس في اتجاهات مختلفة تبلغ آفاقا بعيدة من ذلك القطر فهناك دلائل على وصول التجار الأندلسيين الى البلاد الاسكندنافية (النورمان) وعبر بلاد الفرنجة وكذلك الى بلاد الصقالبة والبلغار ثم نحو روسيا ولاسيما بعد القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي[2].

فقد كان تجار اسبانيا عامة وخاصة منهم اليهود يقصدون بلاد الفرنجة بتجارتهم مخترقين سلسلة جبال البرانس عبر عدة ممرات مثل "ممر باب الشزرى وكانت القوافل التجارية تعبر هذه الممرات أو الأبواب الى موانئ جنوب بلاد الغال بحيث كانت موانئها من أهم المراكز التجارية في بلاد الفرنجة ويدخلون ببضائعهم الى عدة أسواق لأجل تسويقها أو لاقتناء بضائع من تلك البلاد يعودون بها الى بلادهم، ولعل سوق دنيس القريب من باريس يعد من أشهر الأسواق التي كان يقصدها التجار من الأندلس ومن مختلف البلدان الأخرى حتى سمّي هذا السوق بسوق الشعب[3] نظرا لكثرة وارديه من مختلف الجهات، وقد تزايد استعمال هذه الطرق المؤدية الى الأرض الكبيرة وما يليها ونعني بها بلاد <<الصقالبة والبلغار>>[4]خلال القرن الرابع للهجرة / العاشر ميلادي.

---

(1) ابن سعيد، كتاب الجغرافيا، تحقيق اسماعيل العربي، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1،1970ص 180.

(2) أنظر أحمد الطاهري، مرجع سابق، ص 122 - 125.

(3) منى حسن محمود ، المسلمون في الأندلس وعلاقتهم بالفرنجة، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ط ،1986، ص 213.

(4) الصقالبة: بلاد كبيرة بشرقيها البلغار الداخلة وبعض من بلاد الروس وجنوبيها بعض بحر بنطس وبعض من الروم، أما البلغار فهي بالشمال الغربي من بلاد الروم ،مجهول، *حدود العالم من المشرق الى المغرب*، تحقيق يوسف الهادي، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، ط1، 1999، ص 138 - 139.

ج ـ الطرق البرّية ببلاد المغرب والمشرق:

إنّ أشهر طريق برّي كانت تسلكه التجارة الأندلسية وتحديدا من القرن الثالث الهجري وحتى القرن الخامس الهجري هو الطريق الذي يمر- بعد مضيق جبل طارق- من طنجة إلى القيروان عبر المغرب الأوسط مجتازا بلاد المغرب الأقصى فالأوسط فالأدنى مارا ببعض المدن ذات المكانة التجارية الهامة مثل سبتة وطنجة وسجلماسة وتلمسان وتاهرت الى المهدية والقيروان ، ليصل الى مصر ثم يتجه الى الشام (الرملة ودمشق)ثم العراق (بغداد ، الكوفة ، البصرة) ثم فارس(الأهواز) ثم كرمان والهند والصين [1]،فقد كان تجار الأندلس ينتقلون الى المشرق عبر مدن المغرب الأقصى والأوسط فإفريقية فمصر ومنها الى حلب ثم أعالي العراق وبغداد، ومنها تتفرع المسالك الى حرّان شمالا والبصرة جنوبا والى مدن أخرى من العراق، حيث كانت العراق مفترقا للمواصلات ومسالك التجّار نحو تستر[2] وبلاد الديلم[3] وأرض فارس وخراسان[4] ومنها الى نيسابور[5] التي هي من بلدان خراسان، وقد كانت محطا للتجار من سائر أصقاع العالم.

---

(1) حسن ابراهيم حسن، تاريخ الاسلام: السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ج3، دار الجيل، بيروت، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط14، 1996، ص 335.

(2) وتُسْتُر(أعظم مدينة بخوزستان) فهي مدينة بالأهواز، بينها وبين مدينة سابور ثمانية فراسخ، الحميري، ص 140

(3) بلاد الديلم فهي بلاد واسعة، يحيط بها من شرقيها بلاد خراسان ومن جنوبيها من الجبال ومن غربيها آذربيجان ومن شماليها بحر الخزر، مجهول، حدود العالم، مصدر سابق، ص 109.

(4) وخراسان التي ذكرناها بلاد واسعة أول حدودها مما يلي العراق، وآخر حدودها مما يلي الهند، ياقوت الحموي، مصدر سابق، ج2، ص 350.

(5) أحمد الطاهري، مرجع سابق ، ص 117. بينما نيسابور فهي من بلدان خراسان .

وهناك محاور أخرى للقوافل التجارية القادمة عبر أراضي المغرب الأقصى فتتجه هذه المحاور شرقا الى أرض الحبشة وبلاد النوبة عبر ثلاثة مسالك أولها من مصر ووادي النيل، وثانيها عبر الصحراء من وارقلان[1]، وثالثها عبر سجلماسة[2] من جهة الغرب[3].

وقد شهد عصر بنو أمية والطوائف رحلات تجارية عبر بلاد المغرب الأقصى الى الصحراء وبلاد السودان وصولا الى غانة ، أما الطرق التي ربطت الأندلس بالمغرب الأوسط خاصة في ظل تلك العلاقات الدبلوماسية الطيبة التي جمعتها بدولة بني رستم في تاهرت، التي ينطلق منها طريق عبر البر يتّجه << الى طنجة وسبتة ومن ثم الى الأندلس عبر مضيق جبل طارق>>[2].

ولقد تزايد استعمال الطرق خلال عصري المرابطين والموحدين نتيجة نجاح هاتين الدولتين في استتباب الأمن وحماية الطرق وتأمين المسالك تشجيعا منهم للنشاط التجاري.

(1) وارقلان أو وارجلان تقع في الصحراء التي تكون الجزء الأكبر من المغرب الأوسط، تعد من أكبر المراكز التجارية في المنطقة وتتركز تجارتها مع السودان ـ سوادي عبد محمد، مرجع سابق، ص 331، (وهي مدينة ورقلة التي بالجزائر).

(2) سجلماسة مدينة على طرف مفازة السودان بين الرمال التي يوجد فيها معدن الذهب وهذه الكورة منعزلة عن جميع النواحي وهي قليلة النعمة وذات ذهب وفير ـ مجهول، حدود العالم، ص 134.

(3) أحمد الطاهري، مرجع سابق، ص 122

(4) جودت عبد الكريم يوسف، العلاقات الخارجية للدولة الرستمية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،د.ط، 1984، ص 153.

ثانيا ـ الطرق النهرية:

إن أنهار الأندلس تنبع جميعها من جبال في وسطها، فما اتجه من هذه الأنهار ناحية الشرق كان يصب في البحر المتوسط، أما الأنهار المتّجهة ناحية الغرب فتصب في المحيط الأطلسي، وتتفرع عن الأنهار الكبيرة روافد تتقابل وتتصل فيما بينها الأمر الذي يتيح السفر عبرها الى مختلف أجزاء الجزيرة الإيبيرية، فمنابع << نهر تاجة وروافد نهر شقر ووادي مرسية تتصل بروافد نهر الوادي الكبير ووادي آنة>>[1] لذا فان تجار الأندلس وكذا تجار اسبانيا النصرانية ومعهم تجار الفرنجة استعملوا هذه الأنهار كطرق تجارية لتبادل البضائع والسلع فقد كانت سفن الأندلس وسفن الفرنج ونصارى اسبانيا الشمالية تفد الى هذه الأنهار بالبضائع وتعود منها محملة ببضائع الأندلس، يساعدها في ذلك عملية المد والجزر التي تبلغ في نهر الوادي الكبير <<اثنين وسبعين ميلا، وتصعد مراكب الفرنج بوسقها الى اشبيلية>>[2] بينما يصعد المد في نهر يانه <<نحو ستين ميلا>>[3] فقد كان التجار الأندلسيون يشقّون طريقهم الى البلدان الأوروبية انطلاقا من << ثغور وادي يانة ونهر شقر كقصر أبي دانس وبطليوس وماردة وقلعة رباح وكونكة>> [4].

(1) رجب محمد عبد الحليم، المرجع السابق، ص 476؛ أنظر ملحق رقم: 02

(2) ابن سعيد، مصدر سابق، ص 167.

(3) نفس المصدر، ص 179.

(4) عز الدين عمر موسى، النشاط الاقتصادي، ص 316.

ثالثا ـ الطرق البحرية:

إن الطابع الجزري للأندلس بوقوعها وسط البحار، البحر المتوسط من ناحية الشرق والمحيط الأطلسي ناحية الغرب، جعل اتصالها ببلدان العالم الخارجي يتم في أغلب الأحوال عن طريق البحر، لذا فان الطرق البحرية من الاندلس كانت في عدة اتجاهات، ولعل أكبر قدر من هذه الخطوط البحرية هي تلك التي تربطها ببلدان القارة الافريقية الواقعة على الساحل والممتدة من المغرب الأقصى غربا الى المغرب الأدنى شرقا، وهذا راجع الى وقوع هذه البلدان قُبَالَة أرض الأندلس لا تفصلها عنها سوى مسافات قصيرة أو متوسطة وهو ما ساعد على نشوء عدة صلات حضارية بين الأندلس وهذه البلدان لاسيما منها الصلات التجارية، وقد وصف ابن حوقل هذا الموقع المتميز بقوله: << ثم تمتد أرض الأندلس على البحر فتواجه من أرض المغرب تونس وهكذا الى طبرقة الى جزائر بني مزغنّاي الى تنس الى وهران الى نكور الى سبتة ثم الى أزيلي>>[1]، كما تمتد الخطوط البحرية من الأندلس باتجاه بلدان أخرى سواء القريبة منها كبعض بلدان القارة الأوربية أو البعيدة عنها كبلدان المشرق الاسلامي، بل انها تمتد الى بلدان بأقصى الشرق فتصل الى الهند والصين وغيرهما، ولتوضيح موضوع الطرق البحرية الخارجية للأندلس سنحاول ذكر أهمها في النقاط التالية:

(1) ابن حوقل، مصدر سابق، ص65.

أ- الطرق البحرية بين الأندلس والبلدان الأوربية :

لقد اتصلت الأندلس ببلاد الكفر المتاخمة لها والبعيدة عنها عبر مجموعة من الطرق البحرية غربا وشرقا، حيث امتدت خطوط التجارة غربا في مياه المحيط متجهة نحو<< بلاد جليقية وتنعرج نحو نبارّى الى أن تبلغ مدينة برذيل والغالب على الظن أنّ هذا الخط البحري كان يتعمق الى غاية جزر انكلطرة وإرلندة>>[1]، فقد أبحر الأندلسيون عبر مياه البحر المحيط ولا أدل على ذلك من تلك الاشارات المتفرقة التي وردت في مختلف المصادر عن أقوال بعض المسافرين فيه من تجار وغيرهم يصفون بعض عجائبه وأهوالهم كذكرهم لخبر الحيتان الكبيرة التي تستطيع قلب مركب بما فيه << قال ابن سعيد: عاينت من ذلك العجب، والمسافرون في البحر يخافون منها لئلا تقلب المراكب>>[2]، وكانت هذه الطرق البحرية تشهد حركة نشيطة للملاحة من خلال كثرة المراكب الكبيرة الداخلة الى الأندلس والصادرة عنها، يقول ابن سعيد أيضا أنه من خلال النهر الواقع جنوب مدينة طلوزة الواقعة شرق بردال (برذيل) كانت المراكب <<تصعد في البحر المحيط بالقزدير والنحاس اللذان يجلبان من جزيرة انكلترة وجزيرة إيرلندة ويحملان على الظهر الى نربونة[3]، ومنها يحملان في مراكب الى الاسكندرية>>[4].كما تجدر بنا الإشارة الى أن << الطريق البحري عبر ساحل اسبانيا الغربي المطل على بحر الظلمات، لم يسلك إلا منذ عهد عبد الرحمن الأوسط بعد القضاء على خطر النورمان>>[5].

(1) أحمد الطاهري، مرجع سابق، ص 127.
(2) المقري، مصدر سابق، ج1، ص 199.
(3) نربونة أو أربونة كما تسميها المصادر العربية :هي أقصى ثغور المسلمين في شرق الأندلس تقابل البحر المتوسط، وثغورها مما يلي البلاد الافرنجية، وقد خرجت عن أيدي المسلمين سنة ثلاثين وستمائة ـ الحميري، ص 24؛ ابن سعيد، كتاب الجغرافيا، ص 181.
(4) ابن سعيد، مصدر سابق، ص 181.
(5) حسين يوسف دويدار، مرجع سابق، ص 361.

أما من ناحية الشرق فقد امتدت الخطوط البحرية بكثافة في البحر المتوسط (الشامي) متجهة نحو أوربا الغربية، حيث ربطت هذه الخطوط مراسي الأندلس كمرسى المرية مثلا بمراسي بلاد الكفر كميناء برشلونة و أنيش ومرسيلية في قطلونية وبلاد الفرنجة[1] وقد ذكرنا المرية لأنها كانت أهم وأكبر موانئ الأندلس التي تحط بها المراكب من مختلف أصقاع العالم، يقول المقري عنها: << وبها كان محط مراكب النصارى، ومجتمع ديوانهم، ومنها كانت تُسفّر لسائر البلاد بضائعهم، ومنها كانوا يوسِقُون جميع البضائع التي تصلح لهم>>[2]، لقد كانت المرية <<مركزا للسفن القادمة من شرق البحر الأبيض المتوسط، ومحطا لمراكب النصارى ونعني بهم الجنويين والبيزيين والبنادقة والقطلانيين والأرغونيين>> [3]، لذا فقد كانت الملاحة في مياه البحر المتوسط تعرف نشاطا مضاعفا فالرحلات التجارية ظلت متبادلة بينها وبين أهل بلاد الكفر الذين كانوا يترددون بدورهم على بلاد الاسلام وكمثال عن ذلك نذكر مدينة مرسيلية التي يقول ابن سعيد أنها كانت احدى <<فرض الفرنج المترددين على بلاد الاسلام>>[4]ومثلها مدينة بيس[5].

(1) أنظر أحمد الطاهري، مرجع اسابق، ص 128.

(2) المقري، مصدر سابق، ج3، ص 220.

(3) السيد عبد العزيز سالم، تاريخ مدينة المرية الاسلامية (قاعدة أسطول الأندلس)، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر، الاسكندرية، 1984، ص 89.

(4) ابن سعيد، مصدر سابق،ص 182.

(5) نفسه، ص 169.

ومن الأندلس يمر الطريق البحري عبر الساحل الشرقي المطل على البحر الرومي ثم تنقل السلع عبر الموانئ الجنوبية لفرنسا، كما توطدت المواصلات البحرية عبر الجزائر الشرقية (ميورقة، ومنورقة)في اتجاه جزيرة سردينية، متعمقة نحو مرافئ أمالفي وجنوة وبيشة وغيرها من المدن الايطالية[1]وقد وصلت الى غاية شمال بلاد الفرنجة وانكلطرة وبلاد الفلاندر .

وفي سياق حديثنا عن الخطوط البحرية في البحر المتوسط نعرج لذكر ذلك الخط البحري الرابط بين موانئ الأندلس وجزيرة صقلية [2]، فمن ميناء قرطاجنة يمتد خط بحري نحو ميناء أطرابنش بصقلية وهو الطريق الذي يذكر ابن جبير أنه سلكه اثناء رحلة العودة من صقلية الى الأندلس حيث أقلع سنة 580هـ على ظهر سفينة جنوية الى الأندلس فوصل قرطاجنة [3] وقبل هذا التاريخ كانت صقلية تربطها باشبيلية رحلات بحرية قارّة ففي عهد الطوائف مثلا :<< لم يدّخر المعتضد بن عباد وسعا في تجهيز التجار الى صقلية>>[4] . وفي الحقيقة لم نجد اشارات كثيرة في المصادر عن هذه الخطوط البحرية ويمكن أن يكون مرد ذلك الى سوء العلاقات بين الأمويين والأغالبة الذين فتحوا صقلية، لتظهر بعض الاشارات عن ذلك خلال العصور اللاحقة بدءا بعصر الطوائف.

(1) أحمد الطاهري، مرجع سابق، ص 128.

(2) صقلية: جزيرة في قطعة من البحر الشامي، افتتحت في سنة اثنتي عشرة ومائتين، فتحها زيادة الله بن ابراهيم بن الأغلب أمير القيروان، بعث اليها أسد بن الفرات الفقيه غازيا ـ أنظر الحميري، مصدر سابق، ص 367.

(3) ابن جبير، *رحلة ابن جبير*، ص 17.

(4) أحمد الطاهري، نفسه، ص 114.

ب ـ الطرق البحرية بين الأندلس والمغرب الأقصى:

لقد ربطت الأندلس وبلاد المغرب الأقصى طرق بحرية نشيطة وهذا أمر طبيعي نظرا لقرب المسافة بين العدوتين بحيث << يضيق الزقاق بين بر العدوة وبر الأندلس فيكون قدر ثمانية عشر ميلا وطوله الى جبل الميناء الذي على سبتة أربعة وأربعون ميلا>>[1]، فمن ميناء اشبيلية يمتد خط بحري يصلها بموانئ المغرب الأقصى مثل ميناء طنجة التي يقول الادريسي أن :<<بها إقلاع وحط >>[1]ومن اشبيلية والجزيرة الخضراء نحو ميناء سبتة التي يقول عنها ابن سعيد أنها<< بين بحرين وهي ركاب البرّين، شبه الاسكندرية في كثرة الحط والاقلاع>>[2]

ومن الموانئ الغربية بالأندلس تمتد خطوط بحرية نحو مدن مغربية أخرى مثل سلا وأنفا وبلاد السوس وأزمور[3]، وتستمر بعض الرحلات البحرية الأندلسية الى غاية السوس الأقصى << وهو آخر ما تبلغ اليه مراكب البحر من الأندلس>>[4] وهذا منذ عصر بني أمية، وخلال عصر الطوائف << تصاعدت أهمية ميناء تابحريت في ضمان التواصل البحري بين العدوتين المغربية والأندلسية ويقع هذا الميناء على ساحل مدينة وجدة>>[5].

(1) ابن سعيد، مصدر سابق، ص 138.

(2) الادريسي، مرجع سابق، ص 168.

(3) ابن سعيد، نفسه، ص 139.

(4) الزهري، الجغرافيا، ص 91.

(5) أحمد الطاهري، المرجع السابق، ص 110.

(6) نفسه، ص 111.

ج ـ الطرق البحرية بين الأندلس والمغرب الأوسط:

إن الموقع الهام للأندلس من حيث أن معظم موانئها تقابل وتوازي موانئ المغرب الأوسط كان له أثر كبير في ظهور عدة طرق بحرية تربط بين موانئ البلدين، فهناك طريق يمتد من الأندلس بحرا نحو ميناء بني مزغنّة التي يقول عنها المقدسي أنها:<<على ساحل البحر مسوّرة يعبر منها الى الأندلس>>[1] وقد كان مرساها مقصد <<أهل السفن من افريقية والأندلس>>[2]. وطريق يربط بين مرسى وهران ومرسى أشكوبرش[3] المقابل له من بلاد الأندلس، وأشكوبرش هو المرسى القديم الذي نزله البحريون قبل نزولهم بجّانة والمسافة بين الميناءين قريبة لدرجة أن المقدسي يقول أن المسافرين << يقلعون منها الى الأندلس في يوم وليلة>> [4] وعلى ميلين من وهران كان<< المرسى الكبير وبه ترسو المراكب الكبار والسفن السفرية ويوجد بوهران الخير الكثير حيث كانت مراكب الأندلس اليها مختلفة>>[5]كما توجد موانئ أخرى بالمغرب الأوسط تنطلق منها الرحلات نحو الأندلس أو تنتهي اليها رحلات أهل الأندلس كمرسى فروخ المقابل لمرسى مدينة لورقة[6]ومرسى تنس المقابل لمرسى شنت بول[7].

---

(1) المقدسي، مصدر سابق، ص 228.

(2) أحمد الطاهري، مرجع سابق، ص 113.

(3) البكري، المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب ـ جزء من كتاب المسالك والممالك ـ دار الكتاب الاسلامي، القاهرة، ص 81.

(4) المقدسي، مصدر سابق، ص 229.

(5) الادريسي، *القارة الافريقية وجزيرة الأندلس(نزهة المشتاق)*، تحقيق اسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، 1983، ص 153.

(6) البكري، نفسه، ص 81.

(7) نفسه.

ويقول ابن سعيد عن مدينة تنس أنها << مشهورة بكثرة القمح، ومنها يحمل في المراكب الى سواحل الأندلس وغيرها>>[1] ومرسى الدجاج ومرسى الخرز وميناء نكور، وهي من أكثر المراسي التي كان يستعملها تجار مدينة تاهرت بالخصوص لنقل سلعهم نحو الأندلس.

<< ويبدو أن الحركة كانت أنشط في ميناء تنس ومرسى فروخ>>[2] فعمليات الذهاب والإياب بين هذه المراسي ومراسي الأندلس لم تكن تتوقف إلا في أيام فصل الشتاء العاصفة حيث تشكل أمواج البحر عائقا لمستعملي الخطوط البحرية ونخص بالذكر تلك الرابطة بين مدينة طرطوشة وميناء بجاية فقد ذكر ابن سعيد أنه <<على الساحل الذي بشرقي بجاية جبال الرحمة تقاسي المراكب في بحرها هولا شديدا>>[3]، ولعل أخطار البحر في الشتاء هو ما دفع << البحريين الأندلسيين أن يشتوا في تنس اذا سافروا اليها من الأندلس>>[4] فقد تواترت الأخبار عن <<جماعات التجار الأندلسيين المستقرين ببونة ومرسى الدجاج وتنيس ووهران>>[5].

ولقد نشطت هذه الطرق البحرية ما بين الأندلس والمغرب الأوسط على امتداد عهود طويلة، وتعزّزت بشكل جلي في عصر دولة الرستميين بتاهرت نظرا لحسن العلاقات الدبلوماسية التي جمعت بني رستم ببني أمية في قرطبة.

(1) ابن سعيد، مصدر سابق، ص 142.

(2) جودت عبد الكريم يوسف، *مرجع سابق*، ص 155.

(3) ابن سعيد، نفسه، ص 142.

(4) جودت عبد الكريم يوسف، نفسه، ص 157.

(5) أبو محمد الرشاطي، وابن الخراط الاشبيلي، مصدر سابق، ص 59.

د ـ الطرق البحرية بين الأندلس وافريقية:

إن أهم خط بحري يربط الأندلس بإفريقية هو الذي ينطلق من موانئ الأندلس كميناء مدينة لقنت التي يقول عنها ابن سعيد المغربي << ولهذه المدينة ميناء المراكب، وهو مرسى مرسية، يقلِع الناس منه الى افريقية>>[1] فيصلون منه الى ميناء المهدية بتونس وكذلك ميناء طبرقة اللتين كانتا << ذات اقلاع ومحط للسفن الأندلسية>>[2].

لكن هذا الطريق لم يعرف حركة ونشاطا بارزين إلا في القرن الخامس الهجري، وذلك يرجع الى سوء العلاقات السياسية بين بنو أمية في الأندلس والأغالبة حلفاء العباسيين بتونس ثم الفاطميين أعداء أهل السنة جميعا، وإن وجدت علاقات تجارية بين الأندلس وافريقية خلال هذه العهود فإنها لم تكن علاقات صريحة وواضحة مثلما هو الشأن مع دولة بنو زيري فيما بعد، حيث كانت المراكب الأندلسية ترد الى عدد من موانئ الدولة الزيرية كطبرقة التي صارت<<عدوة لأهل الأندلس اليها ينتهون ومنها الى الأندلس يركبون>>[3]، والمهدية[4] التي يصفها ابن حوقل بكثرة التجارة وهو ما يثبته الادريسي بقوله: << والمهدية مدينة لم تزل ذات إقلاع وحط للسفن الحجازية القاصدة اليها من بلاد المشرق والمغرب والأندلس وبلاد الروم وغيرها من البلاد>>[5] ونفهم من هذا الكلام أيضا أن المهدية كانت نقطة لقاء التجار من مختلف أنحاء العالم، فليس بالمستبعد أن تكون المهدية بنفس الوقت نقطة انطلاق لمجموعة من الخطوط

(1) ابن سعيد المغربي، مصدر سابق، ج2، ص 274.

(2) أحمد الطاهري، مرجع سابق، ص 182.

(3) ابن حوقل، مصدر سابق، ص 76.

(4) نفسه، ص 73.

(5) الادريسي، مصدر سابق، ص 281.

البحرية نحو جهات متفرقة من المعمورة يساعدها في ذلك موقعها الجغرافي الجد استراتيجي الذي بفضله أصبحت تقوم بدور الوسيط التجاري خاصة بين التجارة الشرقية والأندلس لتتضاعف أهمية الخط البحري الذي يصل الأندلس بها.

هـ ـ الطرق البحرية بين الأندلس والمشرق الاسلامي:

كانت للأندلس علاقات تجارية برا وبحرا، والطريق البحري كان في عدة اتجاهات يربط هذه الجزيرة المعزولة في البحر بالكثير من أصقاع العالم القريبة منها والبعيدة عنها مثلما هو الأمر لبلدان المشرق الاسلامي، التي كانت من ضمن البلدان التي ارتبطت بالأندلس عبر خطوط ملاحية منذ عهد الخلافة الأموية، خاصة بلاد الشام ومصر وهذا انطلاقا من ميناء المرية التي اعتبرت<< البوابة الرئيسية لبلاد المغرب نحو المشرق>>[1] فقد كانت المرية <<تقصدها مراكب التجار من الاسكندرية والشام>>[2] محملة ببضائع تلك البلاد التي يتم تسويقها في أسواق الأندلس، كما تعود هذه المراكب محملة ببضائع الأندلس التي يحتار فيها أهل المشرق، فيذكر ابن حوقل أنه<< بالأندلس غير طراز يرد الى مصر متاعه وربما حمل منه شيء الى أقاصي خراسان وغيرها>>[3]ولم تكن المنتجات الصناعية كل ما يُصَدّر الى المشرق بل صدّرت الأندلس المنتجات الزراعية أيضا ، وبهذا الشأن يقول ابن الدلائي عن زيتون الشرف: << ويُركب به البحر الى المشرق>>[4] .كما يقول الادريسي أن تين مالقة كان << يُحمل الى بلاد مصر والشام والعراق وربما وصل الى الهند>>[5].

(1) أحمد الطاهري، مرجع سابق، ص 100.

(2) الحميري، مصدر سابق، ص 538.

(3) ابن حوقل، مصدر سابق، ص 105.

(4) ابن الدلائي، مصدر سابق، ص 95.

(5) الادريسي، مصدر سابق، ص 565.

و يذكر هو الآخر ميناء المرية في قوله : << وكانت المرية اليها تقصد مراكب الطريق من الاسكندرية والشام كله >> [1] ويعد الطريق الرابط بين ميناء المرية وميناء الاسكندرية أهم خط بحري باعتبار أن مصر كانت << تشكل واسطة العقد في المبادلات التجارية بين جناحي دار الاسلام>> [2]كذلك الخط الرابط ما بين المرية وبلاد الشام عبر عسقلان والذي تحول الى مرسى اشبيلة ـ عسقلان خلال عصر الطوائف، وهذه الخطوط كلها كانت تمتد عبر مياه البحر الأبيض المتوسط ما جعل المقدسي يقول أن : << أهل الأندلس أخبر الناس به وحدوده وخلجانه، لأنهم يسافرون فيه ، وفيه طرقهم الى مصر والشام>>[3].

ومن خلال تناولنا للطرق التجارية البحرية لا شك نلحظ الدور الكبير للموانئ في تفعيل هذه الخطوط والربط بين مختلف البلدان وتنشيط التجارة الخارجية التي تقتضي دراستها الإلمام بمعرفة أهم الموانئ ،خططها ومواقعها، وكذا وسائل النقل البحري وهي السفن والأساطيل التجارية وهذا ما سنخصّه بالحديث في العنصر الموالي.

(1) الادريسي، مصدر سابق، ص 562.

(2) أحمد الطاهري، مرجع سابق، ص 115.

(3) المقدسي، مصدر سابق، ص 15.

II . الموانئ :

- أولا - أهم الموانئ الأندلسية:

تتميز بلاد الأندلس بمميزات جغرافية هامة، ومن ضمن هذه المميزات امتلاكها لشريط ساحلي طويل، يشرف من الناحية الشرقية والجنوبية الشرقية على البحر المتوسط أما من الناحية الغربية والجنوبية الغربية على مياه المحيط الأطلسي، وهذا الموقع البحري قد ساعدها في امتلاك عدة موانئ ضمنت اتصالها بالعالم الخارجي وربطت بينها وبين باقي بلدان العالم التي يفصلها عنها البحر، وذلك عبر مجموعة من الخطوط البحرية التي نشطت بها الحركة التجارية على وجه الخصوص .

وقد كان لمسلمي الأندلس من أول الأمر عناية بالموانئ نظرا لأهمية الصلات مع العدوة الافريقية، وكانوا يسمون الميناء مرسى، ويلاحظ أن أهل المغرب والأندلس دون غيرهم من أهل الدول الإسلامية توسعوا في استعمال لفظ المرسى مقابلا للميناء، وخاصة فيما يتصل بما أنشأه المسلمون منها [1].

وينشأ الميناء بشكل تدريجي حيث يكون في أول الأمر مجرد مرسى للسفن ثم يتطور إلى أن يصبح مدينة، وكمثال عن هذا نذكر ميناء المرية الذي اتخذه العرب أول الأمر كرباط ثم بنيت بها المحارس، وباتجاه الناس نحوه للمرابطة والسكن تحول مع الوقت لمدينة كبيرة عامرة وإلى ميناء هو من أكبر وأشهر موانئ الأندلس[2].

(1) حسين مؤنس، فجر الأندلس (دراسة في تاريخ الأندلس من الفتح الاسلامي الى قيام الدولة الأموية 711م - 756 م)، الدار السعودية للنشر والتوزيع، جدة، ط2 ، 1985 ، ص 592 .

(2) الحميري، مصدر سابق، ص537 .

والموانئ بالأندلس نوعان: موانئ بحرية وأخرى نهرية كما قد انقسم دورها إلى شقّين الأول يتمثل في الجانب العسكري لحماية البلاد مما قد تتعرض له من غارات أجنبية مثل غارات النورمانديين والثاني يتمثل في الجانب الاقتصادي والمتمثل في تنشيط الحركة التجارية وتحصيل المكوس على السلع الواردة إلى الميناء والصادرة عنه لفائدة خزينة الدولة، يقول ابن حوقل: << وما يقبض من الأموال الوافرة على المراكب الواردة اليهم والصادرة عنهم >>[1] .

ومن أشهر الموانئ التي كان لها دور تجاري كبير في الأندلس نذكر:

- **ميناء المرية:** يعتبر ميناء المرية أكبر موانئ الأندلس البحرية وأكثرها أهمية نظرا لحجم المبادلات التجارية وكثافة المواصلات البحرية التي كانت تتم في هذا الميناء، فقد ربط ميناء المرية الأندلس بمختلف جهات العالم سواء تعلق الأمر ببلاد المسلمين أو ببلاد الكفار حيث كانت <<إليها تقصد مراكب الطريق من الاسكندرية والشام كله >>[2].

كما كانت << محط مراكب النصارى ومجتمع ديوانهم، ومنها كانت تسفر لسائر البلاد بضائعهم، ومنها كانوا يسوقون جميع البضائع التي تصلح لهم>>[3].

وقد اعتبر هذا الميناء بمثابة بوابة رئيسية تنفتح على بلاد المشرق، وزادت مكانة الميناء أكثر في القرن الرابع الهجري حتى صارت المرية من << أشهر مراسي الأندلس وأعمرها>>[4]، ومما زاد الميناء أهمية هو امتلاك المرية لخليج شديد الاتساع والعمق، يتسع لعدد كبير من السفن ويتميز هذا الخليج بهدوء مياهه وقلة أمواجه[5].

(1) ابن حوقل، مصدر سابق، ص104 .
(2) الإدريسي، مصدر سابق، ص562 .
(3) المقري، مصدر سابق، ج3 ، ص220 .
(4) الحميري، مصدر سابق، ص538 .
(5) السيد عبد العزيز سالم، تاريخ المرية... ، ص42 .

كما كانت بها دار صناعة تنتج << أعداد كبيرة من السفن، وفي هذه الدار استقرت العدة والآلات اللازمة للسفن وما يقوم به الأسطول>>[1]، وظل ميناء المرية محافظا على أهميته التجارية طول عصر الخلافة الأموية وكذلك في عهد الطوائف فرغم الفرقة الطائفية استطاع هذا الميناء أن يحافظ على مكانته الرائدة بين كل موانئ الأندلس ويعود الفضل في ذلك إلى ملوك المرية من بني صمادح الذين عملوا جاهدين لأجل <<الحفاظ على جزء من النشاط التجاري الموروث عن أيام الجماعة>>[2] أما في عصر المرابطين فقد ازدهر الميناء وبلغ أوج عظمته واستمر كذلك إلى غاية نهاية فترتهم حيث فقدت المرية مكانتها بسبب تعرضها لتخريب النصارى لكن الموحدين عملوا على استرجاعها من أيدي النصارى وعاد النشاط لدار صناعتها، << ويغلب الظن أنها استمرت في انتاج السفن والأجفان الحربية>>[3] على طول فترة الموحدين وإلى غاية عصر بني الأحمر ملوك غرناطة.

- **ميناء إشبيلية:** يعد ميناء إشبيلية من الموانئ النهرية الكبيرة، وذلك لأن إشبيلية تتصل بالبحر عبر النهر، وهو ميناء قديم ويعد محورا أساسيا في حركة الملاحة النهرية بالأندلس والملاحة البحرية نحو البلدان الخارجية، ارتفعت مكانة ميناء اشبيلية في عصر الخلافة الأموية إلى جانب ميناء المرية.

(1) السيد عبد العزيز سالم، تاريخ المرية الاسلامية، ص 42.

(2) الطاهري، مرجع سابق ، ص101 .

(3) السيد عبد العزيز سالم، نفسه، ص52 .

وزادت أهميته في عصر ملوك الطوائف بسبب اهتمام بنو عباد ملوك اشبيلية بهذا الميناء، ويعود الفضل لهذا الميناء فيما بلغته اشبيلية من مكانة تجارية هامة، بينما يعود فضل وجوده إلى ذلك النهر الكبير الذي لولاه ما تسنى لإشبيلية الاتصال بالبحر، يقول المقري عن ذلك << إنها مدينة عامرة على ضفة النهر الكبير المعروف بنهر قرطبة، وعليه جسر مربوط بالسفن >>[1] .

ومن هذا الميناء انطلقت مجموعة من الخطوط البحرية شرقا وغربا تربط اشبيلية بأبعد الأفاق لأجل التجارة، وقد كانت << جل تجارتهم بالزيت يتجهز به منها إلى أقصى المشارق والمغارب>>[2].

وكان بإمكان السفن الكبيرة أن تدخل إلى الميناء عن طريق النهر بفضل اتساعه وكذلك عملية المد والجزر التي تحدث فيه يقول أبو محمد الرشاطي عن هذا النهر <<ويدخل إليه المد والجزر وهو واد عظيم تدخل فيه السفن الكبار ومن اشبيلية إلى الحلق حيث مصب الوادي في البحر ستين ميلا>>[3]، بحيث يصعد <<المد فيه اثنين وسبعين ميلا ثم يحسر>>[4].

ولم يفقد الميناء مكانته التجارية على طول الفترة التي ندرسها، بل إن هذه المكانة قد تضاعفت في عهد الموحدين الذين كما سبق وأن ذكرنا قد اهتموا اهتماما بالغا بإشبيلية، ومن بين مظاهر اهتمامهم بالميناء هو تزويده بدار صناعة لمضاعفة عدد السفن[5].

(1) المقري، مصدر سابق، ج1 ، ص158 - 159 .

(2) الإدريسي، مصدر سابق، ص541 .

(3) أبو محمد الرشاطي وابن الخراط الإشبيلي، مصدر سابق، ص102 .

(4) المقري، نفسه، ج1 ، ص157 .

(5) ابن عذارى المراكشي، مصدر سابق، ج3 ، ص117 - 118 - 132.

- **ميناء مالقة:** يعد ميناء مالقة من ضمن أهم الموانئ الأندلسية التي ساهمت في تنشيط الحركة التجارية مع عدة بلدان مثل بلدان المشرق خاصة مصر وبلاد الشام والعراق والهند.

وهذا راجع إلى الموقع الجغرافي الهام الذي تحتله مالقة في جنوب الأندلس، وقربها من بر العدوة التي لا يفصلها عنها سوى بحر الزقاق، ونتيجة لهذا القرب تضاعفت الحركة التجارية سواء بالنسبة للصادرات أو الواردات التي تربط بلدان الغرب الإسلامي بالأندلس عن طريق ميناء مالقة، والذي زاد الميناء أهمية هو دار الصناعة التي أقيمت في[1] لإنشاء مختلف أنواع المراكب.

- **ميناء دانية:** تحتل مدينة دانية هي الأخرى موقعا استراتيجيا يشرف على البحر المتوسط، الأمر الذي زاد من أهمية مينائها الذي كان له دور كبير في تنشيط التجارة الخارجية وربط الأندلس بالكثير من البلدان الخارجية القريبة كبلدان الغرب الإسلامي أو البعيدة مثل بلدان المشرق وهذا عبر خطوط بحرية ما فتأت السفن التجارية تسلكها ذهابا وإيابا تحمل من الأندلس منتجاتها المحلية نحو مختلف الأقطار كما تحمل إليها منتجات البلدان الأخرى، وهو ما عبر عنه الحميري حين قال أن << السفن واردة عليها صادرة عنها>>[2]

وقد كان هذا الميناء أيضا مزودا بدار لصناعة السفن، وكانت تجلب أخشاب الصنوبر إلى دانية من مدينة قلصة إلى جزيرة شقر ومنها إلى حصن قلبيرة وتفرغ هناك على البحر، فتحمل إلى دانية لتصنع منها السفن الكبيرة والصغيرة.

(1) القلقشندي، مصدر سابق، ص219 .

(2) الحميري، مصدر سابق، ص231 .

- **ميناء الجزيرة الخضراء:** ترجع أهمية هذا الميناء إلى أهمية موقع الجزيرة الخضراء من ناحية قربها الكبير من بر العدوة فهي تقابل مدينة سبتة ما جعل ميناءها يشهد حركة تجارية كثيفة وقد عُدّ << من أحسن المراسي للجواز>>[1] فضلا عن دار صناعة السفن التي حظي بها هذا الميناء أيضا.

ويصف الحميري بقوله << ومرسى الجزيرة مشتى مأمون وهو أيسر المراسي للجواز، وأقربها من بر العدوة ويحاذيه مرسى مدينة سبتة>>[2]

وتعد هذه الموانئ التي ذكرناها أهم موانئ الأندلس التجارية ولا تزال هناك موانئ أخرى ساهمت في تنشيط التجارة بدرجات متفاوتة مثل ميناء طرطوشة الذي دعم التجارة الأندلسية بفضل ما ينشأ فيه من السفن كما عدت طرطوشة بفضل هذا الميناء<< باب من أبواب البحر ومرفأ من مرافئه>>[3]، وكذلك ميناء لقنت الذي كان يعمل على تزويد باقي الموانئ بالسفن التجارية المصنوعة فيه، وميناء غرناطة الذي عد من أول مراسي البلاد الإسلامية[4].

(1) أبو الفداء، مصدر سابق، ص173 .
(2) الحميري، مصدر سابق، ص223 - 224 .
(3) نفسه، ص391 .
(4) القلقشندي، مصدر سابق، ص216 .

ـ ثانيا ـ نظم التعامل في الموانئ :

لقد كانت الموانئ تخضع للرقابة من طرف الدولة مثلها مثل الأسواق بصفتها تدخل ضمن أملاكها، لذا كان ولاة الأمر يعينون عليها أمناء ومشرفين يقومون بتسييرها ومن ضمن الأمور التنظيمية أن المشرف على الميناء كان يحدد مثلا ساعة إغلاق الميناء وكذا الساعات التي يمكن للتجار الصعود لمراكبهم أو النزول منها إلى أرصفة الميناء، وكانت مكاتب المشرفين[1] على الموانئ ومساعديهم تتواجد في معظم الموانئ حتى يتسنى لهم مراقبة الصادرات والواردات وأخذ ما يفرضه بيت المال على التجار[2]، وإضافة إلى المشرفين يوجد بالميناء "المعدّون" و"النواتية" وهم الذين يقومون بنقل الناس في المراكب، وقد كانت الرقابة مفروضة على الأشخاص الداخلين إلى الميناء سواء تعلق الأمر بالموانئ النهرية التي داخل البلاد أو البحرية التي على سواحلها، وكان المحتسب بصفته الممثل الشرعي للحكومة يفرض قوانين تضمن الحماية لهذه الموانئ وللتجار والسلع من أي خطر قد يلحقها أو اعتداء خاصة من طرف الأشخاص المشتبه بهم.

لذا كان يأمر "المعدون" من عدم تجويز الأشخاص المشبوهين بممارسة السرقة، يقول ابن عبد الرؤوف: << يجب أن يحد للمعدين في المراسي أن لا يجوزوا أسود أو خادما بربريا، ممن يعرف أن لهم تعديا على أموال الناس>>[3]، وكذلك المعروفين بالفجور وممارسة الدعارة، << لا يجوز النواتية امرأة يظهر عليها سمة الفجور>>[4] .

(1) المشرفين أو المشرف: هو المسؤول عن التجار الأجانب في كل مدينة.

(2) عيسى بن الذيب، مرجع سابق، ص395 .

(3) ابن عبد الرؤوف، مصدر سابق، ص56 .

(4) نفسه، ص57 .

وكلها إجراءات أمنية تضمن سلامة الموانئ باعتبارها عين البلد ومكان اجتماع التجار من أهل البلاد ومن الأجانب وكذلك مخزن لتصريف السلع و البضائع وكانت السلع التي تدخل الميناء تباع في الميناء مباشرة عن طريق عقد صفقات بين التجار الجالبين للسلع وتجار الجملة لكن في معظم الأحيان كانت هذه السلع تنقل من الميناء إلى معظم الفنادق التي يأوي إليها التجار الغرباء وهنالك تعقد معظم صفقات البيع مع التجار من أهل البلد، وكان يطلق على الذين يقومون بنقل السلع من الميناء إلى الفنادق اسم الحمالين ولا يخلو ميناء من هؤلاء الحمالين.

أما التجار الذين يتاجرون مع البلدان الخارجية فكانوا ينقلون سلعهم إلى الموانئ ويسفّرونها عبر المراكب والسفن التي يقومون بكرائها من أصحابها حيث تتم عملية تأجير السفينة لتجار أو لعدد من التجار وهذا عن طريق التفاوض في الموانئ، وكان أرباب السفن يمتلكونها فرادى أو يشتركون في ملكيتها، وقد ذكرت كتب النوازل الكثير من المشاكل التي كانت تحدث بين أصحاب السفن والتجار أو بين بعضهم البعض سواء بسبب ما قد يعترض سفنهم من مخاطر البحر والتي منها خطر القرصنة وخطر العواصف أو حتى إصابة السفينة بعطب يؤدي إلى اتلاف السلعة بسبب تسرب الماء إلى بعض أجزائها، وقد تحدث النزاعات بين الشركاء في السفينة مثل ما ذكر في أحد النوازل عن مشكلة بين شريكين في مركب أراد أحدهما حمل سلعته به إلى بلاد المغرب بينما لم يكن لشريكه ما يحمله، فتساءل صاحبه إن كان<< يأخذ من شريكه نصف كراء ما يحمل أم لا>>[1]، وكانت تفرض على الموانئ المكوس[2] وكانت توفر للبلاد مدخولا وفيرا نتيجة رواج التجارة الخارجية بالأندلس وكثرة الصادرات والواردات.

(1) ابن رشد، مصدر سابق، ص836 .

(2) ابن حوقل، مصدر سابق، ص 104.

ـ ثالثا ـ دور البحرية الأندلسية في التجارة الخارجية:

إن طبيعة البلاد الأندلسية بصفتها شبه جزيرة تحيطها من معظم جهاتها البحر، يفرض ضرورة اهتمام أهلها أكثر من غيرهم بشؤون الملاحة، إذ << لا مناص لأهلها من توجيه العناية التامة بالبحر وما يتعلق به سواء تم ذلك بتنظيم رسمي أو شعبي>>[1] ، وهذا لسببين رئيسيين:

فالسبب الأول يتعلق بالجانب العسكري، المتمثل في حماية البلاد من الأعداء المحيطين بها سواء من جهة الشرق أو من جهة الغرب.

أما السبب الثاني، فيتعلق بالجانب الاقتصادي ، وذلك أن الأندلس بلد يحيطها البحر من الشرق والغرب والجنوب[2]فيعزلها عن باقي أقطار العالم خاصة منها الأقطار الإسلامية، ومن ثم لا يمكنها ربط الاتصال به إلا اذا استطاعت امتلاك قوة بحرية تسهّل إقامة علاقات تبادل تجاري وحضاري مع الدول الأخرى .

وكذلك لاكتساب مكانة اقتصادية تتمثل في القدرة على السيطرة على منافذ التجارة العالمية ونعني بها حوض البحر المتوسط، كما يتسنى لها حماية موانئ البلد التي تعتبر مركزا للتجارة الخارجية.

وقد مرت البحرية الأندلسية بعدة مراحل وكانت البداية مع المسلمين الأوائل الذين دخلوا الأندلس بحيث لم تذكر المصادر اهتمامهم بالبحرية واقتصر تعاملهم مع البحر بصناعة بعض السفن في دور الصناعات القديمة مثل التي بإشبيلية وطرطوشة وطركونة ودانية.

ثم اتخذ بعد ذلك عبد الرحمن الداخل << سنة 144هـ دورا لصناعة السفن في المرية وقرطاجنة إلى جانب المراكز السابقة>>[3].

(1) الخلف سالم بن عبد الله الخلف، نظم حكم الأمويين ورسومهم في الأندلس، ج1، المدينة المنورة، السعودية، ط1، 2003، ص 558.
(2) القلقشندي، مصدر سابق، ص 212.
(3) حسين يوسف دويدار، مرجع سابق، ص252 .

لكن هذه الدور لم تكن تنتج من السفن إلا قطعا قليلة لا ترقى لتكون أسطولا قويا بإمكانه الذود عن البلاد أو الإتجار نحو الأقطار البعيدة الأمر الذي جعل علاقاتها بالدول الخارجية محدودة لاتتعدى ما كانت تقيمه جماعات قليلة من البحريين من تعاملات تجارية فالأمويون تأخروا كثيرا في الاهتمام بالملاحة[1]، وهذا راجع إلى عدم اكتراث عبد الرحمن الداخل وخلفاؤه من بعده بتكوين قوة بحرية بالأندلس خاصة وأنهم اتبعوا سياسة << تقوم على التقرب إلى الدولة البيزنطية ومصادقتها لاشتراكها مع دولة بني أمية في الأندلس في العداء للدولة العباسية>>[1].

وعليه يمكن القول أن الأندلس خلال هذه الفترة لم تكن تمتلك لقوة بحرية، وهذا إلى غاية سنة 229هـ وهي السنة التي أغار فيها النورمان(المجوس) على بلاد الأندلس فكان ذلك تنبيها للأمراء الأمويين على ضرورة الاهتمام أكثر بإنشاء أسطول بحري قوي وقادر على حماية السواحل الأندلسية على امتداد طولها لاسيما الأمير الأموي الحكم بن عبد الرحمن، يذكر ابن الخطيب أنه في أيامه<< ظهرت المجوس المجلبة على المسلمين من بحر الجوف>>[2] فعمد هذا الأمير إلى إنشاء الأسطول لغزوهم منذ ذلك الوقت.

وفي عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط عرفت صناعة الأسطول تنظيما أكثر وزاد عدد السفن التي تنتجها دار الصناعة حتى أصبح لقرطبة أسطول ضخم يضم عددا كبيرا من السفن الحربية، وفي عهد عبد الرحمن الناصر الذي أعلن بالأندلس الخلافة الأموية تزايد الاهتمام أكثر بالأسطول كما تزايدت أيضا الأخطار المحدقة بالأندلس، ففضلا عن خطر النورمانديين من الجهة الغربية ظهر خطر آخر قادم من جهة الشرق ألا وهو خطر الفاطميين الذين ملكوا المغرب آنذاك وفكروا في فرض سيطرتهم على الأندلس وكان اعلان الناصر للخلافة ضمن أحد خلفيات صراعه مع الفاطميين كما ضاعف من قوة أسطوله الذي كان يرابط في كل من ميناء المرية وإشبيلية.

(1) الخلف سالم بن عبد الله الخلف، مرجع سابق، ص 560.

(2) السيد عبد العزيز سالم، تاريخ المرية الإسلامية، مرجع سابق، ص33 .

(3) ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص41 .

وبعد سقوط الخلافة الأموية اقتسم ملوك الطوائف هذا الأسطول الكبير المتواجد في هذين الميناءين، لكن صناعة السفن لم تتوقف واستمرت المرية في انتاج أعداد السفن خاصة ظل المعتصم بن صمادح الذي قام بإنشاء أسطول كبير ليحمي به ثغور مملكته.

وكذلك الأمر بالنسبة لبنو عباد الذين ملكوا إشبيلية ولكن الفرقة والتشرذم الذي عرفه هذا العصر كان يحول بين مجابهة هؤلاء الملوك المتفرقين لهجومات النصارى الذين حاولوا اغتنام هذه الفرقة واسترجاع المدن الأندلسية، وقد أخفق سعيهم بعد تدخل المرابطين القادمين من بلاد المغرب الأقصى الذين صدوا هجومات النصارى وملكوا الأندلس وأيقنوا مثل غيرهم مدى أهمية امتلاك قوة بحرية في هذه الجزيرة التي تحدق بها الأخطار، وفي الحقيقة أن البحرية المرابطية لم تظهر كقوة بارزة إلا بعد فتح جزيرة الأندلس << ذلك أنهم وضعوا أيديهم على موانئ البحر الأبيض سواء في المغرب أو الأندلس فكانت لهم في سبتة وقادس والمرية أساطيل دائمة>>[1] واستطاع الأسطول المرابطي الذي تزايد بشكل كبير على عهد علي بن يوسف أن يذب <<عن شواطئ البلاد الأندلسية والغربية فمهد السبل لحركة النقل البحري>>[2]، وكان انعكاس ذلك أن ازدهرت التجارة الخارجية للأندلس مع جميع الأقطار وخاصة منها بلاد المغرب، وظل الأسطول المرابطي يشكل قوة بحرية عظمى بالأندلس إلى غاية قيام الثورة الموحدية التي شتت شمله لتزامنها مع هجمات النصارى من المدن الإيطالية والدول الأوروبية المتحالفة مع نصارى اسبانيا، فانعدم الأمن بالطرق ونجح النصارى من<< ضرب مركز التجارة المرابطية الرئيسي(المرية) في سنة 542هـ>>[3].

(1) فتحي زغروت، الجيوش الإسلامية وحركة التغيير في دولتي المرابطين والموحدين، ص288 .

(2) عز الدين عمر موسى، مرجع سابق، ص267 .

(3) نفسه.

وتراجعت التجارة الخارجية الأندلسية في نهاية عهد المرابطين لأسباب أمنية وأخرى راجعة لما فرضته هذه الدولة من ضرائب وقبالات على مختلف الموانئ وانتهى مصير الأسطول المرابطي إلى أيدي الموحدين الذين أقاموا دولتهم على أنقاض الدولة المرابطية وقد فهموا جيدا أهمية امتلاك قوة بحرية لذا شرعوا في انشاء قطع أخرى وباستغلال دور الصناعات القديمة أو بإحداث دور جديدة في كل مكان من المغرب والأندلس، وكان للأسطول الموحدي نشاط ملموس يتمثل في حراسة الشواطئ الأندلسية[1] وقد بلغ أسطول الموحدين أوج قوته في عهد الخليفة أبي يعقوب المنصور<< وكانت اشبيلية والمرية ومالقة وجبل الفتح القواعد الرئيسية لهذا الأسطول >>[2].

ونستنتج من كل ما سبق أن ازدهار التجارة الخارجية كان متوقفا على حيوية الموانئ التجارية وكثرتها، وفي كثافة الخطوط البحرية الممتدة منها نحو مختلف البلدان بينما لم تكن الموانئ لتؤدي دورها الاقتصادي(التجاري) إلا في ظل بحرية أندلسية قوية بأسطول ضخم يمكنه توفير الحماية لهذه الموانئ وتأمين الخطوط البحرية، كما أن الرحلات التجارية لا تزداد كثافتها إلا بازدياد قطع الأسطول التجاري الخاص بنقل البضائع والتجار في ظل أسطول حربي يحمي هذه التجارة من مختلف الأخطار التي قد تواجهها وقد رأينا كمثال عن ذلك كيف تحطمت تجارة المرية وهي من أكبر المراكز التجارية عندما خربها النصارى ولم يستطع أسطول المرابطين الحيلولة دون ذلك.

لذلك فالتجارة الخارجية أحوج إلى عامل الأمن لاستمرار نشاطها والذي يتحقق إلا بوجود قوة بحرية.

(1) فتحي زغروت، مرجع سابق، ص292 .

(2) السيد عبد العزيز سالم، مرجع سابق، ص51 .

III. المبادلات التجارية الخارجية.

ـ أولا ـ العلاقات الدبلوماسية للأندلس وتأثيرها في التجارة الخارجية:

إنّ العلاقات التجارية التي ربطت الأندلس بمختلف دول العالم لم تكن ثابتة، بل خضعت دائما للمتغيرات السياسية، حيث تزداد وضوحا كلما تحسنت العلاقات الدبلوماسية بين الأندلس وهذه الدول بينما تتناقص أو تختفي كلما ساءت العلاقات الدبلوماسية، وفيما يلي سنتعرض لأهم الدول التي ارتبطت بها الأندلس دبلوماسيا وتجاريا خلال الفترة الممتدة من القرن الثاني للهجرة وحتى القرن السابع الهجري، والتي شهدت فيها الأندلس عدة كيانات سياسية حكمتها، ومن هذه الكيانات:

أ- عهد بني أمية:

لقد اتسمت علاقة الأندلس في عهد الأمويين مع ممالك اسبانيا النصرانية بالاضطراب نتيجة كثرة الحروب بينهما، ما انعكس سلبا على علاقاتهما التجارية التي كانت متذبذبة تنقطع أوقات الحرب وتظهر في فترات السلم والهدنة، فالحروب القائمة بينهما دائما كان يعقبها نشاط تجاري، وقد حاولت هذه الممالك استرجاع المدن الأندلسية من الأمويين إلا أن الدولة الأموية كانت في كل شوط تقطعه تزداد قوة، وقد بلغت أوج عظمتها في عهد عبد الرحمن الناصر الذي أعلن الخلافة الأموية بالأندلس، وقد أستطاع الناصر أن يرهب الممالك النصرانية بقوته، فما لبثت أن أذعنت لهذه القوة وطلبت ودها نظرا للتطور الذي شهدته الأندلس الأموية في المجالات الاقتصادية بالموازاة مع التخلف الذي كانت تعانيه الممالك النصرانية خاصة في المجال الزراعي والصناعي، ما دفعها الى اقامة علاقات تجارية مع الأندلس دامت خلال كل فترة السلام خاصة أواخر حكم الناصر وابنه الحكم المستنصر وهكذا توطّدت علاقات الأندلس مع دول وملوك الشمال الاسباني [1]فالأندلس وقتها كانت << قبلة الأنظار، ومحط السفراء من جميع أقطار العالم>>[2].

(1) وديع أبو زيدون، مرجع سابق، ص 238.

(2) رجب محمد عبد الحليم، مرجع سابق، ص 171.

ولم يختلف الأمر كثيرا بالنسبة للأندلس والفرنجة الذين ما فتئوا يحاربون الدولة الأموية الأندلسية، طمعا في زحزحتهم عن امارتهم، لكن حين بلغت الدولة الأموية في الأندلس ما بلغته من قوة وصار من المستحيل قهرها، أذعن الفرنجة للأمر الواقع ومالوا لعقد الصلح معها ليس حبا في الأمويين، وانما لأسباب أرجعها المؤرخ المحدث "جاكسون" الى << النواحي الاقتصادية والمالية لدولة الفرنجة >>[1] ،فالدول الافرنجية[2] عانت من تأخر اقتصادي كبير، ورغم أنهم كانوا من وقت لآخر يخترقون الهدنة بهجماتهم على الأندلس خاصة بعد وفاة عبد الرحمن الداخل، إلا أن أوقات السلام كانت تشهد حركة تجارية نشيطة سواء برا أو بحرا، ويعتبر اليهود بالأندلس أكثر من نشّط التجارة بين الأندلس والفرنجة.

<< وفي أواخر حكم الناصر بلغ من ازدهار بلاده وتألق أضواء قرطبة، أن وفد السفراء عليه من شتى بلاد أوربا>>[3] منهم ملك الصقالبة وملك الفرنجة وغيرهم.

(1) محمد محمد مرسي الشيخ، دولة الفرنجة وعلاقتها بالأمويين في الأندلس حتى أواخر القرن العاشر الميلادي، مؤسسة الثقافة الجامعية، الاسكندرية، د.ط، 1981م، ص 226.

(2) الفرنجة: أو الافرنج Franks هو الشعب الذي تزعمه الميروفنجيون والكارولنجيون فيما يعرف الآن بفرنسا فضلا عن شمال اسبانيا (قطالونيا) وشمال ايطاليا وأجزاء من ألمانيا وجهات أخرى من أوربا؛ نفسه.

(3) نفسه، ص 381.

بينما علاقة الأندلس في هذه الفترة ببلدان المغرب الاسلامي فقد تباينت لاعتبارات سياسية ومذهبية، فمثلا المغرب الأقصى كان يخضع لسلطة الأدارسة الذين كان لهم عداء قديم مع الأمويين تعود أصوله الى الصراع الذي كان بين علي ومعاوية، وعليه فالعلاقات بين الأندلس وجارتها الدولة الادريسية[1] بالمغرب كانت قائمة على العداء المتبادل، وحتى بعد تمزق الأدارسة الى شيع عقب وفاة ادريس الثاني << فان روح العداء للإمارة الأموية ظلت مصطبغة في نفوسهم، فلم يكفوا عن الكيد لها>>[2]، لكن هذا لا ينفي وجود علاقات تجارية بين العدوتين، بل انه<< كانت هناك صلات طيبة تجمع بين تجار الأندلس وتجار الأدارسة أنفسهم، اذ دأب الطرفان على التعامل داخل أسواق أصيلا رغم العداء السياسي بين فاس وقرطبة>>[3]، وبنفس الوقت عمدت كل دولة الى استعمال بعض التجار لغرض الجوسسة على الطرف الآخر.

بينما سجلماسة في الجنوب كانت خاضعة لبني مدرار الذين جمعتهم صلات طيبة مع الأمويين، والتي توجتها علاقات تجارية متينة، كما أدّت سجلماسة دور الوسيط التجاري بين الأندلس والقيروان، حيث كانت السلع الأندلسية التي تصل الى سجلماسة تصدر منها الى القيروان في جملة ما تصدره اليها من منتجات السودان أيضا.

(1) دولة الأدارسة : هي الدولة التي أسسها ادريس بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب في المغرب الأقصى سنة 172هـ / 788م، واستمرت في عقبه حتى سنة 374هـ / 984م.

(2) محمد بن ابراهيم أبا الخيل، الأندلس في الربع الأخير من القرن الثالث الهجري، مطبوعات الملك عبد العزيز العامة، الرياض، السعودية، ط1، 1995، ص 382.

(3) محمود اسماعيل، *الأدارسة 172هـ - 375هـ (حقائق جديدة)*، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط1، 1991، ص 157 - 158.

أما بالنسبة للمغرب الأوسط في هذه الفترة فقد كان من أكبر مناطق التبادل التجاري مع الأندلس، نظرا لطيب العلاقات السياسية التي جمعت الأمويين في الأندلس والدولة الرستمية[1] بتاهرت، وهذا برغم الاختلاف المذهبي بين الأمويين السنّيين والرستميين الخوارج الاباضيين، << ومنذ أوائل القرن الثالث الهجري تألقت بشكل ساطع علاقة أمراء الأندلس الأمويين بالدولة الرستمية فتبادلوا مع حكّامها السفارات>>[2]، وهذه العلاقات الدبلوماسية كانت << سببا لوجود علاقات اقتصادية بين البلدين>>[3]، وقد بدأت هذه العلاقات تحديدا في عهد الوهاب باعتبار أن أبناؤه هم << أول وفد رسمي يصل الى الأندلس>>[4]، كما حرص الأمويون من جهتهم على تقوية روابط الصداقة مع بني رستم في المغرب الأوسط لأنهم كانوا الوسيط الوحيد الذي تعتمد عليه الأندلس في الاتصال تجاريا بعدة بلدان مثل السودان والمشرق الاسلامي، وكانت الرحلات التجارية تنطلق عبر الخطوط البحرية الرابطة بين مينائي البلدين مثل اشبيلية و المرية ودانية ومالقة والجزيرة الخضراء والموانئ التي تقابلها من المغرب الأوسط خاصة منها ميناء وهران ومستغانم وأيضا ميناء تنس الذي كانت تستعمله الدولة الرستمية كثيرا، وهو ما نستنتجه من كلام ابن حوقل عن مدينة تنس بأنها << أكبر المدن التي يتعدّى اليها الأندلسيون بمراكبهم ويقصدونها بمتاجرهم وينهضون منها الى ما سواها>>[5].

(1) الدولة الرستمية : هي احدى دول الخوارج التي قامت بالمغرب الأوسط، وتنسب الى مؤسسها عبد الرحمن بن رستم، الذي بويع بالإمامة حوالي سنة 160 هـ / 776م، وقد شملت هذه الدولة جزءا كبيرا من المغرب الأوسط، لكنها انتهت على يد الفاطميين سنة 296هـ / 908م.

(2) محمد بن ابراهيم أبا الخيل، مرجع سابق، ص 386.

(3) جودت عبد الكريم يوسف، مرجع سابق، ص 151.

(4) نفسه.

(5) ابن حوقل، مصدر سابق، ص 78.

وفي سياق حديثنا عن المبادلات التجارية حري بنا أن نشير الى تلك التسهيلات التي منحها الرستميون للتجار الأندلسيين كونها << قد فتحت أمام هؤلاء التجار الطريق الى سائر بلدان العالم الاسلامي، وأنقذتهم بذلك من الحصار الاقتصادي الذي فرضه عليهم الأغالبة والأدارسة>>[1].

خاصة وأن الدولة الأموية في هذه الفترة كانت بأمس الحاجة الى أسواق جديدة لتصريف منتجاتها المتنوعة والكثيرة نظرا لازدهارها الاقتصادي، فاستندت على وساطة الرستميين لتصريف منتجاتها نحو بلاد السودان ومصر والمشرق الاسلامي، كما وصلتها منتجات هذه البلدان عبر تاهرت أيضا.

أما بالنسبة لعلاقاتها مع المغرب الأدنى ونعني به افريقية، التي خضعت في البداية للأغالبة[2] التابعيين للعباسيين أعداء الأمويين، فالدولة العباسية ظلت تنظر اليهم على أنهم مغتصبين للحكم في هذه البلاد، لذا فقد كان من الطبيعي جدا أن يتبع الأغالبة سياسة معادية لأموي الأندلس، وهذه العلاقات السياسية السيئة أثرت على علاقاتهما التجارية التي لم تكن واضحة وصريحة.

(1) محمد عيسى الحريري، الدولة الرستمية بالمغرب الاسلامي - حضارتها وعلاقاتها الخارجية بالمغرب والأندلس - (160 - 296هـ)، دار القلم للنشر والتوزيع، الكويت، ط3، 1987، ص 219.

(2) تأسست دولة الأغالبة على يد ابراهيم بن الأغلب التميمي الذي عيّنه الخليفة العباسي هارون الرشيد على ولاية افريقية سنة 184هـ / 800م، ثم اعترف به أميرا مستقلا تحت ظل الخلافة العباسية ، واستمر اعتراف هذه الدولة اسميا بالدولة العباسية الى غاية سقوطها على أيدي الفاطميين سنة 296هـ / 908م.

بمعنى أن الصلات التجارية بينهما كانت موجودة خاصة بعد سيطرت الأغالبة << على التجارة العالمية في نطاق البحر المتوسط شرقا وغربا وشمالا وجنوبا>>[1] بما حتّم عليها الدخول في معاملات تجارية مع دول المغرب والأندلس، لكن هذه المعاملات ظلت تحدث في اطار ضيق مقارنة بما كانت عليه في المغرب الأوسط، واقتصرت في أغلب الأحيان على تجارة الرقيق الذي يجلب من الأندلس الى افريقية، لكن أكثر المعاملات التجارية التي كانت تحدث بين الأندلس والمغرب هي التي توسطت فيها تاهرت، فالقيروان <<عن طريق تاهرت وسجلماسة حصلت على السلع السودانية والأندلسية>>[2] فيما وصلتها صادرات أخرى مباشرة من قرطبة.

ونستطيع هنا أن نلاحظ أن العداء السياسي وتعثر العلاقات الدبلوماسية، لم يشكلا حاجزا أمام مرور التجارة ولو بصفة محتشمة، وظلت على ماهي عليه أو زاد تقلصها في عهد الدولة الفاطمية التي أنهت حكم الأغالبة، وقد كانت بحكم الاختلاف المذهبي (سنة ـ شيعة) تعادي الدولة الأموية، فالصراع الفاطمي الأموي كان من السمات البارزة في تاريخ المغرب الاسلامي خلال القرن الرابع الهجري، العاشر الميلادي، إلا أن حقيقة هذا الصراع لم تقتصر على الجوانب السياسية والعسكرية والمذهبية انما تعدته الى رغبة الطرفين في << السيطرة على مسالك تجارة الذهب الرابطة جنوبا ـ شمالا >>[3] وفي السيطرة على << المسالك التجارية بالبحر المتوسط، لاكتساب قوة مالية وعسكرية>>[4].

(1) محمود اسماعيل، *الأغالبة 184 - 296هـ (سياستهم الخارجية)*، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، ط3، 2000، ص 130.

(2) سوادي عبد محمد، *الأحوال الاجتماعية والاقتصادية في بلاد المغرب الاسلامي من القرن الثاني الهجري*، كلية التربية، جامعة البصرة، ص 338.

(3) الحبيب الجنحاني، *دراسات مغربية في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للمغرب الاسلامي*، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط1، 1980، ص 73.

(4) نفسه، ص 74.

وحتى لا ننفي وجود علاقات تجارية بين الأندلس وافريقية في هذه الفترة، فإننا نؤكد على دور تاهرت التي واصلت لعب دور الوساطة في نقل البضائع الأندلسية الى القيروان والعكس، رغم أنها لم تعد دولة رستمية، ولكنها لم تتخلى عن نشاطها التجاري القديم.

وعليه، فان العلاقات التجارية بين الأندلس وافريقية لم تتضح بجلاء الا بعد رحيل الفاطميين الى مصر، وقيام الدولة الزيرية التي لم تعارض قيام نشاط تجاري بينها وبين الأندلس، وقد وردت اشارات في بعض المصادر عن كثافة هذا النشاط، يقول صاحب كتاب حدود العالم والذي كتبه سنة 372هـ : أن مدينة أطرابلس أحد مدن افريقية أنها كانت << كبيرة وعامرة تقع على ساحل بحر الروم، مكتظة بالسكان، ومحط رحال تجار بلاد الروم والأندلس>>[1]، كما ذكر أن المهدية كان فيها تجار كثيرون من شتى البلدان، ولا ريب أن تكون الأندلس أحدى هذه البلدان.

أما عن العلاقات التي كانت تربط الأندلس الأموية بالمشرق الاسلامي، فقد كان يعكّرها العداء السياسي بين الحكّام الأمويين والعباسيين، والذي لم ينتقل الى الرعايا بدليل قيام علاقات تجارية بين الأندلس وأهل المشرق، كانت تتم في الغالب بوساطة المغرب الأوسط، فقد ذكر ابن حوقل الذي يعد في حد ذاته تاجرا من الموصل زار الأندلس وذكر لنا أنه من ضمن صادراتها ما كان يصل الى مصر وأقاصي خراسان ومكة واليمن وغيرها[2]، كما كان أهل المشرق يتاجرون مع الأندلس ويقصدون الكثير من مدنها مثل<< لاردة، سرقص، شنترية، لبلة، غافق>>[3] وغيرها من المدن الأندلسية، وقد وطّد عبد الرحمن الناصر العلاقة مع مصر الاخشيدية و<<عمل على ارسال الفقهاء المالكية من الأندلس الى مصر لغرض محاربة المذهب الشيعي>>[4].

(1) مجهول، حدود العالم، مصدر سابق، ص 133.

(2) ابن حوقل، مصدر سابق، ص ص 105 - 109.

(3) مجهول، نفسه، ص 135.

(4) وديع أبو زيدون، مرجع سابق، ص 236.

ب ـ عهد دول الطوائف:

بعد سقوط الدولة الأموية اقتسم ملوك الطوائف أجزاءها، وكانت سياسة بعض هؤلاء الملوك قائمة على مسالمة بعض من جاورها من ملوك اسبانيا، وقد ورد في نزهة الأنظار أن ابن حزم بن جهور الذي حكم قرطبة << اتبع أسلوب السياسة ومسالمة من يجاوره من الملوك>>[1]، ورغم أن كل ملوك الأندلس كانوا ملزمين بدفع الجزية لملوك اسبانيا النصرانية فان الصلات التجارية بينهما لم تنقطع، فالسفارات الدبلوماسية التي كانت تأخذ الجزية من ملوك الطوائف صاحبها<< نشاط تجاري واسع، فقد كانت العطايا والهبات من الملابس الفاخرة والأدوات والحلى والتحف الفنية التي كان يقدمها الخليفة لأفراد تلك السفارات، لابد أنها كانت تجذبهم الى شراء ما يلزمهم قبل الرحيل الى بلادهم وكانت تجعل نساء القصور في ليون وقشتالة يحثّون تجار اليهود على جلب المزيد منها من أسواق قرطبة وغيرها من المدن الأندلسية>>[2]، أما الرحلات التجارية بين الأندلس وهذه الممالك كانت في الغالب تنطلق من ميناء ألمرية وكذلك ميورقة القريبة من السواحل النصرانية وأيضا سرقسطة التي تعد الأكثر قربا ومجاورة لممالك اسبانيا، بل انها أدت دور الوسيط في نقل تجارة المشرق الى هذه الممالك، وتعتبر كل من برشلونة واشبونة وشنت ياقب أهم المراكز التجارية في اسبانيا الشمالية، فيما كان اليهود أكثر التجار الذين ينشطون بين هذه الممالك وبين المدن الأندلسية، كما احتلت تجارة الرقيق المركز الأول من بين كل التجارات الأخرى التي تمت بين هذين القطرين.

(1) محمود مقديش، *نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار*، المجلد الأول، تحقيق علي الزواوي، ومحمود محفوظ، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1988، ص 426.

(2) رجب محمد عبد الحليم، مرجع سابق، ص 473.

اضافة الى الممالك النصرانية باسبانيا ارتبطت الأندلس تجاريا بمناطق أوربية أخرى، مثل صقلية وايطاليا وبعض مدن اوربا الغربية، فهناك دلائل تشير الى وصول التجار الأندلسيين الى البلاد الاسكندينافية (النورمان) وعبر بلاد الفرنجة، وكذلك الى بلاد الصقالبة والبلغار لاسيما بعد القرن الرابع الهجري[1].

كما استمرت في عصر الطوائف تلك العلاقات التجارية التي كانت تربط الأندلس ببلدان المغرب الاسلامي كلها[2] وكذلك نحو الصحراء وبلاد السودان وصولا الى غانة[3]، أما فيما يخص المشرق الاسلامي فقد جمعته بالأندلس صلات تجارية متبادلة.

ج - عهد المرابطين:

إن امتداد رقعة الدولة المرابطية في السودان والمغرب والأندلس، ساعد على ازدهار التجارة الخارجية للأندلس في عهدها، كما أدى هذا الامتداد بالإضافة الى قوة أسطولها الى فتح منافذ كثيرة وطرق مختلفة أمام الرحلات التجارية نحو عدة جهات، فنشطت حركة الصادرات والواردات خاصة بين الأندلس وبلدان المغرب الاسلامي، كما كان لسيطرتها على حوض البحر المتوسط أثر كبير في ازدهار التجارة مع دول الشرق.

فمنذ أن أصبحت الدولة المرابطية دولة عظمى سعت الى توطيد علاقاتها التجارية مع مختلف البلدان، فتقربت الى بعض المدن الأوربية كصقلية ومدن ايطاليا خاصة منها بيزا وجنوة، ومن بين مظاهر تشجيع المرابطين لعلاقاتها معها تلك التسهيلات التي منحتها لتجار هذه البلدان فيما بين عامي 531 - 532هـ حتى أنهم لم يأخذوا منهم غير العشر[4].

(1) أحمد الطاهري، مرجع سابق، ص ص 122 - 125.
(2) محمود مقديش، مصدر سابق، ص 441.
(3) أحمد الطاهري، نفسه، ص 122.
(4) عز الدين عمر موسى، مرجع سابق، ص 269.

فيما ساءت العلاقات بين الأندلس والممالك الأوربية وانقطعت الصلات بينهما خاصة في تلك السنوات التي توالت فيها الحروب الطاحنة بينهما، لكن ذلك لم يمنع أبدا من قيام بعض الصلات التجارية التي تظهر عقب الحروب وفي أوقات الهدنة[1].

أما أهم منطقة شهدت أكبر قدر من المبادلات التجارية مع الأندلس، هي بلاد المغرب التي أصبحت دارا للحكم المرابطي والأندلس مجرد ولاية من ولاياتها، كما أن الأسطول المرابطي << قام بدور كبير في تأمين الموانئ المغربية وحماية الطرق البحرية في البحر المتوسط، فضلا عن عمليات الجهاد التي قام بها في مياه الأندلس الأمر الذي سهل عملية النقل بين المغرب والأندلس>>[2] فنشطت الحركة التجارية بينهما، كما أن بلاد المغرب كانت بمثابة الوسيط في انتقال التجارة من والى الأندلس مع مناطق أخرى خاصة منها السودان وغانة وجميع بلدان المغرب حتى افريقية[3] ، واضافة الى الارتباط السياسي الذي بين الأندلس والمغرب كان هناك عامل آخر لتوطيد علاقتهما، وهو الامتداد الطبيعي للقطرين اذ لا يفصل بينهما سوى مضيق جبل طارق، وعبر أراضي المغرب اتصلت الأندلس ببلدان المشرق الاسلامي مثل مصر وبلاد الشام والعراق وبلاد الترك[4].

(1) عز الدين عمر موسى، مرجع سابق، ص 268.

(2) جمال أحمد طه، مدينة فاس في عصري المرابطين والموحدين 448هـ - 1056م/ 668هـ - 1269م(دراسة سياسية وحضارية)، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ، الاسكندرية، د.ط، 2001، ص 237.

(3) ابن الدلائي، مصدر سابق، ص 96.

(4) نفسه، ص 552.

د ـ عهد الموحدين:

لقد طبع علاقات الاندلس في عهد الموحدين مع الممالك الاسبانية النصرانية طابع العداء الشديد، فالنصارى واصلوا حرب الموحدين سعيا للاستيلاء على الأندلس، كما واصل الموحدون الجهاد ضدهم للذود عن أراضي المسلمين وابقائها تحت جناح حكمهم، وكتعبير عن ضراوة هذا العداء عمد كل طرف الى اصدار قرارات تقضي بالقطيعة ومنع الرعايا من التعامل التجاري، بل لم يكتف النصارى بإصدار قرارات المقاطعة ومنع التعامل وعمدوا الى اعتراض قوافل الموحدين وقتلهم ونهبهم حتى في أوقات السلم ومارس النصارى أعمال القرصنة وتكررت اعتداءاتهم على السفن الموحدية، كما كانت<< البابوية تحذر النصارى من التعامل تجاريا مع المسلمين>>[1]، لكن وبرغم كل هذه التحريمات قد حدثت في الخفاء بعض النشاطات التجارية الفردية، وعن ذلك تقول نجاة باشا:<< إن هذه التحجيرات وهذه التحريمات بقيت بدون كبير مفعول، ولم تكن لتحدّ من النشاط التجاري، بل كنا نلاحظ اتجاها تصاعديا نشطت به التجارة غير الرسمية في مادة الحبوب والزيت والمنتوجات الصالحة للاستهلاك العادي، وكانت السلطة الدينية أو السياسية تغض الطرف عن ذلك، بل هي سمحت بتنظيم النشاط التجاري وتدعيمه بين شواطئ اسبانيا المسيحية وضفاف أوربا الجنوبية من جهة وبلاد المغرب الاسلامي من جهة أخرى>>[2]، كما عمل الموحدون أنفسهم شيئا فشيئا على توثيق علاقاتهم التجارية مع أهل بعض الدول النصرانية مثل أهل قطالونيا من مملكة أرغونة وهذا بعد أن بسطوا سيطرتهم على افريقيا.

وقد تعامل الموحدون أكثر مع المدن الايطالية مانحين اياهم امتيازات خاصة فسمحوا لسفن جنوة بالإتّجار من كافة موانئ الدولة، وخفضت عن تجارها العشور[3].

(1) هشام أبو رميلة، علاقات الموحدين بالممالك النصرانية والدول الاسلامية في الأندلس، دار الفرقان، عمان، الأردن، ط1، 1984، ص 392.

(2) نفسه، ص 398.

(3) عصمت عبد اللطيف دندش، مرجع سابق، ص 217.

أما التجارة مع البلدان الاسلامية فيمكن القول أنه لم يحدث تغيير فيها عما كانت عليه في العصر المرابطي، إلاّ التجارة مع السودان التي تضررت وهذا لأن صحراء صنهاجة لم تكن خالصة للموحدين، فقد اعتصم بها الثائرون الصنهاجيون مع بني غانية أصحاب ميورقة فكثرت حوادث قطع الطرق على التجار بين سجلماسة وغانة، كما ضيّق تجار غانة على التجار المغاربة في أسواقهم بدعم من سلطات غانة .

كما أن علاقة الموحدين مع المشرق الاسلامي لم تكن بأحسن حالا، فالفاطميون بمصر ضيّقوا هم أيضا على التجار المغاربة وأخذوا منهم العشور، كما أن الأيوبيين من بعد لم يكونوا على وفاق مع الموحدين، وهذا لعدم اعترافهم بالخلافة الموحدية من الأساس، الأمر الذي حزّ في نفوس الموحدين الذين استاءوا بدورهم من قيام الدولة الأيوبية باعتبار أنها تقضي على آمالهم العريضة في توحيد العالم الاسلامي تحت لوائهم، ورغم أنه كانت هناك صلة دبلوماسية بين الطرفين تمثلت في السفارة التي أوفدها صلاح الدين الأيوبي لأمير الموحدين طالبا مساعدته في حربه ضد الصليبيين بعد أن ارفقها بالهدايا[1] فأكرم المنصور تلك السفارة ولو انه لم يلبي طلب الايوبي للاعتبارات التي ذكرناها، لذا فلم يكن لهذه العلاقة أدنى أثر في التخفيف من عدم الوفاق الذي بينهما، كما لم يؤثر عدم وفاقهما من جهته على العلاقات الوطيدة التي جمعت الرعايا من الطرفين، وعليه فان الرحلات لم تنقطع بين القطرين سواء منها الرحلة<< في سبيل الحج أو التجارة أو العلم >>[2].

(1) علي محمد محمد الصلابي، صفحات من التاريخ الاسلامي (دولة الموحدين)، دار البيارق للنشر، عمان، د.ط، د.ت، ص 188.

(2) عز الدين عمر احمد موسى، دراسات في تاريخ المغرب الاسلامي، دار الشروق، بيروت، ط1، 1983، ص 43.

ثانيا ـ الصادرات:

لقد سبق وذكرنا في الفصل الأول الكثير من المقومات الاقتصادية التي كانت بالأندلس سواء منها تلك الثروات والمنتجات الزراعية أو الصناعية أو حتى تلك الخامات من المعادن أو الجواهر، كما ذكرنا أن الأندلس عاشت معظم فترات تاريخها الممتد من القرن 2هـ وحتى القرن 7هـ ظروفا سياسية واقتصادية وصلت في بعض الأحيان إلى قمة الازدهار وإن تخللتها من حين إلى آخر بعض الانتكاسات، وعليه فقد توفرت المنتجات الزراعية والصناعية بكثرة وكان هناك فائض منها وجهته الدولة للتصدير نحو الأسواق الخارجية ونعني بها البلدان التي كانت تربطها بها مبادلات تجارية، وبنفس الوقت استوردت منها موادا أخرى تنعدم أو تقل في الأندلس، وكانت أكثر عمليات الاستيراد تتم في الوقت الذي يشهد اضطرابا سياسيا أو تعثرا في الانتاج، وفيما يلي سنستعرض أهم أنواع السلع التي كانت تصدرها الأندلس نحو البلدان الأخرى وأهم الواردات، ونبدأ بأهم الصادرات:

- **المنتجات الزراعية:** لقد صدرت الأندلس الكثير من المحاصيل الزراعية وعلى رأسها الزيت الذي كان يجلب من جبل الشرف الذي بإشبيلية وهذا الزيت يصدر إلى معظم مناطق الأندلس << وبلاد الروم والمغرب وإفريقية ومصر والاسكندرية وربما بلغ منها اليمن قليل>>[1] نظرا لما يتمتع به من جودة .

وكذلك القطن الذي كان <<يجتاز به المجهزون من التجار إلى إفريقية وما هنالك>>[2] وإلى سجلماسة وما والاها[3] .

(1) الزهري، مصدر سابق، ص89 .
(2) ابن الدلائي، مصدر سابق، ص96 .
(3) الحميري، مصدر سابق، ص59 .

ومن الفواكه صدرت الأندلس التين الذي كان << يحمل إلى بلاد مصر والشام والعراق وربما وصل إلى الهند>>[1] بل حتى أنه قد يصل إلى الصين[2] .

وكذلك فاكهة اللوز الذي كان يصدر مع فاكهة التين إلى بلاد المشرق[3] وصدرت أيضا الزعفران إلى جميع الأقطار التي كانت تتعامل معها[4] ومثله الحرير[5] والكتان[6] والعصفر[7] والأصباغ وهي حشائش تستخدم لصبغ الثياب[8] .

- **المعادن:** ومن المعادن التي كانت تصدرها الأندلس إلى مختلف البلدان نذكر: الزئبق الذي كانت تصدره قرطبة نحو جميع الأقطار[9] سواء منها الاسلامية أو غير الاسلامية وكذلك العنبر[10] والطين المأكول الموجود بطليطلة بالضبط في قرية مغام والذي << يتجهز به منها إلى أرض مصر وجميع بلاد الشام والعراقات وبلاد الترك وهو نهاية في لذاذة الأكل وفي نظافة غسل الشعر>>[11]، ومن الحجارة نذكر الحصى الملون والرخام الذي يصدران من المرية نحو بلاد المغرب خاصة مراكش[12] .

(1) الادريسي، مصدر سابق، ص 565.
(2) المقري، مصدر سابق، ج1، ص 151.
(3) نفسه، ص151 - 152 .
(4) القلقشندي، مصدر سابق، ص229 .
(5) الحميري، مصدر سابق، ص45 .
(6) نفسه، ص46 .
(7) ابن الدلائي، مصدر سابق، ص96 .
(8) ابن حوقل، مصدر سابق، ص109 .
(9) الزهري، مصدر سابق، ص89 .
(10) القزويني، مصدر سابق، ص371 .
(11) الادريسي، نفسه، ص552 .
(12) المقري، نفسه، ج3، ص220 .

- **المنتجات الصناعية:**

لقد كانت هناك صناعات كثيرة بالأندلس وإنتاج وفير، وجه بعضه للتصدير نحو مختلف البلدان وأهم هذه المنتجات الصناعية نخص بالذكر المصنوعات النسيجية كالملابس المتنوعة يقول بن حوقل: << وبالأندلس غير طرز يرد إلى مصر متاعه وربما يحمل منه شيء إلى أقاصي خراسان وغيرها>>[1] والثياب المصنوعة من الكتان التي تصدر إلى الكثير من البلدان بما فيها مصر ومكة واليمن[2] وصنائع الوشي والديباج المميزة التي انفردت بصناعتها الأندلس فلا نظير لها بأي بلد من المشرق أو بلاد النصارى[3] وصنائع أخرى مثل البسط التنتلية التي تصدرها مرسية إلى بلاد المشرق[4].

وإلى جانب المصنوعات النسيجية كانت هناك صناعات أخرى مثل الصنائع الخشبية مثل القصاع والمخابئ والأطباق وغيرها التي تصدر لبلاد المغرب[5] وآلات الموسيقى المتنوعة التي تصدرها إشبيلية إلى بلاد المغرب[6].

وتوجد أيضا الصنائع المعدنية كالأواني المنزلية(آلات العروس) التي تصدر من مرسية إلى المغرب الأوسط، والأسلحة التي كانت تصدر إلى الممالك النصرانية مثل السيوف الإشبيلية.

كما صدرت الأندلس الورق المصنوع بشاطبة نحو جميع البلدان المغربية والمشرقية[7] كذلك كانت تخرج أنواع من الأمتعة من شاطبة نحو غانة وبلاد السودان وكل المغرب[8].

---

(1) ابن حوقل، مصدر سابق، ص105 .
(2) نفسه، ص109.
(3) ابن سعيد المغربي، مصدر سابق، ص194 .
(4) المقري، مصدر سابق،ج3، ص221 .
(5) الادريسي، مصدر سابق، ص569 .
(6) المقري، نفسه، ج3، ص214 .
(7) الادريسي، نفسه، ص556 .
(8) ابن الدلائي، مصدر سابق، ص19 .

بينما يحتل الرقيق الدرجة الأولى في قائمة الصادرات الأندلسية، وكان هؤلاء الرقيق يجلبون من بلاد إفرنجه وجليقية، وخاصة العبيد الصقالبة يقول ابن حوقل<< وجميع من على وجه الأرض من الصقالبة الخصيان فمن جلب الأندلس>>[1].

ـ ثالثا ـ الواردات:

إن أكثر ما كانت تستورده الأندلس يتمثل في ضروريات الحياة مثل الطعام وليس معنى ذلك أن الأندلس لم تكن بلدا فلاحيا وإنما هذا الاستيراد كان بصفة مؤقتة، يزداد في الفترات الصعبة التي تمر بها الأندلس مثل أوقات الحروب والفتن والكوارث الطبيعية كالجراد والجفاف وغير ذلك أو بصفة محدودة نظرا لاعتماد زراعتها في الغالب على الأمطار << فالمرية كانت ترتفق بما يجلب إليها من الحنطة من بر العدوة>>[2] ومن أهم وارداتها نذكر:

الحبوب، التي كانت تصلها من بلاد المغرب بصفة خاصة[3] والتمور من فاس[4]، واستوردت من افريقية << الزيت والفستق والزعفران واللوز والبرقوق والمزاود والأنطاع والقرب>>[5]، كذلك استوردت ثياب الصوف والأكسية من برقة [6] ومن صقلية ثياب مقصورة جيدة الصنع[7] والرخام من تونس وقرطاجنة وافريقية[8].

(1) ابن حوقل، مصدر سابق، ص106 .
(2) ابن فضل الله العمري، مصدر سابق، ص233 .
(3) الادريسي، مصدر سابق، ص252 .
(4) المقدسي، مصدر سابق، ص239 .
(5) نفسه.
(6) نفسه.
(7) نفسه.
(8) ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص38 .

ويشير صاحب كتاب الاستبصار الى أن الأندلس استوردت الأغنام من المغرب الأوسط بقوله أنّ << منها تجلب الأغنام الى بلاد المغرب وبلاد الأندلس لرخصها وطيب لحومها>>[1]، كما ذكر أيضا أن الطعام كان يحمل من مدينة تنس << الى الأندلس وذلك لكثرة الزرع عندهم>>[2].

(1) كاتب مراكشي، الاستبصار في عجائب الأمصار (وصف مكة والمدينة ومصر، وبلاد المغرب)، نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، د.ط، د. ت، ص 179.

(2) نفسه، ص 133.

الخاتمة

ونصل في خاتمة هذا البحث الى مجموعة حقائق تعتبر اجابات عن الاشكالية التي سبق لنا طرحها في بداية بحثنا، والتي نلخصها فيما يلي:

لقد كانت لمسلمي الأندلس مساهمة رائدة في التجارة العالمية خلال العصر الوسيط، وتحديدا من القرن الثاني الى السابع الهجري، القرن الثامن الى الثالث عشر ميلادي، فالظروف التي كانت تعيشها الأندلس قبل الفتح الاسلامي هي ظروف سيئة بحكم تخلفها في مختلف الميادين العلمية والاجتماعية والاقتصادية، وبعد دخول المسلمين شرعوا من الوهلة الأولى في تحسين هذه الظروف شيئا فشيئا، إلا أن الاضطرابات التي عرفتها السنوات الأخيرة من عصر الولاة حالت دون أن تظهر ملامح بارزة للتطور الاقتصادي في الأندلس، ولكن هذا لا ينفي أهمية تلك الاصلاحات التي ستأتي بثمارها خلال الفترات اللاحقة، ونعني بها فترة الدولة الأموية، وهي الفترة التي شهدت فيها الأندلس قفزة نوعية في المجال الاقتصادي فضلا عن المجالات الأخرى، ومنذ اهتمام بنو أمية بالأسطول والموانئ زادت علاقاتهم التجارية مع العالم الخارجي، خاصة مع البلدان التي تربطهم بها علاقات دبلوماسية، وقد كانت مثل هذه المبادلات التجارية قبل الفتح الاسلامي جد محدودة، تكاد تقتصر على نشاط ضئيل ومحدود لأفراد من البحريين الأندلسيين، لذا فان القرن الرابع الهجري يمثل أهم فترة عرف فيها النشاط التجاري ذروته، موازاة مع ما بلغته الأندلس من رقي في كامل المجالات الأخرى بذلك العهد الذي تحولت فيه البلاد من مجرد امارة الى دار خلافة لبني أمية، ويعتبر الخليفة عبد الرحمن الناصر من أعظم الشخصيات العالمية بتلك الفترة المزدهرة.

فقد انتعشت التجارة الأندلسية من خلال الموانئ الشرقية والجنوبية مثل مالقة، المرية، دانية، اشبيلية وبلنسية، وامتدت خطوط التجارة برًا وبحرًا نحو مختلف أصقاع العالم الاسلامي وغير الاسلامي، خاصة وأن القوة العسكرية والاقتصادية لدولة الأندلس الأموية جعلت الكثير من الدول المعاصرة لها تهابها وتسعى لربط أواصر المودة معها، خاصة تلك الدول التي كانت ما تزال تعاني عجزا اقتصاديا، وتأخرا اجتماعيا وثقافيا مثل دول أو ممالك اسبانيا الشمالية مع باقي الممالك الأوروبية، لكن ما استنتجناه من خلال

البحث هو أن مثل هذه القوة التي استقطبت للأندلس علاقات جديدة، فانها من جهة أخرى قد أجّجت خلافات حادّة، تتمثل في الصراع الأموي ـ الفاطمي، الذي وإن كان في ظاهره يبدو صراعا مذهبيا بين سنّة وشيعة إلا أنه في حقيقة الأمر لا يعدو أن يكون صراعا اقتصاديا يسعى فيه كل طرف للسيطرة على منافذ التجارة العالمية ونعني بها البحر الشامي، وبالمصطلح الحديث حوض البحر الأبيض المتوسط.

وبما أن معظم المدن الأندلسية شهدت تقدما حضاريا مس جميع الميادين، فقد نمت تجارتها الداخلية في معظم الفترات التي نتناولها بالدراسة، حيث كانت الأسواق مليئة بالسلع المحلية والغير محلية، مزدحمة بالناس، وبالتجار الوافدين عليها من داخل البلاد ومن خارجها أيضا، وكذلك كانت الموانئ خاصة الشرقية منها تعج بالحركة ما بين صادر وارد، وتضيق بالسلع المحليّة المهيأة للشحن والتصدير، أوالسلع الواردة من الخارج الموجهة للمخازن بقصد بيعها جملة وتصريفها في الأسواق الأندلسية.

وفي سياق حديثنا عن النتائج المستخلصة من هذا البحث يمكننا القول أن الظروف السياسية كانت تؤثر مباشرة على التجارة، وذلك أن النشاط التجاري يقل وتتقلص مساحته في ظل التوترات والاضطرابات السياسية التي تعيشها البلاد سواء في الأندلس أو في أي بلد آخر خاصة اذا افتقِد الأمن والاستقرار الداخلي، أما بالنسبة للتجارة الدولية فان نشاطها يتضاءل بين الدول التي تربطها علاقات عدائية، ويتزايد بين الدول الصديقة، لكن هذا لايعني أن سوء الأوضاع السياسية بإمكانه القضاء على النشاط التجاري نهائيا سواء التجارة الداخلية أو الخارجية، فقد نشطت التجارة بالأندلس في أحلك الظروف السياسية، ونقصد بذلك العصر الذي تلا سقوط الدولة الأموية، وبرغم اقتسام الأندلس الى امارات متناحرة وهي دويلات الطوائف، وكذا برغم هجومات النصارى وتحرشاتهم المتكررة واضطرار ملوك الطوائف لتأدية الجزية لهم مقابل احتفاظهم بعروشهم، نجد أن النشاط التجاري كان حاضرا، وقد كان يتم حتى بين الأندلس وهذه الممالك النصرانية نفسها، مما يعني أن فترة ملوك الطوائف قد شهدت نشاطا تجاريا، بل ان هؤلاء الملوك وبرغم اخفاقهم في تحقيق أي مجد سياسي يذكر الا

أنهم قدموا رصيدا حضاريا ليس من الجانب الاقتصادي فحسب، وهو ما تشهد عليه مدينتا المرية بنو صمادح واشبيلية بنو عباد، وقد انتهى عصر الطوائف بقدوم المرابطين الذين ما لبثوا أن استولوا على الأندلس فصارت ولاية تابعة لدولة المرابطين في المغرب الأقصى، ومثلهم مثل أي دولة تسعى لتوطيد حكمها، قد اهتم المرابطون بالجوانب الحضارية في الأندلس لاسيما منها الجانب التجاري، حيث اعتنوا بالتجارة الى جانب الزراعة والصناعة و مهدوا الطرق وفتحوا للأندلس أسواقا جديدة ببلاد المغرب الأقصى وصولا الى السودان، ولو أنهم من جهة أخرى قد عرقلوا التجارة مع الممالك في الشمال نتيجة كثرة حروبهم معها، فلم يكن نشاط التجارة يظهر الا في فترات الهدنة، كما أنهم حسّنوا علاقات الأندلس مع المشرق، وبخاصة مع دار الخلافة العباسية التي كانوا يعترفون بسلطتها الروحية عليهم، لكن هذا كله لا ينفي ما أصاب التجارة من تعثر وركود بنهاية دولتهم نتيجة ما أصاب البلاد من تخريب ودمار جرّاء هجومات النصارى من جهة، والثورات الداخلية ضد المرابطين من جهة أخرى، ودخول الموحدين وما قاموا به من حروب وتدمير لأجل استئصال دولة المرابطين، فكان من نتائج ذلك انعدام الأمن وخلاء الأسواق واختفاء السلع وازدياد الغلاء، ولم تعرف الأندلس مثل هذه الحالة عبر تاريخها الا اذا استثنينا بعض الظروف الطارئة، مثل الكوارث الطبيعية التي أصابتها مثل موجة الجفاف والقحط، أو غارات الجراد.

لكن لم تلبث الدولة الموحدية أن تحكمت بزمام الأمور، وفرضت سلطتها على كامل البلاد، مستردة من أيدي النصارى بعض المدن الأندلسية التي استلبوها كالمرية مثلا، ومثلها مثل باقي الدول السابقة عملت دولة الموحدين على استتباب الأمن والنهوض بالقطاعات الهامة كالتجارة دفعا لعجلة الاقتصاد، فأسقطت الضرائب والمكوس الغير الشرعية، وأقامت الأسواق والفنادق والحمامات اضافة الى ما كان بالأندلس من مثل هذه المرافق، ومهدت الطرق ووفرت الحماية للتجار، كما سعت لربط علاقات تجارية مع الدول الخارجية، وهكذا نستنتج أن جميع الدول التي حكمت البلاد من القرن 2 هـ الى 7هـ كانت دولا قوية، شجعت النشاط التجاري بشقّيه الداخلي والخارجي، وقد ساعدتها في ذلك جملة من العوامل الطبيعية كأهمية موقع الأندلس وتعدد ثرواتها الطبيعية

والبشرية، وكذلك تطور صناعتها التي تمتاز بالجودة والتي تعد في حد ذاتها مقياسا لرواج هذه المنتجات، كما ساعدت كثرة المرافق الاقتصادية الموجودة بالأندلس من أسواق وفنادق وحمامات ودور الصناعات المختلفة والطرق الممهدة والموانئ بما فيها من سفن وعدة وعتاد على قيام نشاط تجاري كبير غطى تقريبا جميع الفترة التي ندرسها.

وعليه يمكن القول في الأخير : أن مسلمي الأندلس سواء أمويين أو بربر أو مرابطين أو موحدين قد ساهموا جميعا وبدرجة كبيرة في التّجارة العالمية خلال العصر الوسيط.

الملاحق

قائمة الملاحق:

- ملحق رقم : 01 خريطة عامة للأندلس.

- ملحق رقم : 02 خريطة توضح أهم الأنهار بالأندلس.

- ملحق رقم : 03 خريطة توضح أهم المدن التجارية بالعصر الوسيط.

- ملحق رقم : 04 الطرق الداخلية بالأندلس (البرية والبحرية) في عصر الموحدين.

- ملحق رقم : 05 الطرق التجارية الداخلية والخارجية في النصف الأول من القرن 6 ه

- ملحق رقم : 06 الطرق التجارية في العصر الموحدي.

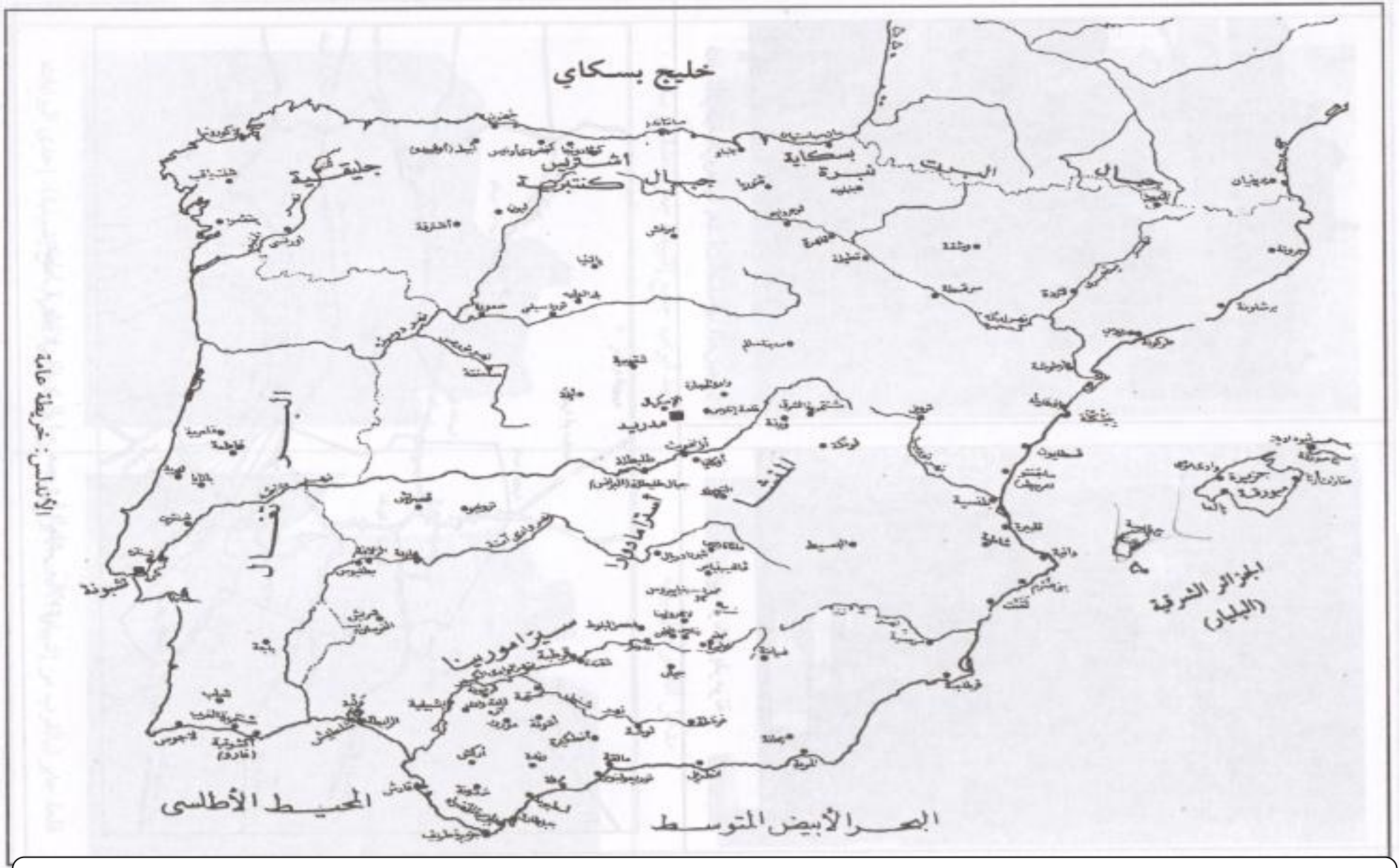

ملحق رقم : 01 **وديع أبو زيدون، تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي حتى سقوط الخلافة في قرطبة، ص 356**

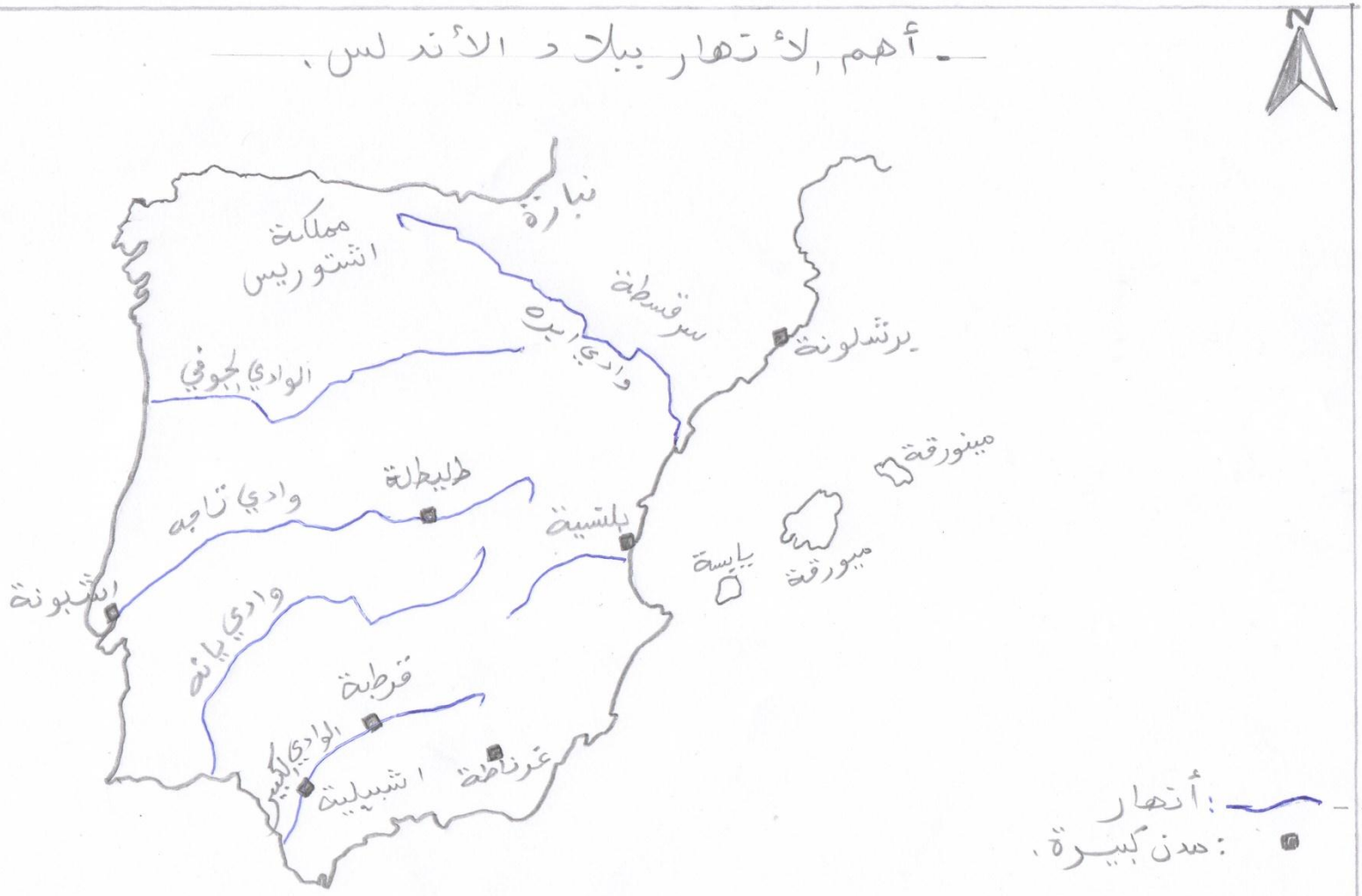

ملحق رقم: 02 شكيب أرسلان، الحلل السندسية، ج1، ص 21

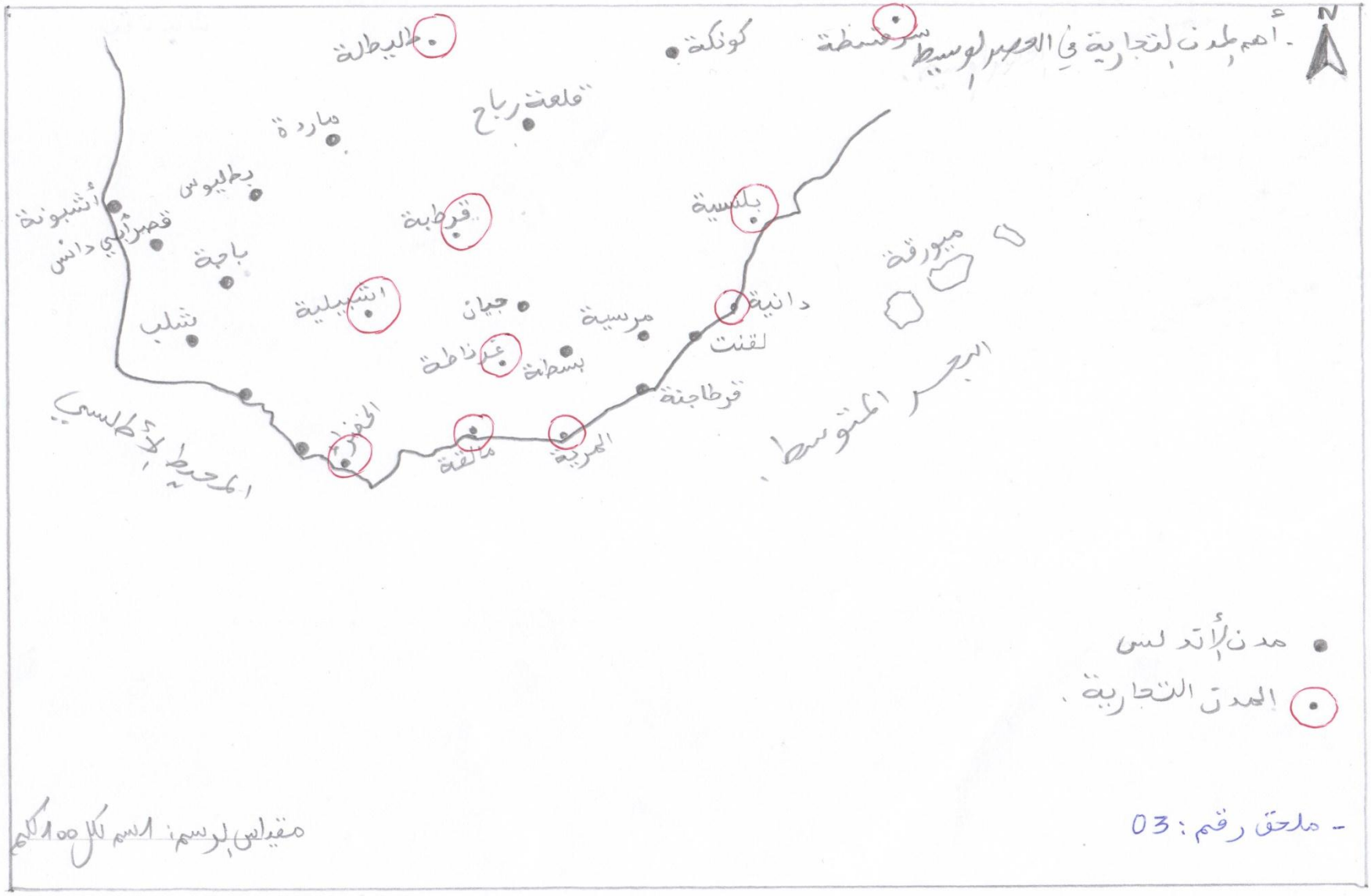
- أهم المدن التجارية في العصر الوسيط
سرقسطة
كونكة
طليطلة
قلعة رباح
ماردة
بطليوس
أشبونة
قصر أبي دانس
باجة
قرطبة
بلنسية
ميورقة
إشبيلية
جيان
مرسية
دانية
لقنت
شلب
بسطة
غرناطة
قرطاجنة
البحر المتوسط
المحيط الأطلسي
الفرة
مالقة
المرية
مدن الأندلس
المدن التجارية
- ملحق رقم: 03
مقياس الرسم: 1سم لكل 100 كلم

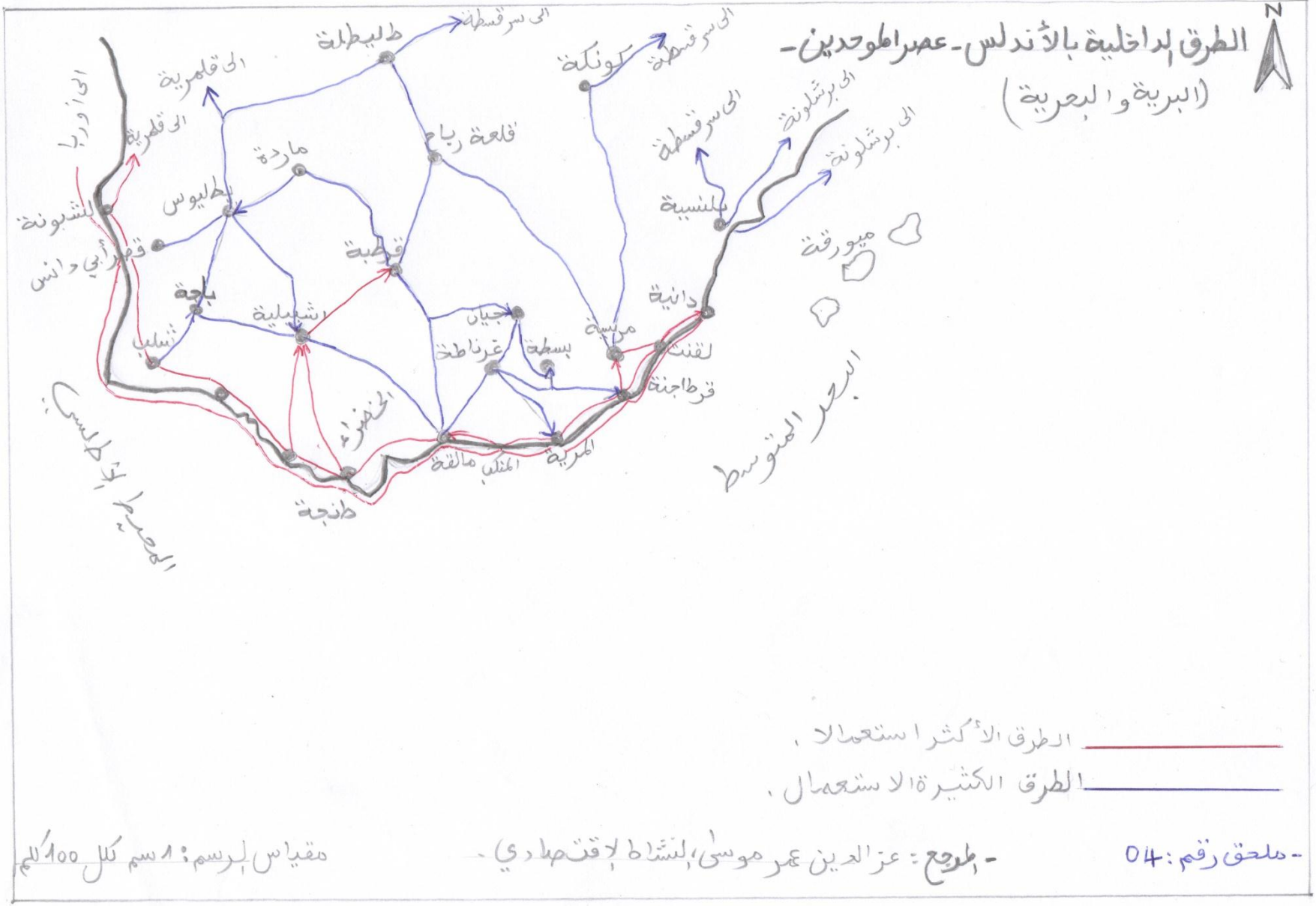

_____ الطرق الأكثر استعمالا .

_____ الطرق الكثيرة الاستعمال .

- ملحق رقم: 04 - المرجع: عز الدين عمر موسى، النشاط الاقتصادي - مقياس الرسم: 1 سم لكل 100 كلم

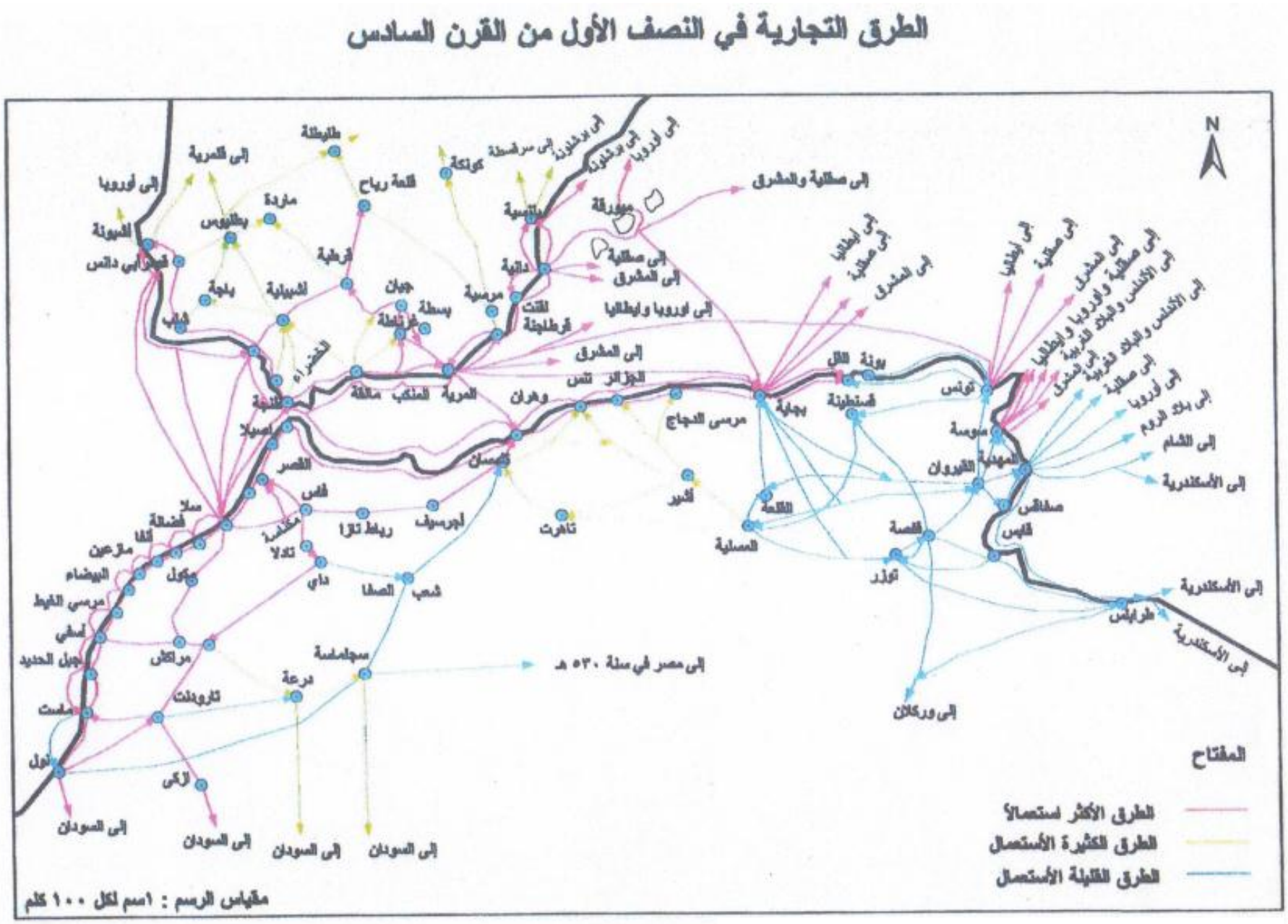

ملحق رقم: 05 عز الدين عمر موسى، النشاط الاقتصادي.

الطرق التجارية في العصر الموحدي

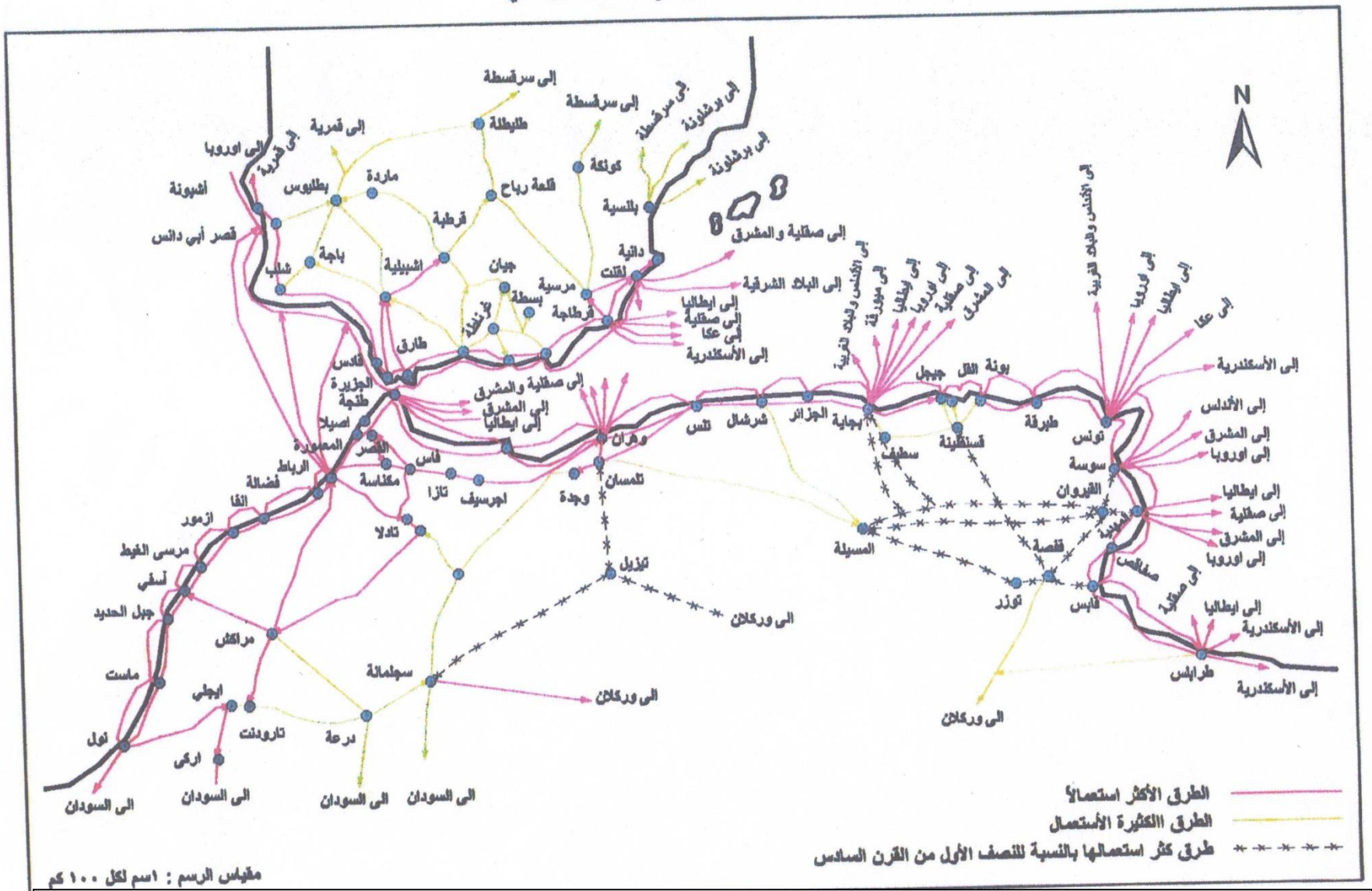

ملحق رقم: 06 **عز الدين عمر موسى، النشاط الاقتصادي**

ثبت المصادر والمراجع

ـ ثبت المصادر:

1- ابن أبي زرع، (أبو الحسن علي بن عبد الله الفاسي)، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، صور للطباعة والوراقة، الرباط، د.ط، 1972 .

2ـ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، د.ط، 2010 .

3- ابن الأكفاني، نخب الذخائر في أحوال الجواهر(معجم الأحجار النفيسة)، تحقيق الأب أنستاس الكرملي، مكتبة لبنان، بيروت، د.ط، 1991 .

4 ـ ابن بطوطة، (أبو عبد الله محمد بن أحمد)، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ـ رحلة ابن بطوطة ـ ج2 ، المطبعة الخيرية، ط1 ، 1322هـ.

5- ابن الدلائي، (أحمد بن عمر بن أنس العذري)، نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار، والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك، تحقيق عبد العزيز الاهواني، منشورات معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، د.ط، د.ت .

6ـ ابن حوقل، (أبو القاسم)، صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 1996 .

7- ابن حيان (القرطبي)، المقتبس من أنباء أهل الأندلس، تحقيق محمود علي المكي، القاهرة .

8- ابن سهل، (عيسى أبو الأصبغ بن عبد الله الأسدي)، ديوان الأحكام الكبرى، تحقيق يحي مراد، دار الحديث، القاهرة، د.ط، 2007 .

9- ابن سعيد، كتاب الجغرافيا، تحقيق إسماعيل العربي، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1 ، 1970 .

10- ابن سعيد، (علي بن موسى المغربي)، المغرب في حلى المغرب، ج2 ، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط4 ، د.ت .

11- ابن عبد الرؤوف، (أحمد بن عبد الله)، آداب الحسبة والمحتسب، نشر ليفي بروفنسال، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، د.ط، 1955 .

12- ابن عسكر أبو عبد الله، وابن خميس أبي بكر، أعلام مالقة، تحقيق عبد الله المرابط الترغي، دار الغرب الإسلامي، دار الأمان، دار صادر، بيروت، ط1 ، 1999 .

13- ابن عذارى، (المراكشي أبو عبد الله محمد)، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج2 ، تحقيق ج. س .كولان، وليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط2 ، 1980 .

14- ابن فضل الله العمري، (شهاب الدين أحمد بن يحيى) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، السفر الرابع، تحقيق حمزة أحمد عباس، المجمع الثقافي أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، 2002

15- ابن صاحب الصلاة، (عبد الملك)، المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين، تحقيق عبد الهادي التازي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1987 .

16- ابن القوطية، (أبو بكر)، تاريخ افتتاح الأندلس، مجلد2، تحقيق لإبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، ودار الكتاب اللبناني، بيروت، ط2، 1989.

17- ابن القطان، (أبو علي الحسن بن علي)، نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، تحقيق محمود علي مكي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1 ، 1990 .

18- ابن رشد، (أبو الوليد محمد بن أحمد بن أحمد)، فتاوى ابن رشد، تقديم وتحقيق المختار بن الطاهر التليلي، السفر الأول، دار الغرب، الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1987 .

19- ابن خاقان، (أبو النصر الفتح بن محمد)، مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس، تحقيق محمد علي شوابكة، ط1 ، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1983 .

20- ابن خلدون، (عبد الرحمن بن محمد)، مقدمة ابن خلدون، ج1 ، تحقيق عبد الله محمد الدرويش، دار يعرب، دمشق، ط1 ، 2004 .

21- ابن الخطيب، (لسان الدين)، أعمال الأعلام في من بويع قبل الإحتلام من ملوك الإسلام، تحقيق ليفي بروفنسال، دار المكشوف، بيروت، لبنان، ط2 ، 1956 .

22- ابن الخطيب، (لسان الدين) ، الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق محمد عبد الله عنان، الشركة المصرية للطباعة والنشر، ط2 ، 1973 .

23- الإدريسي، (أبو عبد الله محمد بن عبد العزيز الشريف)، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، المجلد1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2002 .

24- الادريسي، (أبو عبد الله محمد بن عبد العزيز الشريف) ، القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس(نزهة المشتاق)، تحقيق إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983 .

25- الأنطاكي، (داوود بن عمر)، تذكرة أولي الألباب والجامع للعجب العجاب، تحقيق أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 2006.

26- أبو الفداء، (عماد الدين اسماعيل بن محمد بن عمر)، تقويم البلدان، دار الطباعة السلطانية، باريس، 1840.

27- البكري، (أبو عبيد الله بن عبد العزيز)، المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، جزء من كتاب المسالك والممالك، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

28- البلاذري، فتوح البلدان، تعليق وتقديم شوقي أبو خليل، منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية، دمشق، د.ط، 1997 .

29- الونشريسي، (أبي العباس أحمد بن يحي)، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل افريقية والأندلس والمغرب، ج3 ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية للملكة المغربية ودار الغرب الإسلامي، ط1 ، 1981 .

30- الزهري، (أبو عبد الله محمد بن أبي بكر)، كتاب الجغرافيا، تحقيق محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، د.ط، د.ت .

31- الحميري، (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم)، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق احسان عباس، الطبعة الثانية، مكتبة لبنان، بيروت، 1984

32- كاتب مراكشي، الاستبصار في عجائب الأمصار (وصف مكة والمدينة ومصر وبلاد المغرب)، نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، د.ط، د. ت.

33- مؤلف مجهول، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تحقيق سهيل زكار، وعبد القادر زمامة، دار الرشاد الحديثة، ط1 ، 1979 .

34- مؤلف مجهول، ذكر بلاء الأندلس، ج1 ، تحقيق وترجمة لويس مولينا، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، المعهد ميغيل أسين، مدريد، 1983 .

35- مؤلف مجهول، حدود العالم من المشرق إلى المغرب، تحقيق يوسف الهادي، الدار الثقافية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1 ، 1999 .

36- المقدسي، (أبو عبد الله محمد بن أحمد)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط3 ، 1991

37- المقري، (أحمد بن محمد التلمساني)، نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، ج1 ، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1986 .

38 - مقديش، (محمود)، نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار، تحقيق علي الزواوي، ومحمود محفوظ، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1988.

39- المراكشي، (عبد الواحد)، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق محمد زينهم محمد عزب، دار الفرجاني للنشر والتوزيع، القاهرة .

40- المراكشي، (عبد الواحد)، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق سعيد العريان، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالجمهورية العربية المتحدة، د.ط، د.ت.

41- المراكشي، (عبد الواحد)، وثائق المرابطين والموحدين، تحقيق حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، ط1، 1997 .

42 – السلاوي، (أبو العباس أحمد بن خالد الناصري)، الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى(مخطوطة مصورة)، ج1 .

43 - السقطي، (أبي عبد الله محمد بن أبي محمد)، في آداب الحسبة، المطبعة الدولية ومعهد العلوم المغربية، د.ط، باريس، 1931.

44 - القزويني، (زكريا بن محمد بن محمود)، كتاب آثار البلاد وأخبار العباد، مكتبة برلين، 1848.

45 ـ القلقشندي، (أبو العباد أحمد)، صبح الأعشى في كتابة الانشاء، ج5 ، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1915 .

46 ـ الرشاطي، (أبو محمد)، وابن الخراط الاشبيلي، الأندلس في اقتباس الأنوار وفي اختصار اقتباس الأنوار، تقديم وتحقيق ايميليو مولينا، وخاثينتو بوسك بيلا، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، معهد التعاون مع العالم العربي، مدريد، 1990 .

47 ـ الضبي، (أحمد بن يحي بن أحمد)، بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس، ج6، دار الكتاب العربي، 1967 .

48 ـ ياقوت، (شهاب الدين أبي عبد الله الحموي)، معجم البلدان، ج1 ، دار صادر، بيروت، د،ط، 1977 .

ثبت المراجع:

1ـ أبو الخيل، (محمد بن ابراهيم)، الأندلس في الربع الأخير من القرن الثالث الهجري، مطبوعات الملك عبد العزيز العامة، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1، 1995.

2 ـ أبو زيدون ،(وديع) ، تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي حتى سقوط الخلافة في قرطبة، مراجعة هاني الجمل، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، ط2 ، 2008 .

3ـ أبو رميلة، (هشام)، علاقات الموحدين بالممالك النصرانية والدول الاسلامية في الأندلس، دار الفرقان، عمان، الأردن، ط1، 1984.

4 ـ أبو مصطفى، (كمال السيد)، جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية والعلمية في الغرب الاسلامي من خلال نوازل وفتاوى المعيار المعرب للونشريسي، مركز الاسكندرية للكتاب، د.ط، 1996.

5ـ أرسلان،(شكيب)، الحلل السندسية في الأخبار الأندلسية، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت .

6 ـ أشباخ، (يوسف)، تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ترجمة محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2 ، 1996 .

7 ـ أحمد طه،(جمال)، مدينة فاس في عصري المرابطين والموحدين 448 هـ - 1056م/ 668هـ - 1269م (دراسة سياسية وحضارية)، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الاسكندرية، د.ط، 2001.

8 ـ اسماعيل، (محمود)، الأغالبة 184 - 269 هـ (سياستهم الخارجية)، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، ط3، 2000.

9 ـ بروكلمان،(كارل)، تاريخ الشعوب الإسلامية، نقله نبيه أمين فارس، ومنير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، 1968 .

10 ـ بوتشيش، (ابراهيم القادري)، مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، دار الطليعة، بيروت، د.ط، 1997.

11ـ بروفنسال، (ليفي)، حضارة العرب في الأندلس، ترجمة ذوقان قرقوط، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، د.ط، د. ت.

12 ـ جمعة، (علي محمد)، المكاييل والموازين الشرعية، القدس للاعلان والنشر والتسويق، القاهرة، ط2، 2001.

13 ـ الجنحاني، (الحبيب)، دراسات مغربية في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للمغرب الاسلامي، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط1، 1980.

14 ـ دويدار، (حسين يوسف)، المجتمع الأندلسي في العصر الأموي 138 ـ 422 هـ 755 ـ 1030م، مطبعة الحسين الاسلامية، الاسكندرية، ط1، 1994.

15ـ دندش، (عصمت عبد اللطيف)، الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين ـ عصر الطوائف الثاني ـ دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1988.

16ـ زغروت، (فتحي)، الجيوش الاسلامية وحركة التغيير في دولتي المرابطين والموحدين، دار التوزيع والنشر الاسلامية، القاهرة، ط1، 2005.

17ـ حسن، (ابراهيم حسن)، تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ج3، دار الجيل، بيروت، ومكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط14، 1996.

18ـ حسن، (ابراهيم حسن)، تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ج3، دار الجيل، بيروت، ومكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط14، 1996.

19ـ حسن، (منى محمود)، المسلمون في الأندلس وعلاقتهم بالفرنجة، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ط، 1986.

20ـ الحريري، (محمد عيسى)، الدولة الرستمية بالمغرب الاسلامي حضارتها وعلاقاتها الخارجية بالمغرب والأندلس 160 ـ 296هـ، دار القلم للنشر والتوزيع، الكويت، ط3، 1987.

21ـ الطاهري، (أحمد)، الأندلس في عصر بني عباد ـ دراسة في سوسيولوجيا الثقافة والاقتصاد ـ تقديم فاضل السباعي، اشبيلية للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق، سورية، ط1، 2009.

22ـ يوسف جودت،(عبد الكريم)، العلاقات الخارجية للدولة الرستمية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د.ط، 1984.

23ـ كولان، (ج. س)، الأندلس، ترجمة دار المعارف الاسلامية، ابراهيم خورشيد وآخرون، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ودار الكتاب المصري، القاهرة، ط1، 1980.

24ـ لينـدزي، (جيمس)، العالم الاسلامي في العصور الوسطى، ترجمة ناصر الحجيلان، مراجعة سعد البازي، كلمة، أبو ضبي للسياحة والثقافة، د.ط، 2011.

25- مارسيه،(جورج)، بلاد المغرب وعلاقاتها بالمشرق الإسلامي في العصور الوسطى، ترجمة محمود عبد الصمد هيكل، منشأة المعارف، مطبعة الانتصار، الإسكندرية، د.ط، د.ت .

26- مؤنس، (حسين)، فجر الأندلس ـ دراسة في تاريخ الأندلس من الفتح الاسلامي الى قيام الدولة الأموية 711 م ـ 756مـ الدار السعودية للنشر والتوزيع، جدة، ط2، 1985.

27ـ مجموعة مؤلفين، موسوعة الأندلس والمغرب العربي، دار المدار الثقافية للطباعة والنشر والتوزيع، البليدة، ط1 ، 2009 .

28- موسى، (عز الدين عمر)، النشاط الاقتصادي في المغرب الاسلامي خلال القرن السادس الهجري، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ط2، 2003.

29- موسى، (عز الدين عمر)، الموحدون في الغرب الاسلامي تنظيماتهم ونظمهم، دار الغرب الاسلامي، د.ط ، د.ت.

30- موسى، (عز الدين عمر)، دراسات في تاريخ المغرب الاسلامي، دار الشروق، بيروت، ط1، 1983.

31ـ محمد مرسي الشيخ، (محمد)، دولة الفرنجة وعلاقتها بالامويين في الأندلس حتى اواخر القرن العاشر الميلادي، مؤسسة الثقافة الجامعية، الاسكندرية، د.ط، 1981.

32ـ مسعد، (سامية مصطفى)، العلاقات بين المغرب والأندلس في عصر الخلافة الأموية ، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، ط1، 2000.

33ـ مرحبا، (محمد عبد الرحمن)، الجامع في تاريخ العلوم عند العرب، منشورات عويدات، بيروت ـ باريس، والمؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط3، 1988 ـ 1989.

34ـ الناقة، (ابراهيم السيد)، دراسات في تاريخ الأندلس الاقتصادي ـ الأسواق التجارية والصناعية في الأندلس في عصر الخلافة الأموية والخلافة الموحدية، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، 2010.

35ـ سالم، (السيد عبد العزيز)، تاريخ مدينة المرية الاسلامية قاعدة أسطول الأندلس ـ مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر، الاسكندرية، 1984.

36ـ السرجاني، (راغب)، قصة الأندلس من الفتح الى السقوط، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2011.

37ـ سوادي،(عبد محمد)، الأحوال الاجتماعية والاقتصادية في بلاد المغرب الاسلامي من القرن الثاني الهجري، كلية التربية، جامعة البصرة، د.ط ، د.ت.

38ـ عبد الحليم، (رجب محمد)، العلاقات بين الأندلس الاسلامية واسبانيا النصرانية في عصر بني أمية وملوك الطوائف، دار الكتب الاسلامية، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، القاهرة/ بيروت، د.ط ، د.ت.

39ـ العبادي، (أحمد مختار)، تاريخ المغرب والأندلس، دار النهضة العربية، بيروت، د.ط، د.ت .

40 ـ عنان، (محمد عبد الله)، دولة الإسلام في الأندلس(العصر الأول، القسم الثاني: الخلافة الأموية والدولة العامرية)، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط4 ، 1997 .

41 ـ الصلابي، (علي محمد)، صفحات من التاريخ الاسلامي ـ دولة الموحدين ـ دار البيارق للنشر، عمان، د.ط، د.ت.

42 ـ ريسلر، (جاك)، الحضارة العربية، تعريب خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، بيروت، ط1، 1993.

43 ـ الشطشاط، (علي حسين)، تاريخ الاسلام في الأندلس من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة، دار قبا للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، د.ط، 2001.

ـ الموسوعات والمعاجم:

1ـ عطية، (جرجي شاهين)، المعتمد ـ معجم لغوي ـ تحقيق سعدي ضناوي وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2007.

2ـ عقيل، (محسن)، موسوعة الأحجار الكريمة، دار المحجة البيضاء، ط1، 2007.

3ـ قبيسي،(حسان)، معجم الأعشاب والنباتات الطبية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط7، 2007.

ـ الرسائل الجامعية:

1ـ بن الذيب،(عيسى)، المغرب والأندلس في عصر المرابطين ـ دراسة اجتماعية واقتصادية ـ 480 ـ 540هـ / 1056 ـ 1145م، رسالة دكتوراه، اشراف أحمد شريفي، جامعة الجزائر، 2008 ـ 2009.

2ـ حاج كولة،(عبد العزيز)، الحياة الاجتماعية والاقتصادية بالأندلس من خلال النوازل الفقهية في القرنين 5 ـ 6 هـ/ 11 ـ 12 م، رسالة ماجستير، اشراف محمد الأمين بلغيث، جامعة الجزائر2، بوزريعة، 2009 ـ 2010.

3ـ كربوع، (مسعود)، نوازل النقود والمكاييل والموازين في كتاب المعيار للونشريسي ـ جمعا دراسة وتحليلا، رسالة ماجستير، اشراف رشيد باقة، السنة الجامعية 2012 ـ 2013.

ـ المقالات:

1 ـ المعموري، (محمد عبد الله)، والشمري ، (يوسف كاظم)، الحسبة في الأندلس، مجلة العلوم الانسانية ، كلية التربي صفي الدين الحلي، جامعة بابل.

فهارس البحث

ـ قائمة ملاحق البحث:

ـ ملحق رقم : 01 خريطة عامة للأندلس.....ص 219

ـ ملحق رقم : 02 خريطة توضح أهم الأنهار بالأندلس.....ص 220

ـ ملحق رقم : 03 خريطة توضح أهم المدن التجارية بالعصر الوسيط.....ص 221

ـ ملحق رقم : 04 الطرق الداخلية بالأندلس في عصر الموحدين.....ص 222

ـ ملحق رقم : 05 الطرق التجارية الداخلية والخارجية في النصف الأول من القرن السادس الهجري (6 هـ).....ص 223

ـ ملحق رقم : 06 الطرق التجارية في العصر الموحدي.....ص224

ـ مقدمة البحث.....

ـ فصل تمهيدي.....17

ـ الفصل الأول: المقومات الاقتصادية بالأندلس.....27

I. المقومات الطبيعية.....28

أولا: الموقع الجغرافي.....28

ثانيا: المناخ.....31

ثالثا: التضاريس.....34

رابعا: الثروات الطبيعية.....39

II. المقومات البشرية.....77

أولا: دور عناصر السكان في الحياة الاقتصادية.....77

ثانيا: أهم مناطق تركز السكان.....79

ثالثا: اليد العاملة المتخصصة.....84

III. المقومات الصناعية.....87

أولا: الصناعات الزراعية.....87

ثانيا: الصناعات المعدنية.....99

ثالثا: الصناعات الحجرية:.....104

ـ الفصل الثاني: التجارة الداخلية بالأندلس.....105

I. الطرق التجارية الداخلية.....106

أولا: الطرق البريّة.....106

ثانيا: الطرق النهريّة.....109

ثالثا: الطرق البحريّة.....110

II. الأسواق والنظم التجارية.....112

أولا: أهم الأسواق في الأندلس.....112

ثانيا: نظم التعامل التجاري.....121

ثالثا: الاشراف على الأسواق.....133

III. أهم المراكز التجارية بالأندلس.....139

أولا: المراكز التجارية الساحلية.....139

ثانيا: المراكز التجارية الداخلية.....149

ثالثا: المبادلات التجارية الداخلية.....158

الفصل الثالث: التجارة الخارجية للأندلس.....167

I. الطرق الخارجية.....168

أولا: الطرق البريّة.....168

ثانيا: الطرق النهرية.....173

ثالثا: الطرق البحريّة.....174

II. الموانئ التجارية.....184

أولا: أهم الموانئ الأندلسية.....184

ثانيا: نظم التعامل في الموانئ.....190

ثالثا: دور البحرية الأندلسية في التجارة الخارجية.....192

III. المبادلات التجارية الخارجية.....196

أولا: العلاقات الدبلوماسية وتأثيرها في التجارة الخارجية.....196

ثانيا: الصادرات.....208

ثالثا: الواردات.....211

ـ الخاتمة.....214

ـ الملاحق.....218

ـ ثبت المصادر والمراجع.....225

ـ فهرس الملاحق.....239

ـ فهرس المحتويات.....240